خطوات
على طريق الإمام المهدي
عجل الله فرجه الشريف

عماد علي الهلالي

دار الصادقين
النجف الأشرف

الطبعة الثانية المنقحة
١٤٣٨-٢٠١٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ
يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ
عَٰبِدِينَ

سورة الأنبياء: ١٠٥، ١٠٦

خطوات على طريق الإمام المهدي عجل الله فرجه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير الورى أعلام الهداية وأنوار الولاية محمد المصطفى وأهل بيته الطيبين الطاهرين أفضل الصلوات وسلّم تسليماً كثيراً.

مقدمة:

إن قضية الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) من أكثر القضايا الفكرية تحركاً وتحريكاً، وهي تتفاعل في الأذهان ويثير مضمونها الواقع الحياتي بشكل يومي مستمر في عقول الناس، فهي الحلّ لجميع مشاكل الحياة، والغاية لجميع المشاريع الخيّرة، والعلاج لجميع الأمراض الاجتماعية، فهذه القضية المباركة –وإن لم تعنون في عقول الكثيرين بعنوان المهدي (عليه السلام) – إلا أنها الإجابة الإلهية لجميع تطلعات البشر في جميع أدوارهم، لأن الجميع -ومنذ بداية البشرية- في بحث دائم عن الكمال وعن العدل وعن السعادة وعن غيرها من حاجات وطلبات الإنسان الرئيسية التي أشارت السماء إلى الإجابة الحقيقية فيها بل ومهّدت لتحقيقها للبشرية التي لا زالت تجرب الحلول وتجري التجارب لعلها تفلح في النجاة وتحقق السعادة.. إلا أن كل قصور في الإصلاحات والحلول البشرية التي تحاولها عقولهم المخلصة يتضمن جزءاً من الجواب الحقيقي

وهو المشروع المهدوي المبارك الذي سيتبين لهم فيما بعد أنه هو الحق وهو الحل المناسب لجميع المشاكل والأسئلة.

إلا أن المجتمع البشري لم يزل –ومع شديد الأسف- لم يتبين بشكل وافي هذه القضية العظيمة وهذه الرحمة الواسعة التي تنير طريقه كما تنير الشمس حياة الناس وهي خلف السحاب، وإلا لما تأخر الفرج عنهم.

بل إن قضية المهدي (عليه السلام) لم تتخذ سبيلها بعد إلى عقول الموالين المحبين المشتاقين ولم تأخذ مكانها الصحيح في عقول أكثرهم، مما سبب عزلة عملية بين القائد وشيعته، وضياع في معنى الانتظار وما ينبغي للمؤمنين به (عليه السلام) عمله، بل تحولت القضية في أذهان أغلب الناس إلى انتظار مبهم لا يد لهم في المساهمة في تعجيل الفرج منه.

كما لا ننسى المضلين وتجّار القضية الذين ينتهزون كل زاوية مبهمة في المنظومة المعرفية الشعبية لتحصيل المكاسب وتكثير الأتباع من الغافلين الجاهلين، وتدفعهم مخابرات الدول (الخبيثة) المعادية لأهل البيت (عليهم السلام) وللإسلام وللبلاد وللعراق لإيجاد خطوط تكفيرية ومجموعات إرهابية من داخل التشيع نفسه، وتمدهم بأنواع الحيل والدعم المادي.

وكان الهدف الأول من الكلام هنا أن أوضح ما سبق أن أشارت إليه الأدعية والأحاديث الشريفة من أنه من الضروري للمؤمن أن يتعايش مع إمامه ويشعر أنه (عليه السلام) مستمر بالعمل الدؤوب من أجل إنقاذه وإنقاذ البشرية جمعاء، فيساعده على تخليصه من قيوده وأوحال ذنوبه.

كما تناولنا فيها الحديث عن بعض العلامات وفوائدها لجعل الموقف المناسب منها إيجابياً بدل ما سوّقه بعض القاصرين من توقيتات

وأفكار خاطئة وسلبية تجاه علامات الظهور أدّت إلى بلادة الموالين وقعودهم، بل وإلى تأخير الظهور نفسه كما رآه بعض العلماء.

وبيّنا في هذا الكتاب الرؤية المناسبة للإعداد للظهور، وقلنا أن الشيء المهم الذي سيعجل الفرج هو إحساس البشرية بالاضطرار وأن المهدي (عليه السلام) سيظهر في ظرف يحس الناس فيه بالانقطاع والضيق الشديد، وإن جميع العلامات والشروط الأخرى من الممكن أن تتحقق في ليلة واحدة يصلح الله فيها جميع ما فسد. أما ما ينبغي على المؤمنين تهيئته من أعمال فإنما يراد بها تأهيل الأمة نفسياً لتحقيق الإخلاص وتربية المؤمنين وانتظار الفرج انتظار المتوكلين لا المتواكلين، وبدون هذه الاستعدادات والتربيات ذات الأساس النفسي ستنتظر السماء أجيالاً مستقبلية تكون متنجّزة لمقدمات الفتح المبين ومستحقة لهذه النعمة الدائمة التي ستعمّ الكون بأجمعه.

ولا ندّعي أننا أحطنا علماً بأبعاد مشروع الإمام المهدي (عليه السلام) وعرفنا الموقف الصحيح تلقاءه تماماً، ولكننا حاولنا في هذه البحوث بيان أن هذا المشروع المبارك إنما هو مشروع عملي له مقدماته التي إذا لم تتهيأ ستتأخر نتائجه، ولا يضر هذا بحتمية هذا الوعد الإلهي الذي لن يتخلف بالتأكيد لأن الله لا يخلف الميعاد، بل يجعله أكثر فائدة لتربية المؤمنين، وهو ما فهمناه من مداليل الأحاديث الشريفة وإشارات المعصومين (عليهم السلام) بهذا الصدد.

ومما تجدر الإشارة إليه أننا لم نشأ استيعاب جميع الجوانب المتعلقة بموضوع هذا العنوان العظيم، ولا تقديم بديل عن الكتب المؤلفة فيه، بل كانت غايتنا (تحديث) الرؤية لدى المؤمنين المتابعين، والتنبيه إلى أفكار

وإجابات جديدة لما استثير بشأن القضية المهدوية، وتفصيل البحث لحل المشاكل المعاصرة التي عرضت في ثقافة الناس اليوم؛ لأنها كما قلنا قضية متحركة ومحركة وتحتاج إلى تحديث مستمر، ونعني بالتحديث هذه الإجابات الجديدة للأسئلة المستحدثة بدون نقض سابقتها.

فهذه البحوث تتكامل مع ما سبقها، ويكون من الأفضل للمؤمنين الاطلاع على الأفكار السابقة كموسوعة الإمام المهدي للسيد الشهيد الصدر الثاني (رضوان الله عليه) فهي مما لا غنى عنه لكل مهتم بمعرفة إمامه (عجل الله فرجه) وقد تركنا تفصيل بعض الأمور وأوكلنا القرّاء إليها.

وخطواتنا في هذا الكتاب هي مجموعة بحوث نشرتُها على صفحتي الشخصية في الفيس بوك في الشهرين الأخيرين (آيار وحزيران ٢٠١٣) (رجب- شعبان ١٤٣٤) ولا زالت منشورة هناك وعليها تعليقات قيمة لبعض الإخوة المتابعين، وقد نصحني بعضهم بجمعها في كتاب مستقل ليعم ما ظنوه فيها من فائدة وتصل إلى أكبر عدد من القرّاء، فأخرجنا تلك البحوث في هذا الكتاب مع بعض التنقيحات والهوامش والزيادات والتلخيصات.

فاستحسنت الفكرة وأطعت النصيحة وخلطت نيتي بنيتهم عسى أن يتقبلها الله تعالى منّا بأحسن قبول ويبلغنا برحمته المأمول إنه أهل للظن الحسن، وهو حسبنا ونعم الوكيل، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

عماد علي الهلالي

الخطوة الأولى:

محبته (سلام الله عليه)

الليل قاتمُ السواد.. والأجواء موحشة.. والذئاب كثيرة.. والسحاب مطبق.. والخطوات ثقيلة.. والرياح القارصة تكاد تطفي بصيص الأمل في قلبي.. وأنا لا أريد الاستسلام، فأين أذهب في وحشة هذا الليل، وغربة هذه الدنيا المقفرة؟.

أنت وحدك خلاص جميع المكروبين..

وأنت وحدك علاج جميع اليائسين..

وأنت وحدك حبيب القلوب المنكسرة..

أين استقرت بك النوى؟ أم أي أرضٍ تقلّك أو ثرى؟ عزيزٌ عليّ أن أرى الخلق ولا تُرى..

أين أنت يا أمل المظلومين وكيف السبيل إليك، أفي جبل فتتسلقه أم بعد بحر فنجتازه؟..

اللهم أوصلنا إليه سالمين قبل انقضاء آجالنا وانتقاص أعمالنا وضيق صدورنا، حتى توردنا مناهله بعد الظمأ وتسكننا إلى جنابه وظله بعد التعب نحن وجميع المحبين وجميع الأهل والإخوة والأصدقاء.

اللهم لا تقطع منه آمالنا، فإن نبيك (صلوات الله عليه وآله) قال: (الأمل رحمة الله لأمتي) فلا تقطع عنا رحمتك بذنوبنا، ولا تخيب رجاءنا..

يأتي أحد أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) إليه ليسأله: متى الفرج؟

فيقول له (عليه السلام): لم تستعجلون؟

فيقول الرجل: وما لي لا أعجل، وها أني قد بلغت من الكبر والوهن ما بلغت.

فيسكّن الإمام قلب الرجل الذي كان يدّخر قوّته وشبابه ليشفي قلبه من أعداء الإمام ويفرح بنصره، فيقول له (عليه السلام): إن المنتظِر لهذا الأمر لا يهمّه تقدم أو تأخر، فإذا مات كان كمن استشهد بين يدي القائم (عليه السلام).

نعم هذا هو العزاء، وحاشا لله تعالى أن يقطع الرجاء عن أي جيل من أمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أو يسد باب الرحمة دونهم.

فالباب أيها الإخوة مفتوح للطالبين وأعلام القاصدين واضحة وسبل الراغبين شارعة، فكيف نسلك الطريق إليه، حتى وإن تأخر ظهوره العام عن الناس؟.

الخطوة الأولى يا إخوان الغربة ورفقاء الطريق هي المحبة، فإن المعرفة قد تغيب لكثرة الهموم، والعزم قد يكل لطول المصائب، ولكن الحب لا يخبو مصباحه، فلنوقد هذا المصباح قبل كل شيء لعلنا نمشي رويداً فنبصر أثراً من خطواته (سلام الله عليه) فنتبعه، أو نشم طيباً من شذاه فنهتدي به..

وما لنا لا نحبه وهو خلاص المساكين، والرحمة للمظلومين؟ وعلى عهده تضاء الأرض بنور العدل والخير وتختفي آهات المعذبين وصرخاته من فلا نسمع بعده بكاء أمٍّ قُتل ابنها، ولا بريء قطعت أطرافه ولا غيرها..

وكيف لا نحبُّه وهو الذي تحمّل مع آبائه الطاهرين (صلوات الله عليهم) ألواناً من الأذى والمتاعب لإنقاذنا، وإخراجنا من ظلمات الجهل وأوحال الذنوب إلى نور الطاعة وجناب الحق سبحانه وجنان معرفته..

فجدّهم (صلى الله عليه وآله وسلم) هو الذي تحمل أعباء الرسالة في ذلك المجتمع الجاهلي المتحجر وعنادهم ومكرهم ليعلن في المجتمع أن لا إله إلا الله، ويرفع رؤوسهم من السجود للأوثان إلى التطلع نحو السماء..

وجدّتهم التي جاهدت مؤامرات السقيفة وأذى المنافقين حتى استشهدت سلام الله عليها مكسورة الضلع معتلجة الصدر بالغيظ ظامئة الغليل من ظالميها وظالمي أمة أبيها (صلى الله عليه وآله).

وآباؤه الكرام (سلام الله عليهم) ما منهم إلا مقتول بالسيف أو مغدور بالسم، بين ظلمات السجون أو فيافي الغربة، حتى ما بقي لمصابٍ مصيبة إلا وعزّوه فيها بما سبقوه إليها..

وكيف لا نحبه وهو الرحمة المدّخرة للناس أجمعين، فـ﴿إِذَا جَاءَ نَصرُ اللهِ وَالفَتْحُ﴾ الفتح الأكبر والرحمة الواسعة إذا حان حينها ﴿وَرَأَيتَ النَاسَ﴾ جميع الناس أسوَدهم وأبيضهم شرقيّهم وغربيّهم، غنيّهم وفقيرهم.. جميع الشعوب والمجتمعات ﴿يَدخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفوَاجاً﴾ بعد قرون طويلة من الضلال والخضوع للطواغيت الظلمة وقرون من الدموع والدماء المطلولة: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ الذي أدخل الناس في هذه الرحمة وساقهم إلى هذا الخير الذي لا شقاء بعده ﴿وَاستَغْفِرهُ﴾ .. ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾ ليس هناك أرحم منه فهو أرحم الراحمين وستظهر رحمته يومذاك حتى تذوب القلوب حباً له سبحانه وشوقاً إليه..

فإن الذي تستعجلون طلوعه لأشوقُ منكم أن يزيح ستارها.

الخطوة الثانية:

معرفة شخصيته (سلام الله عليه)

معرفة شخصية الإمام المهدي (عليه السلام) ضرورية جداً، وبمقدار التدرج في معرفته نتقدم خطوة باتجاهه، لأننا لا يمكننا طبعاً أن نتقدم مكانياً نحوه (عجل الله فرجه) فلا بد أن نتقدم معرفياً في هذا الطريق؛ لأن عالم المعرفة هو العالم الحقيقي والواقع.

كما أن القوة الجاذبة في شخصيته لها دور كبير في تكامل النفوس بشكل يختصر كثيراً من الصعوبات للسائرين نحو الكمال.

وكذلك فإن الخطر كبير في حالة الاشتباه في تشخيص الإمام المهدي في الدنيا والآخرة؛ لأن من لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية كما في الحديث الشريف فكل جهل بإمام الزمان يعني شيئاً من الجهل والجاهلية.

لا يقال أن التوجه نحو شخصية الإمام (عليه السلام) هو توجه نحو الشخصية دون الهدف، فهذا إن صحّ فإنما هو في الشخصيات الاعتيادية وليس لدى المعصومين (عليهم السلام) فإن إيماننا بعصمتهم يجعل جميع أفعالهم نوراً وخيراً وتفانياً في الذات الإلهية، وهم سلام الله محض التوجه إلى الله تعالى، وقد يلاحظ المشايع لهم –مع التقدم في معرفتهم- أنهم شفافون جداً وقد لا يلتفت إليهم حين يتوجه إلى الله سبحانه مع أنه يتوجه بهم، شأنهم في ذلك شأن التوجه أو النظر أو المعرفة، فهل التفت أحد منكم إلى توجهه أو نظره أو معرفته إذا توجه أو نظر أو عرف شيئاً؟.

شخصية الإمام المهدي (عجل الله فرجه)

هو محمد بن الإمام الحسن العسكري بن الإمام علي الهادي، بن الإمام محمد الجواد، بن الإمام علي الرضا، بن الإمام موسى الكاظم، بن الإمام جعفر الصادق، بن الإمام محمد الباقر، بن الإمام علي السجاد، بن الإمام الحسين، بن الإمام علي بن أبي طالب وابن الزهراء فاطمة (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

ولد عام (٢٥٥ هجـ) في ليلة النصف من شعبان، في سامراء في بيت الإمام العسكري (عليه السلام).

وقد أطْلع والده عدداً كبيراً من وجهاء الشيعة وفقهائهم عليه في صغره، كما أكدت الأحاديث الشريفة على اسمه وأنه تمام عدد الأئمة (عليهم السلام) وأنه هو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد امتلائها بالظلم والجور.

وهو (عليه السلام) حي إلى اليوم لا يموت حتى يظهره الله على أعدائه، ويمكث في الناس لسنوات عديدة بعد الظهور.

وقد زعم عدد من الشخصيات عبر التأريخ أنهم هم الإمام المهدي، إما بناءً على ما هو المعروف لدى فئة كبيرة من أهل العامة من أن المهدي سيولد في آخر الزمان وإن اعترفوا أنه من ذرية الزهراء (عليها السلام).

وإما بشبهة حوّروها للاستحواذ على ما يعرفه جميع الشيعة من أنه (عليه السلام) محمد بن الحسن الذي ولد عام (٢٥٥ هجـ).

فقالوا مثلاً أن نوره حلّ في فلان أو في فلان، مع أن أجسادهم الشريفة مصممة لتحمل التلازم مع أنوارهم سلام الله عليهم، فلا يطيق

أي جسد أن يتحمل ما يتحملونه من المعرفة، حتى غدت أجسادهم أنواراً بذاتها، فكان الأئمة (عليهم السلام) إذا مشوا على الصخر طبعت أقدامهم فيه وإذا مشوا على الرمل لم يتركوا أثراً عليه، إلى غيرها من خصائص أجسادهم الشريفة (راجع كتاب الأنوار الساطعة في شرح الزيارة الجامعة للشيخ جواد بن عباس الكربلائي).

بالإضافة إلى أن فكرة الحلول قد أبطلها الفلاسفة والمتكلمون في جميع أعصارهم فلم يقل بها أحد من العلماء والفلاسفة، ولكنها مع شديد الأسف لا زال لها سوق رائجة في خداع عامة الناس والبسطاء منهم.

وهذه الفكرة من التناسخ وقد ورد عن المعصومين (عليهم السلام) أنه كفر بالله فعن الرضا (عليه السلام) قال: (من قال بالتناسخ فهو كافر مكذّب بالجنة)[1] ومثله عن الإمام الباقر (عليه السلام).

ومع هذا الوضوح ينجح المضللون في كل مرة بخداع الناس ليس لعدم وضوح القضية بل لاستعداد الناس وقلقهم لتقبل كل شبهة تحت ضغط عوامل اجتماعية ونفسية وتجهيلية كثيرة.

وقد قال الإمام الصادق (عليه السلام) عن أمرهم بأنه أوضح من الشمس في وسط السماء، فمن يضل بعد هذا فبذنبه وخذلانه أعاذنا الله وإياكم منه.

---

(١) بحار الأنوار: ج٤، ص ٣٢٠.

الخطوة الثالثة:

معرفة نوره (سلام الله عليه)

ولا نعني بالنور هنا مثل نور المصابيح أو الفوتونات وإن كانت هذه منه، ولكنه مثل معنى الحديث (العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء) ومثل الظهور والهداية كما فُسِّر به قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (النور:٣٥) ومثل الإيمان واليقين.

وفي الزيارة الجامعة لأئمة الهدى (عليهم السلام): (فأنتم نور الأخيار.. خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرشه محدقين حتى مَنَّ علينا بكم فجعلكم في بيوتٍ أذن الله أن ترفع).

فالإمام المهدي (عليه السلام) نور بمعنى يهدي الناس بأمر الله هدايةً باطنية وظاهرية[1]، وهو من معنى زيارته عجل الله فرجه يوم الجمعة (السلام عليك يا نور الله الذي يهتدي به المهتدون ويُفرَّجُ به عن المؤمنين).

ونور الإمام هو الذي يساعد بعض المؤمنين حين يتكاسلون عن الطاعات فيدركهم ويعينهم عليها بما يرفع هممهم.

أمَا ترون أن الفرد قد يكون قلبه كالخرقة البالية من الوهن وهباب الإرادة فإذا تذكّر إمامه ارتفعت همته وقويت إرادته؟، قال تعالى: ﴿وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ

---

(١) فسر الأئمة (عليهم السلام) قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (لقمان:٢٠) بأن النعمة الظاهرة الإمام الظاهر، والنعمة الباطنة هي الإمام الغائب.

بَهِيجٍ، ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(الحج: ٥-٦).

والإمام (عليه السلام) نور بمعنى آخر، فهو يفيض الحكمة والهداية على مستحقيها فيعرفون بسبب ذلك النور الحكمة من كل موقف حتى ولو كان الموقف بصدد شيء آخر من أمور الدنيا والآخرة، ولكن المؤمن يلتفت إلى وجه الحكمة فيه كما هو شأن نبي الله داوود (عليه السلام) حين دخل عليه الخصمان في المحراب فالتفت إلى نفسه بعض أن قضى بينهما ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ﴾(ص:٢٤) فالتفت إلى نفسه، ولعله تفسير قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾(ص:٢٠) فالحكمة هي المراقبة التي تجعل العبد يلتفت إلى وجه الحكمة في كل شيء، وفصل الخطاب هي المحاسبة ومعرفة خطاب الموجودات ومعالم النفس (راجع كتاب: الذكر في سورة صاد المباركة).

والإمام (عليه السلام) نور اشتق منه كل خير من الصفات والأفعال والذوات، وفي الحديث النبوي: (أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر خلقه الله ثم اشتق منه كل خير.. ثم تطرق (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى مراتب ذلك النور في المقامات المختلفة للخلق) ونور أهل البيت نور واحد، كما في الحديث الشريف: (فلما رأت الملائكة أرواحنا نوراً واحداً سبّحنا لتعلم الملائكة أنه منزّه عن صفاتنا، ولولا نحن ما عرفوا كيف يسبّحون الله تعالى) فكل خير مشتق من نورهم حتى نور المعرفة والتسبيح قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ، وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾(الصافات:١٦٥-١٦٦).

والإمام (عليه السلام) هو الحبل النوري الممدود بين الله والعباد، حبل طرفه بيد الله وطرفه الآخر بيد العباد، يُراد به إنقاذهم من الهلكة ورفعهم من حضيض جهنم والذنوب المهلكة، وهو (سلام الله عليه) العروة الوثقى التي يتم التمسك بها بالكفر بالطاغوت والإيمان بالله، وستؤدي بالمتمسك بها إلى الجنة وتوصله الله سبحانه.

والإمام (عليه السلام) هو حقيقة القرآن ونوره، ولا عجب فهما نور واحد لا يفترقان حتى يرِدا بالمتمسك بهما حوض الحقيقة المحمدية الكبرى، فمن أراد أن يلتقي بالإمام (عجل الله فرجه) فليقرأ القرآن ويتمعّن فيه فلعله يرى صورته ويسمع صوته، وسيأتي بإذن الله تعالى الحديث عن الأعمال التي توْصلنا إليه (عليه السلام).

والإمام هو نور الآيات والهداية ووجهه يضيء السماوات والأرض ويشرق من بين النجوم والكواكب.

وربما لوحّت بذلك بعض الآيات والروايات كما في الحديث الذي يذكر كيفية زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) عن بُعد فبعد أن يقف الزائر في مكان مفتوح يتوجه نحو كربلاء ثم يلتفت يميناً وشمالاً ثم يرفع وجهه إلى السماء ويقول: (السلام عليك يا أبا عبد الله ورحمة الله وبركاته). فرفعُ الوجه إلى السماء إشارة إلى أن نور الحسين (عليه السلام) يملأ السماء والأرض وليس هو في جهة واحدة قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ﴾(آل عمران: ١٩٠) وقال تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ﴾(البقرة:١١٥)، والحسين (عليه السلام) هو زين السماوات والأرض ونور العين بل هو العين والبصر والبصيرة روحي فداء لثراه.

والإمام هو عين الله الناظرة كما في الزيارة فهو مطلع على أعمالنا، ولعل الأحاديث التي روت أنهم سلام الله عليهم تعرض عليهم أعمال العباد كل خمس وإثنين إنما كانت خاصة بالأئمة في من سبقه (عجل الله فرجه) ثم جُعل عرض الأعمال عليه في زمانه (عليه السلام) في كل حين، من باب الرحمة على العباد لأن نظرهم (عليهم السلام) لنا رحمة على كل حال، أما في حال الذنوب فقد روي أنه (سلام الله عليه) يغضّ نظره إما حياءً من الله تعالى، أو من نفس شيعته ستراً لهم، أو أن يكون غضّه (سلام الله عليه) لبصره عند عرض الذنوب عليه بمعنى أن نوره يغيب عن أهل الذنوب حال الذنب، فلا يذنبون وهم يجاهرون الله بالمعصية رحمة بهم، كما ورد في الحديث (أن الزاني لا يزني حين يزني وهو مؤمن لأن الإيمان ينزع عنه كما يُنزع القميص).

أو قد يكون عرض الأعمال كل خميس وإثنين من باب إعطاء الفرصة للعباد أن يتوبوا قبل أن تعرض أعمال على إمامهم فلا مانع من شمولها للإمام المهدي شأنه شأن الأئمة من آبائه (عليهم السلام) .

أو بمعنى أن الأعمال تُعرض على الإمام (عليه السلام) ليعرضها على الله عز وجل وتسجل بشكل قطعي على المذنبين، والله العالم.

ونور الإمام هو الذي يقود الناس إلى الكمال ويهديهم في طريق التكامل في الدنيا والآخرة حتى يوصلهم إلى جنانهم يوم القيامة قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَـئِكَ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً، وَمَن كَانَ فِي هَـذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً ﴾(الإسراء: ٧١-٧٢).

والإمام (عليه السلام) هو حياة الموجودات جميعاً لأنه مظهر اسم الله (الحي القيوم) أما ترون أن أغلب الأدعية التي تخصه (عليه السلام) تتضمن اسم الحي القيوم ومعنى الحياة؛ لأن هذه المعاني إذا آمن بها قلب الإنسان فقد التقى بالإمام في عالم المعنى، ففي دعاء العهد (يا حياً قبل كل حي ويا حياً بعد كل حي، ويا حياً حين لا حي..) وفي زيارته عجل الله فرجه يوم الجمعة (السلام عليك يا عين الحياة).

ومعرفة نور الإمام (عجل الله فرجه) نافعة في التربية في المراقبة والمحاسبة، فإن المؤمن إذا فهم من المراقبة أنه هو الذي يراقب نفسه عن الذنوب فإن نفس الشهوة ستعمي بصره فيرفع الرقابة أولاً ثم يذنب، أما إذا استشعر مراقبة الإمام (عليه السلام) له فقد يردعه ذلك عن كثير من الذنوب، ولا يمكنه أن يذنب وهو يرى مراقبة إمامه له إلا بالكفر بأصل الإمامة ولوازمها أو بأن يعرض الإمام (عليه السلام) بنفسه عنه فلا يستشعر الرقابة حين الإقبال على الذنب وكسر حاجز الحياء.

وهي تنفع في المحاسبة لأن المحاسبة تكون وفق ميزان يُنصب لمقايسة الأعمال فيعلم العبد أنه أذنب حين يحاسب نفسه آخر الليل عن أعماله، فهو يشعر بالندم بفعل نور الإمام، ويقيم الحجة على (شريكه: النفس) بذلك الميزان الذي لا يجد له مغالطة فهو واضح جداً.. وعن الأئمة (عليهم السلام): (ليس منّا من لم يحاسب نفسه كل ليلة محاسبة الشريك شريكه..) فمن يحاسب نفسه يكون منهم (عليه السلام) لأنه يحاسب نفسه بنور العقل أو الهداية وهو منهم (سلام الله عليهم) أما ذاته (الاعتبارية) فإنما هي شريك ينبغي أن يتجرد عنه مع طول المراقبة والمحاسبة، لكي تفنى

ذاته بين نور المحاسب وظلمة الشريك، فيكون (منهم) وهو أرقى من معنى (معهم) فتأمل.

ولعل منه معنى ما في زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام): (السلام عليك يا ميزان الأعمال ومقلب الأحوال).

وقال تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(النور:٣٥) وقد ورد في تفسير هذه الآية أنه نور الإمام من أهل البيت في نفوس الكائنات.

فإن أنوارهم في قلوب المؤمنين (وجميع المخلوقات) كالمصباح والزيت يضيئون سرّ القلوب بالهداية والإيمان فيستضيء القلب بأنوارهم وتنعكس أعمالاً خيرة كالتي ذُكرت في سورة النور المباركة.

والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

الخطوة الرابعة:

تطبيق الإسلام في جميع حياتنا بدقة

لا بد من تطبيق الإسلام الحقيقي في حياتنا بأكبر دقة ممكنة، الإسلام الحقيقي الذي غدا غريباً في هذا الزمان لكثرة الانصراف إلى الظاهر والتخلي عن باطنه وجوهره. ولا بد من تطبيقه ظواهره على الأقل بشكل كامل؛ لأن أي إهمال في التطبيق يعد جرأة على الآمر، ولا يستقيم مع حقوق الرب على العبد، ولا ينسجم مع سمة العبودية، فرفْض الطاعة هو التمرد سواء كان المأمور به صغيراً أو كبيراً بحسب نظرنا.

والالتزام بظاهر الشريعة بإخلاص هو الذي يفتح الأبواب نحو باطن الشريعة المفعم بالنور والخير والسعادة.

وقد قلنا فيما سبق أننا ينبغي أن نستحضر رقابة الإمام (عليه السلام) علينا في كل آن وحال، وأن نراقب جميع أعمالنا وجميع ما يرِد علينا، وإنما تكون المراقبة وفق الشريعة الإسلامية أي أن نصنّف هذا العمل كحسَن أو قبيح بالموازنة مع معطيات الشريعة الغرّاء، ولا بد قبلها من معرفة تلك المعطيات والأوامر والنواهي.

وعامة الناس يعلمون بالأساسيات من أحكام الشريعة كالصلاة والصوم وغيرها من العبادات، فيحاسبهم ضميرهم عليها بوضوح، ولكنهم قد يجهلون قسماً كبيراً منها حتى في العبادات ومنها الخُمس مثلاً، وحدود ستر المرأة والتواصل معها وخصوصاً بين الأقارب.. وغيرها.

أما المثقفون وأصحاب الثقافة الدينية فقد يكون الشيطان قد يئس من تجهيلهم بعمومات الشريعة من واجبات كالصلاة والصوم وسائر العبادات والبر بالأرحام وغيرها، ومن نواهي كقبح الظلم والغيبة والكذب.. إلا أنه اعتمد أسلوباً آخر لأمثال هؤلاء، وهو تحريف المصاديق والزحف على الحدود وتفريغ العبادات والمعاملات من مضمونها، فضيّق في نظر الكثيرين موارد تلك الطاعات فأصبحنا نعقّ الأرحام ونحن نظن أننا نبرّهم ونظلم الناس ولا نرى ثمة ظلم، ونهمل أموراً مهمة جداً ونحن نعتقد أنها من نوافل النوافل، ونتكلم بأشياء ونظن أننا لا نُحاسَب عليها في الوقت الذي ينقلنا قولها من الجنة إلى النار، ويخرجنا التفوّه بها من النور إلى الظلمات..

مثال ذلك الظلم: ما تكلمنا عنه في كتابات سابقة أن نبي الله داوود (عليه السلام) اعتبر مجرد قول الأخ لأخيه: اجعلني أكفل نعجتك مع نعاجي ظلماً وبغياً لا يفعله المؤمنون، فمن منّا إذن لا يظلم أهله وعياله كل يوم عشرات المرات، مثل التأفف من الطعام الذي تعده الزوجة أو الأم، ورفع الصوت أثناء نوم الآخرين، وإصدار الأصوات العالية التي تؤذي الجيران في أوقات النوم وغيرها، ومقاطعة كلام المتحدث الآخر قبل أن يكمله وكأنه لا أهمية لباقي الكلام، والنظر بتشكيك للمتحدث وكأنك تشك في كلامه، والنظر بغضب أو بتقطيب في وجه الآخرين، وإخافة الأطفال حين يزعجوننا بتصرفات وهم لا يعلمون أو يدركون ذلك، والحديث في خصوصيات الآخرين التي لا يحبّون الخوض فيها، والاستخفاف بالشخصيات التي يحبّها غيرنا أمامهم، وعدم احترام حقوق الآخرين في الطرقات، والانتقاص من الشخصيات الاجتماعية العامة

وكأنهم لا حرمة لهم، وإهمال الأموات وعقوقهم بعد موتهم، وغيرها مما نظنه من الصغائر التي تحصى وترجع إلى الكبائر أو تكشف عن قلب صلف لا يبالي بعواطف الآخرين.

ومن الظلم عدم احترام الذوق العام، كالتدخين والكلام في السيارات والأماكن العامة بخصوصيات لا شأن للموجودين بها، أو الظهور بالملابس الداخلية أو بملابس ضيقة مبيّنة للعورة أو مثيرة للشهوة، أو غير ذلك من إهمال النقد العام، وفي الحديث الشريف: (من نام فوق سطح غير محجَّر فقد برئت منه الذمة) أي من نام على سطح داره وليس للسطح سور وأحجار تستره فقد برئت منه ذمة الإسلام، وأمثال هذه الموضوعات التي تطرقت للتحذير منها الأحاديث الشريفة.

ومن الظلم ظلم السلام، فنسلّم –مثلاً- بأتكيت خاص أو بتكبّر لضمان الهيبة والاحترام، أو نجمل في السلام ونسلّم بطرف اليد أو غيرها من المراسيم السخيفة، وهي عند الله جرم عظيم، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (لن تؤمنوا حتى تحابّوا، ولن تحابّوا حتى تفشوا السلام) بينما تؤدي بعض المراسيم في السلام إلى أن تجعل الآخرين يكرهون السلام ويحيدون عمن يعرفونهم لما علموه منهم من طريقة مؤذية وتكبرية فيه، تحت وساوس شيطانية تتخذ حيلاً شبه شرعية لتبريرها.

ومن التقصيرات التي نظنها هيّنة وهي عند الله عظيمة: إهمال أمور الناس وعدم التفكير بهمومهم وخلاصهم، فإننا وإن ظننا أنه لا يلزمنا ذلك إلا أنه يخرجنا عن حدود الإسلام كما في الحديث: (من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم).

ويؤجر المؤمن على همّه في قضاء حاجة أخيه المؤمن وإن لم يفلح في قضائها، فكيف بحاجة البشرية جمعاء وما نراه فيها من ظلامات وضياع وضلالات؟!.

وسأورد لكم حديثاً يتبين منه لكم حق المؤمن على المؤمن في الإسلام وكم ضيعنا منه لتعلموا كيف أننا أهملنا الشريعة الحقيقية ولم يبق في أعمالنا منها إلا هيكل مجرد يكاد ينخر مما زحف عليه من تقصيراتنا والله المستعان.

فعَنْ مُعَلّى بْنِ خُنَيْسٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله الصادق (عَلَيهِ السّلام)، قَالَ: ((قُلْتُ لَهُ مَا حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ؟ قَالَ (عليه السلام): لَهُ سَبْعُ حُقُوقٍ وَاجِبَاتٍ مَا مِنْهُنّ حَقٌّ إِلا وَهُوَ عَلَيْهِ وَاجِبٌ إِنْ ضَيّعَ مِنْهَا شَيْئاً خَرَجَ مِنْ وِلايَةِ الله وَطَاعَتِه وَلَمْ يَكُنْ لله فِيهِ مِنْ نَصِيبٍ.

قُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ وَمَا هِيَ؟

قَالَ: يَا مُعَلّى إِنّي عَلَيْكَ شَفِيقٌ أَخَافُ أَنْ تُضَيّعَ وَلا تَحْفَظَ وَتَعْلَمَ وَلا تَعْمَلَ.

قَالَ: قُلْتُ لَهُ لا قُوّةَ إِلا بِالله. (أي أني لا أتعهد بقوة نفسي على التطبيق ولكن أستعين بالله على ذلك، فعلم الإمام (عليه السلام) أنه يحسن التوكل وأنه سيعمل بما يوصيه).

قَالَ (عليه السلام): أَيْسَرُ حَقٍّ (أي أسهل ما يمكن تطبيقه) مِنْهَا: أَنْ تُحِبّ لَهُ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَتَكْرَهَ لَهُ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ.

وَالْحَقُّ الثّانِي: أَنْ تَجْتَنِبَ سَخَطَهُ وَتَتّبِعَ مَرْضَاتَهُ وَتُطِيعَ أَمْرَهُ. (لاحظوا هذا الحق بدقة، وتجنبوا استفزاز إخوانكم المؤمنين، وتعمدوا إرضاءهم، وطاعة أمرهم في ما يطرحونه من اقتراحات حتى ولو لم

تقتنعوا بفائدتها، فأطيعوا إخوانكم طالما ليس في طاعتهم تضييع لواجب من واجبات الحق، ولا تستنكفوا من ذلك).

وَالْحَقُّ الثَّالِثُ: أَنْ تُعِينَهُ بِنَفْسِكَ وَمَالِكَ وَلِسَانِكَ وَيَدِكَ وَرِجْلِكَ. (في أموره الدينية والدنيوية).

وَالْحَقُّ الرَّابِعُ: أَنْ تَكُونَ عَيْنَهُ وَدَلِيلَهُ وَمِرْآتَهُ.

وَالْحَقُّ الْخَامِسُ: أَنْ لا تَشْبَعَ وَيَجُوعُ وَلا تَرْوَى وَيَظْمَأُ وَلا تَلْبَسَ وَيَعْرَى (وينبغي لأجل ذلك السؤال عن أحواله لمعرفة حاجته وجوعه وظمأه، لأن الحديث لم يقل: أن لا تشبع وأنت تعلم أنه يجوع، فتأمل).

وَالْحَقُّ السَّادِسُ: أَنْ يَكُونَ لَكَ خَادِمٌ وَلَيْسَ لأَخِيكَ خَادِمٌ فَوَاجِبٌ أَنْ تَبْعَثَ خَادِمَكَ فَيَغْسِلَ ثِيَابَهُ وَيَصْنَعَ طَعَامَهُ وَيُمَهِّدَ فِرَاشَهُ (ومثله ما لو كانت لديك آلة تنجز فيها أعمالك وليس له، كآلة غسل الملابس وليس لديه).

وَالْحَقُّ السَّابِعُ: أَنْ تُبِرَّ قَسَمَهُ وَتُجِيبَ دَعْوَتَهُ وَتَعُودَ مَرِيضَهُ وَتَشْهَدَ جَنَازَتَهُ وَإِذَا عَلِمْتَ أَنَّ لَهُ حَاجَةً تُبَادِرُهُ إِلَى قَضَائِهَا وَلا تُلْجِئُهُ أَنْ يَسْأَلَكَهَا وَلَكِنْ تُبَادِرُهُ مُبَادَرَةً (أي لا تضطره أن يسأل الحاجة بنفسه أو يستحي من سؤالك فينطوي عنك!!).

فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ وَصَلْتَ وَلايَتَكَ بِوَلايَتِهِ وَوَلايَتَهُ بِوَلايَتِكَ)).

فانتبهوا أيها الإخوة الأعزاء إلى هذه الحقوق وأن تضييعها خروج من عنوان الإيمان الحقيقي وعن ولاية الله، ووازنوا أنفسكم الليلة وفقها.

وهناك روايات أخرى بيّنت من حق المؤمن على المؤمن ما هو من تطبيقات هذا الحديث.

وتبينوا كيف أننا بحاجة إلى تطبيق الإسلام بأجمعه لنخرج من استحقاق العذاب أولاً قبل أن نطمح لاستحقاق تعجيل الظهور والوصول إلى الإمام المنتظر (عجل الله فرجه)؛ لأنه (عليه السلام) وبالتأكيد سيُظهر لنا من تطبيقات الإسلام ما هو أدق ومن الحقوق ما هو ألزم، فإذا لم نطبق هذا المقدار مما وصلنا من تعليماتهم (عليهم السلام) فأنهم أشفق علينا من أن يضيفوا إلينا أوامرَ جديدة كما هو المتوقع يوم الظهور، فيزيدون تقصيرنا تقصراً وقسوة قلوبنا قسوةً حين نعلم ولا نعمل. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الخطوة الخامسة:

معرفة آبائه (سلام الله عليهم) وخصوصياتهم

لكل من المعصومين الأربعة عشر (عليهم السلام) خصوصية نافعة لشيعتهم، رغم أنهم كلهم نور واحد، ويمكن أن نتحسس تلك الخصوصية من عدة نواحي:

منها ما أشعرت به الأحاديث الشريفة من اختصاص كل منهم بشفاعةٍ ما في أمر معين، مثل ما رواه صاحب البحار من دعاء التوسل بهم (عليهم السلام): (اللهم صل على محمد وعلى ابنته وعلى ابنيها وأسألك بهم أن تعينني على طاعتك ورضوانك، وتبلغني بهم أفضل ما بلغت أحداً من أوليائك إنك جواد كريم، اللهم إني أسألك بحق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلا انتقمت لي ممن ظلمني وغشمني وآذاني وانطوى على ذلك وكفيتني به مؤنة كل أحد يا أرحم الراحمين، اللهم إني أسألك بحق وليك علي بن الحسين إلا كفيتني مؤونة كل شيطان مريد، وسلطان عنيد، يتقوى علي ببطشه وينتصر علي بجنده إنك جواد كريم، اللهم إني أسألك بحق محمد وابنه جعفر إلا أعنتني بهما على طاعتك ورضوانك وبلّغتني بهما ما يرضيك إنك فعال لما تريد، اللهم إني أسألك بحق موسى بن جعفر إلا عافيتني به في جميع جوارحي ما ظهر منها وما بطن يا جواد يا كريم، اللهم إني أسألك بحق وليك الرضا علي بن موسى إلا سلمتني به في جميع أسفاري في البراري والبحار، والجبال والقفار، والأودية والغياض، من جميع ما أخافه وأحذره، إنك رؤوف رحيم، اللهم إني أسألك بحق وليك

محمد بن علي إلا جُدت به عليّ من فضلك، وتفضّلت به عليَّ من وُسعك ووسّعت علي رزقك وأغنيتني عمن سواك وجعلت حاجتي إليك وقضاها عليك إنك لما تشاء قدير، اللهم إني أسألك بحق وليك علي بن محمد إلا أعنتني به على تأدية فرضك، وبر إخواني المؤمنين، وسهّل ذلك لي، واقرُنه بالخير وأعني على طاعتك بفضلك يا رحيم، اللهم إني أسألك بحق وليك الحسن بن علي إلا أعنتني على آخرتي بطاعتك ورضوانك وسررتني في منقلبي برحمتك، اللهم إني أسألك بحق وليك وحجتك صاحب الزمان إلا أعنتني به على جميع أموري، وكفيتني به مؤونة كل مؤذ، وطاغ وباغ، وأعنتني به فقد بلغ مجهودي وكفيتني كل عدوّ وهمٍّ وغمٍّ ودَينٍ، وولدي وجميع أهلي وإخواني ومن يعنيني أمره وخاصتي آمين رب العالمين).

رغم أن الحوائج المذكورة في هذا الدعاء من الممكن التوجه بها جميعاً إلى أي أحد من المعصومين (سلام الله عليهم) لقضائها إلا أن الدعاء خصّ كلا منهم بجانب من التوسل، ربما للتنبيه إلى خصوصية كل منهم، والظاهر أن تلك الخصوصية لا تتعلق بذواتهم المطهرة، بل لأن تلك الخصوصيات تتعلق بما مرّ بهم (عليهم السلام) في الحياة الاجتماعية فصارت الناس تتذكر القصة التي عُرفوا به، فهم (سلام الله عليهم) كلهم كرماء وكلهم يُغيثون المستغيث وكلهم مهتدون مهديون، ولكن لأجل أن يتعلق بهم قلب المؤمن الداعي المستشفع فلا بد من التركيز على النقطة التي فتحت عواطف قلبه إلى المعصوم المتوسَّل به.

لاحظوا كيف توسّل الداعي بالإمام الرضا (عليه السلام) في الأسفار وتذكّر ما عرض على ذاك الإمام العظيم (عليه السلام) من السفر إلى الفيافي البعيدة.

وربما كان للتوسل بالمعصومين (عليهم السلام) تذكير للداعي أن لا يجزع أمام البلاء الذي يصيبه أو الأمر الذي يتخوف منه وأن يتأسّى بالمعصومين (عليهم السلام) في جميع أموره وما مرّ عليهم من أمثال المصائب وأضعافها، ولكي يَحضُروا في ذهنه وتحضر مصائبهم قبل مصيبته، فجميع البلاءات المعروفة قد مرّت بهم (سلام الله عليهم) قبل شيعتهم، فيكون الداعي بين خيرين أحدهما أنه قد يتأسّى بالمعصومين (عليهم السلام) ويتسلى عن بلائه بما مرّ عليهم فيحبّ مواساتهم وتطيب نفسه مهما مر عليه من البلاء، وإما أن يرفع الله البلاء عنه لأنه اغتم مما مر من البلاء على إمامه فلا تكون هناك حاجة إلى ابتلائه فالغاية النفسية قد تحققت لديه[1].

ويشهد لهذا الفهم ما رواه صاحب البحار بعد هذا الدعاء قال: (عن أبي الوفاء الشيرازي قال: كنت مأسوراً بكرمان في يد ابن إلياس مقيداً مغلولاً فأخبرت أنه قد همّ بصلبي فاستشفعت إلى الله عز وجل بزين العابدين علي بن الحسين عليه السلام، فحملتني عيني فرأيت في المنام

---

(١) مثال ذلك التعويض ما ورد في ثواب ختان الطفل في اليوم السابع أو الثامن من أن الطفل إذا كبر لن يبتلى بحر الحديد، فنفهم منه أن البلاء الذي يقتضيه حال بعض المؤمنين حين يموت ولدهم قتلاً بحر الحديد سيرفع عنهم بهذا البلاء حين يشاهدون طفلهم الصغير جداً البريء وقد ذاق حرّ الحديد فتتأذى قلوبهم بما يرفع الحاجة لابتلائهم بقتله حين يكبر فهذه اليوم تعادل تلك غداً.

رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول: لا يُتَوسل بي ولا بابنتي ولا بابني في شيء من عروض الدنيا بل للآخرة، وما تؤمل من فضل الله عز وجل فيها، فأما أخي أبو الحسن فإنه ينتقم لك ممن يظلمك. فقلت: يا رسول الله أليس قد ظُلمت فاطمة فصبر، وغُصب هو على إرثك فصبر، فكيف ينتقم لي ممن ظلمني؟ فقال صلى الله عليه وآله: ذلك عهدٌ عهدتُه إليه وأمرته به ولم يجد بُداً من القيام به، وقد أدى الحق فيه، والآن فالويل لمن يتعرض لمولاه وأما علي بن الحسين فللنجاة من السلاطين، ومن مفسدة الشياطين، وأما محمد بن علي وجعفر بن محمد فللآخرة، وأما موسى بن جعفر فالتمسْ به العافية وأما علي بن موسى فللنجاة في الأسفار في البر والبحر، وأما محمد بن علي فاستنزل به الرزق من الله تعالى، وأما علي بن محمد فلقضاء النوال وبرّ الإخوان، وأمّا الحسن بن علي فللآخرة وأما الحجة فإذا بلغ السيف منك المذبح - وأومأ بيده إلى حلقه، فاستغثْ به فهو يغيثك، وهو كهف وغياث لمن استغاث به.

فقلتُ: يا مولاي يا صاحب الزمان أنا مستغيثٌ بك، فإذا أنا بشخص قد نزل من السماء تحته فرس، وبيده حربة من حديد، فقلت: يا مولاي اكفني شر من يؤذيني، فقال: قد كفيتك فإنني سألت الله عز وجل فيك وقد استجاب دعوتي. فأصبحتُ فاستدعاني ابن إلياس وحلّ قيدي، وخلع عليّ وقال: بمن استغثت؟ فقلت: استغثت بمن هو غياث المستغيثين، حتى سأل ربه عز وجل، والحمد لله رب العالمين).

ومن الشواهد على خصوصية كل إمام كم أئمة أهل البيت (عليهم السلام): ما روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (إن هذا الأمر لا يكون لكم حتى يكون هناك اثنا عشر خليفة..) الحديث.

وفي غيره (إن أمر هذا الدين لا يزال ظاهراً حتى يكون هناك اثنا عشر إماماً..).

وليس المراد –على ما يبدو- مجرد الفترة الزمانية التي من الممكن أن يعيشها إمامان أو ثلاثة في مرحلة عمر طبيعية، بل المراد التركيز على تمام عدتهم بما تحمله منظومتهم سلام الله عليهم من معنى متكامل بما يضيفه كل إمام لنور هذا العالم.

إلى هنا ربما نكون قد اقتنعنا بخصوصياتهم سلام الله عليهم، ولكن هل لنا أن نعرف ما تلك الخصوصيات ولماذا اختصّ كل منهم بخصوصية؟

الاحتمال الأول: أن الظروف الاجتماعية هي التي أوجبت أن يكون لكل منهم (عليهم السلام) خصوصية مثل أن تكون الأمور المالية قد تحسّنت في زمان الإمام الحسن سلام الله عليه واستقرت أوضاع الدولة بحيث سهل وصول المحتاجين إلى دار الإمامة في المدينة فظهرت صفة الكرم لدى الإمام الحسن (عليه السلام) بصورة أكثر من سواه من الأئمة (سلام الله عليهم) رغم أن كل عطائهم كرم وجود صغيراً كان أو كبيراً، فنحن نؤمن أن الكرم لا يتعلق بحجم العطاء إلا بمقدار إخلاص المعطي، وهم (عليهم السلام) معدن الإخلاص ومنبعه، فظهرت صفة كرم الأئمة (عليهم السلام) للناس من باب الحسن (عليه السلام) لأن الظرف سمح بذلك.

وظهرت صفة التضحية من أجل المحبوب للناس من باب الحسين (عليه السلام) لما مرّ به في ملحمة كربلاء المقدسة.

وهذا نظير ما يقال في الفقه من أن الأئمة (عليهم السلام) مرّوا بتقلبات اجتماعية طيلة القرون الثلاثة من عمر الشريعة فظهر منهم من

الفقه ما يناسب تلك التقلبات بحيث أصبح لدينا ثروة من الأحاديث التي فصلت الأحكام الدينية في مختلف الظروف. كذلك الأمر في المعرفة العقائدية والأخلاق وسائر الخيرات.

والاحتمال الآخر: أن قصور المجتمع يجعله لا يكتسب ما يريد الأئمة (عليهم السلام) إيصاله إليه إلا إذا كان مفصّلاً، فمثلاً كان المجتمع يفهم من علي بن أبي طالب (عليه السلام) التشدد في الإصلاح والقوة في الحق وجهاد الأعداء، ومع أن ولده الحسن (عليه السلام) كان بمثل شجاعته حتى أن أمير المؤمنين (عليه السلام) حين رآه يتسرع في الحرب يوم صفين قال: (املكوا عني هذا الغلام لا يهدّني مقتله..) بالرغم من أنهما (سلام الله عليهما) بنفس الشجاعة إلا أن المجتمع لن يتمكن من الاحتفاظ بوهّاجيّة صورة علي بن أبي طالب لو أنه (عليه السلام) هو الذي اضطر لبيعة معاوية التي اضطر إليها الحسن (عليه السلام)؛ لأن حال المجتمع كان يقتضي ذلك.

وكذلك الأمر مع سائر الأئمة (عليهم السلام)، فكان تبديل الأئمة (عليهم السلام) خلفاً بعد سلف يوحي للمراقبين بنوع من التغيير، يسمح بتربية المجتمع من وجهة أخرى مع الاحتفاظ بوهاجية الوجهة الأولى، حين يجمد المجتمع على فهم الإمام الأول، مع أن كل الإمام من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) يدور الحق معه أنى دار[1].

---

(١) وكذلك يسمح ذلك التبديل بتخفيف وطأة الطاغية الذي يقتل الإمام المعاصر له فيظن أن الإمام الجديد لن يكون بمستوى الإمام الماضي من حيث القوة الاجتماعية والتفات الناس عليه، وقد تكلمنا عن مثل هذه الأمور في بحث سابق بعنوان (وفيات الأئمة تربية للأمة).

ويحتمل كذلك أن خصوصية الأئمة (عليهم السلام) ليست فيما علق في فهم الناس ناحيتهم، بل في تجليات أنوارهم في النفوس وفي عالم المعنى، فمع أن سلوك كل إمام في عصره كشف عن معاني فقهية وعقائدية خاصة كان لا بد من عرضها رويداً للناس، كان لهم (سلام الله عليهم) تجليات مناظرة في عالم النفوس وأنوار القلوب، حتى تترقى الكائنات للوصول إلى يوم القيامة والورود من حوض الحقيقية الكبرى يوم القيامة، ففي الكافي عن أبي خالد الكابلي قال: (سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُورِ الذِي أَنزَلْنَا﴾ فقال: يا أبا خالد النور والله الأئمة عليهم السلام، يا أبا خالد: لنورُ الإمام في قلوب المؤمنين أنورُ من الشمس المضيئة بالنهار، وهم الذين ينوّرون قلوب المؤمنين، ويحجب الله نورهم عمن يشاء فتظلم قلوبهم ويغشاهم بها)[1].

وخصوصياتهم (عليهم السلام) ليس من حيث نوع النور؛ لأن النور واحد وله أصل واحد في جميعهم، ولكنه يشتد من إمام إلى إمام لاستفادة كل إمام ممن قبله فتتراكم شدة النور في قلوب شيعتهم ﴿نُورٌ عَلَى نَورٍ﴾(النور:٣٥) وليس ذلك لقصور في أحدهم وحاشاهم (سلام الله عليهم) بل لأن ظلام المجتمع هو الذي يحجب نورهم الأزلي من أن يملأ الدنيا نوراً، ففي الكافي أيضاً عن صالح بن سهل الهمداني قال: (قال أبو عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿اللهُ نُورُ السَمَاوَاتِ وَالأرضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشكاة﴾ ﴿المِشكَاة﴾: فاطمة عليها السلام، ﴿فِيهَا مِصبَاحٌ﴾: الحسن، ﴿المِصبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾: الحسين، ﴿الزُجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوكَبٌ دُرِّيٌّ﴾

---

(١) الكافي: ج١، صفحة ١٩٤.

فاطمة كوكب دري بين نساء أهل الدنيا، ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾: إبراهيم عليه السلام، ﴿زَيتُونَةٍ لا شَرقِيَّةٍ وَلا غَربِيَّةٍ﴾: لا يهودية ولا نصرانية، ﴿يَكَادُ زَيتُهَا يُضِيءُ﴾: يكاد العلم ينفجر بها، ﴿وَلَو لَمْ تَمسَسهُ نَارٌ، نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾: إمام منها بعد إمام، ﴿يَهدِي اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾: يهدي الله للائمة من يشاء، ﴿وَيَضرِبُ اللهُ الأَمثَالَ لِلنَاسِ﴾، قلت: ﴿أَو كَظُلُمات﴾ قال: الأول وصاحبه ﴿يَغشَاهُ مَوجٌ﴾: الثالث ﴿مِنْ فَوقِهِ مَوجٌ.. ظُلُمَاتٌ﴾: الثاني ﴿بَعضُهَا فَوقَ بَعضٍ﴾ معاوية لعنه الله وفتن بني أمية ﴿إِذَا أَخرَجَ يَدَهُ﴾ المؤمن في ظلمة فتنتهم ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا، وَمَنْ لَمْ يَجعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً﴾ إماماً من ولد فاطمة عليها السلام ﴿فَمَا لَهُ مِن نُورٍ﴾ إمام يوم القيامة. وقال في قوله: ﴿يَسعَى نُورُهُم بَينَ أَيدِيهِم وَبِأَيمَانِهِم﴾: أئمة المؤمنين يوم القيامة تسعى بين يدي المؤمنين وبأيمانهم حتى ينزلوهم منازل أهل الجنة).

ومعرفة أنوار الأئمة (عليهم السلام) تتطلب مقداراً من المراقبة والالتفات إلى النفس ومعرفة ما تقدم من أنهم (عليهم السلام) منبع الطاعات ومعدن العلم الذي يتفجر في النفوس، ومحل الحكمة، ومن المفيد جداً متابعة سيرة حياتهم الشريفة والتعرف على تصرفاتهم وأقوالهم ووصاياهم وما حصل في زمانهم من أحداث، والالتفات إلى أنهم مصدر جميع الطاعات، وتفصيل ذلك يعرفه من يستحقه ويناله بكدّه، ﴿جَنَّاتِ عَدنٍ مُفَتَّحَةً لَهُم الأَبوَابُ﴾(ص:٥٠)، فمن أراد فليدخل عالم النور من أبوابه التي فتحها الله تعالى لعباده فلا ممسك لها، فالطرق شارعة ومفتّحة ولكن لا يمكن دخولها وقطعها إلا بالعمل والإخلاص، أما التمني والكلام

والتصورات التي تصفها الأقلام، فليست هي الأبواب الموصلة ﴿وأتُوا البَيوتَ مِن أبوَابِهَا﴾(البقرة:١٩٨) (ومن دخل من غير الباب سُمّي سارقاً).

ويمكن للإخوة المؤمنين أن يجعلوا من أيام الأسبوع برنامجاً للتعرف على الأئمة (عليهم السلام) ومطالعة سيرتهم ووصاياهم، وملاحظة حاله في تلك الأيام وما يعرض عليها من موارد التربية وابتلاءات النفس، وقراءة الزيارات الخاصة بكل إمام في يومه المخصص كما في كتاب مفاتيح الجنان، فالسبت لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والأحد لأمير المؤمنين والزهراء (عليهما السلام) والاثنين للحسن والحسين (عليهما السلام) والثلاثاء للإمام زين العابدين والإمام الباقر والإمام الصادق (عليهم السلام) والأربعاء للإمام الكاظم والإمام الرضا والإمام الجواد والإمام الهادي (عليهم السلام) والخميس للإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، والجمعة للإمام المهدي (عجل الله فرجه).

أعانكم الله على العمل والعلم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الخطوة السادسة:

معرفة سر غيبته (سلام الله عليهم)

الإمام هو الخير كلّه.. هو الشمس الساطعة في وسط السماء وهو الروضة وهو الغدير وهو الماء المعين، وهو الرحمة الواسعة وهو باب الله الذي منه يؤتى وهو الرحمة الموصولة وهو وجه الله الذي به يتوجه الأولياء إلى الله تعالى...

فكيف يقرّ للمؤمن قرار وهو لا يراه؟ وكيف لا يتحسّر على هذا الفقدان الكبير والخسارة الفاجعة حتى تأكل الحسرة قلبه وتملأ الآهات ليلته ويومه؟.

لا نشك أن الله أرحم الراحمين وكريم لا تزيده كثرة العطاء إلا جوداً وكرماً، فكيف حُرمنا نحن الأجيال المتأخرة من ذلك النور الشامل التام؟ هل هو بسبب ذنوب الأجيال السابقة أم أن لدينا بدورنا ذنوباً تحجبنا عنه؟

فما هو سر غيبة ذلك الوجود المبارك عن أعيننا وفقدان ذلك الماء المعين عن قلوبنا الظامئة؟

إن أذهان المنتظرين قد تخطر فيها عدة احتمالات للجواب:

الاحتمال الأول: أنه بسبب قوى الشر التي تحاول الإجهاز عليه (عجل الله فرجه) لما تدركه من خطره عليها، فهو الذي يزيل الطواغيت ويقيم العدل، وهم لا يريدون ذلك لأنهم أسسوا أساس حكمهم على الظلم والجور، فمن المؤكد أنهم يعلمون في قرارة أنفسهم أنه سيزيلهم من عروشهم ويجعلهم والناس سواء في العدل، سيحاسبهم على جرائمهم.

وخوف الطواغيت من الإمام المهدي (عليه السلام) يكشف عن إيمانهم بأحقيته، مثالهم مثال فرعون الذي كان يقتل كل ولد ذكر من بني إسرائيل لإيمانه الباطني بصدق النبوءة التي أخبرت عن زوال ملكه على يدي مولود يولد في بني إسرائيل، وظلم فرعون وصراع الطواغيت ضد الإمام المهدي (عليه السلام) يكشف عن هروبهم من حقيقة أنفسهم، فإنهم يفرون من ذواتهم بشكل يكشف عن جحيم خاص بهم، فإنهم لو كانوا حقاً غير مؤمنين بالله وبالإسلام وبولادة المهدي ووجوده لما كان هناك داعٍ من وجهة نظرهم للقلق والسعي للتخلص منه أو تأجيل ظهوره، ولكنهم ﴿جَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً﴾(النمل:١٤) فهم يعيشون هذا التناقض والصراع والعذاب بين حقيقتهم وموقفهم النفسي المنحرف عن الحق، بل هم يخافون من الحق عموماً حتى وإن لم يؤمنوا بالمهدي (عليه السلام) ولا يودّون الوقوف أمام النفس للإجابة عن قيمة أعمالهم الأخلاقية وهي أعمال خسيسة أم نبيلة.

ويكشف لنا موقف الطغاة ضد الإمام المهدي (عليه السلام) عن حقيقة هذه القضية وجدّيّتها وخطرها في التأريخ، وكان حكام بني العباس في آخر عهد الأئمة (عليهم السلام) يتشددون في الرقابة والاغتيال للقضاء على محور بشارة النبي (صلى الله عليه وآله) بظهور الإمام القائم (عليه السلام) وأنه من ذريته، حتى لقد قُتل الأئمة (عليهم السلام) المتأخرون بأعمار مبكرة من قبل طواغيت عصورهم، كل ذلك لمغالبة قضاء الله الغالب وتأخير زوالهم عن عروشهم.

ولو لاحظنا ظروف اغتيال كل إمام وموقف الطغاة حينها وبعد استشهاد كل الإمام لاكتشفنا أن أسباب اغتيال الأئمة المتقدمين (عليهم

السلام) كانت بسبب خوف الطغاة من جماهيريتهم وقوتهم الاجتماعية، لذا كانوا يفتُرون بعد الاغتيال ولا يستمرّون بالقتل، أما سبب اغتيال الأئمة المتأخرين فلم يكن بسبب ذلك؛ لأن الأئمة المتأخرين (عليهم السلام) كانوا مقيدين اجتماعياً ولم تكن جماهيرهم من القوة بحيث يخشى السلطان من ثوراتهم كما هو شأنهم في العصور الأولى، بل نجح السلطان العباسي في جعل الناس يتعوّدون غياب الإمام (عليه السلام) ويمارسون حياتهم وتعايشهم مع السلطة كأمر طبيعي، وقد قتل الحاكم العباسي الإمام العسكري وطلب ابنه ليقتله في نفس الوقت، بينما حين قتل هارونُ العباسي الإمام الكاظم (عليه السلام) قال له يحيى البرمكي: هذا علي ابنه قد ادعى الإمامة بعده وأنت قلت أن من ادعاها من بني علي بعده قتلته، فنهره هارون وقال: تريدني أن أقتلهم كلهم؟! مما يدل على أن سبب اغتيال الأئمة المتأخرين (عليهم السلام) كان لأجل استئصال نور الإمام المهدي (عليه السلام) بعد أن أصبحت بشارة النبي (صلى الله عليه وآله) به من مسلّمات التراث النبوي الشريف، بينما كان يتحفظ الأئمة المتقدمون (عليهم السلام) عن تفاصيل ذلك إلا عن خاصة شيعتهم، ربما لحمايةً لسلسلة الأئمة وذريتهم، أو لأسباب تربوية كي ينتظر الموالون الفرج صباح مساءً بدل أن يبعدوا آمالهم إلى آخر السلسلة، أو لإمكانية تحقق الفتح العام والنصر المبين على يدي الأئمة (عليهم السلام) ثم تستمر الإمامة لإنتاج الإمام الثاني عشر (عليه السلام) وما يتوقف عليه من إنجازات بعد الظهور.

ولهذا نجد من أصحاب المعصومين (صلوات الله عليهم) من يدرك أن الفتح سيتم على يدي الإمام الأخير، ومنهم من ينتظره مع كل إمام.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (لا بد لصاحب هذا الأمر من غيبة، فقيل له: ولِمَ؟ قال: يخاف، وأشار إلى حلقه بيده أو عنقه، أي يخاف الذبح).

فهذا السبب -أي طلب الطواغيت للإمام (عليه السلام) لغرض قتله- سيستمر إلى نهايات لا بد منها:

١- إما أن يبقى إلى أن تضعف الحكومات الطاغوتية أو يتغير شكل الحكم في المجتمعات، فلا تبقى هناك سلطة لشخص يحرك بها الجيوش والأسلحة.

وهو بعيد لأننا سنسمع أن السفياني سيحرك جيشه لقتل الإمام (عليه السلام)، إلا إذا حصل البداء في طبيعة جيش السفياني.

٢- أو أن يتأخر الظهور إلى أن ينصلح حال جميع البشر حتى الطواغيت، فلا يخاف الإمام (عليه السلام) بعدها من أحد منهم.

وهو بعيد جداً ويتطلب تأريخاً مديداً لو سلّمنا بتقدم المستوى العقلي زمان الغيبة بحسب فهمنا.

٣- أو أن يكون تحرك الإمام (عليه السلام) قبيل ظهوره بحيث يضمن دعماً شعبياً مبكراً من قبل المجتمع لا يسمح بالقضاء عليه قبل طرح حجته.

وهو بعيد من حيث أن تربية المجتمع بشكل سري لا يضمن تربية بهذا المستوى، والظاهر أن التأثير التكويني في نفوس العالمين ليس هو الآلية المعتمدة للإصلاح فترة الغيبة إلى هذه الدرجة، ولو كان لتم الأمر منذ زمان بعيد بل منذ البعثة النبوية الشريفة بالمعجزة، وربما كانت هذه الهداية الباطنية قوية ولكن أهواء الناس وتمردهم

يغطي عليها ويمنع تأثيرها ويحجب نورها، ولعمري إن الناس تدرك الحق في كثير من الأحيان وينبهها الضمير للتي هي أقوم في كل موقف ومورد ولكنهم يغضّون عنه ويسكتون صوت الضمير ويهملونه حتى يخفت.

٤- أو أن يتقوّى أنصاره بحيث يضمنون سلامته في أي عمل عدواني يتوجه ضده.

٥- أو أنه (عليه السلام) سيتحرك ضمن عنوان سري يضمن إيصال فكرته وقناعة الناس بثورته قبل الإعلان عن شخصه الكريم، فيتعرف الآخرون على أفكاره قبل شخصه ويقتنعون بعدالة قضيته، قبل أن يسمح الوقت لإعلان الحرب عليه من قبل الأعداء.

وهو قد ينفع في بعض الإصلاحات، ولكن دعوة الإمام المهدي (عليه السلام) لها خصوصية لا بد معها من إعلان شخصيته الرئيسية للمجتمع، لاحظ كيف احتج زرارة على زيد بن علي حين دعاه الأخير لنصرته، قال زرارة: هل يكون هناك أمامان في زمان واحد؟ قال: زيد: لا، قال زرارة: فإني أدّخر حياتي لإمام زماني. وكذلك سيفكّر جملة كبيرة من الناس فلا يغامرون مع شخصية مجهولة مهما كانت صالحة خصوصاً وأنهم سيقاتلون ويقتلون فئات من أعدائهم ويقومون بأعمال لا يصلح أن يقوم بها إلا المهدي عجل الله فرجه كتعديل مقام إبراهيم (عليه السلام) ومحاكمة المنافقين الأوائل وغيرها.

ولا بد أن ننوه إلى أن خوف الإمام (عليه السلام) ليس على نفسه كشخص، فهو (عليه السلام) لا يخاف من الموت، كيف! والأشياء مطيعة

لهم والفلك يدور عليهم والأرض التي تحمل أبدانهم تسبح بهم، بل لأنه (عليه السلام) متعبد في هذا العالم بالأسباب الطبيعية التي جعلها الله تعالى لحكمة لا بد منها فحمايته لنفسه تشكل عبادة بحد ذاتها لحفظ المحور الأساسي للظهور المقدس وحفظ البقية الإلهية في الأرض.

الاحتمال الثاني: أن الشيعة لا زالوا ليسوا بمستوى حمايته (عليه السلام) وحمل مشروعه، ليس من حيث القوة العسكرية فقط بل من حيث استيعاب رسالته ودعوة الناس إليه، بل وتطبيق الإسلام في جميع مفاصل حياتهم، ويدل على ذلك الخبر المروي عن الإمام السجاد (عليه السلام) حينما قال له أحد الزوار –وكان من خراسان- إن لك في خراسان مائة ألف سيف (من أنصارك، فلمَ لا تقوم بوجه السلطة) قال (عليه السلام): هل يأتي أحدكم لبيت أخيه فلا يجده فيطلب كيسه (كيس ماله) فيأتونه به فيأخذ منه حاجته، فإذا جاء الرجل وقيل له ما فعل أخيه بكيسه: لم يعدّ المال خلفه؟ قال الزائر: لا، ليس فينا ذلك، قال (عليه السلام): فهم بدمائهم أبخل، أي أن من يعدّ المال خلف أخيه أو يمنع أخيه من أخذ المال منه في غيابه فهو بخيل، ومن يبخل بالمال سيكون أبخل بالدم، فلا يصلح للقتال بين يدي الإمام كما لا يصلح للعيش في ظل دولته.

وفي رواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) وقد تمنّى أحد أصحابه تعجيل الظهور، فقال له (عليه السلام): ما الذي تمدّون إليه أعناقكم؟! وهل هو إلا أكل الجشب ولبس الخشن والنوم فوق السُرُج؟ يشير (عليه السلام) إلى صعوبة العيش وشدته في الفترة التي يفتح فيها العالم عجل الله فرجه.

ولا زال هذا المستوى بعيداً كما نرى، لذا يكون من الحكمة والرحمة رفع المسؤولية وتأخير الظهور لئلا يفشل كثير من الناس في عهده حين يعجزن عن تطبيق الإسلام على مفاصل حياتهم وتفاصيلها، قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا﴾(الإسراء:٥٩) ففي الرواية أن قريشاً جاؤوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالوا له: نحن نريد منك أن تجعل لنا جبل الصفا ذهباً وتزيح عنا الجبال فنزرع فإن أرضنا لا تنبت من الصخر، فنزل جبرائيل (عليه السلام) على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال له: إن شئت أن نستأني بهم (أي ننتظرهم) لعلنا نجتني منهم خيراً، أو نفعل لهم الذي أرادوا فإذا كذبوا أهلكناهم كما أهلكنا الذين من قبلهم؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): بل نستأني بهم لعلنا نجتني منهم خيراً، فنزلت الآية ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ..﴾.

فعلينا أن نشكر هذه الرحمة المحمدية التي أخّرت عنّا تجلي الآيات ونحن على ما نحن عليه من التقصير خوفاً علينا من مسؤولية تحملها قبل أوانها، قال تعالى بشأن المائدة التي طلبها الحواريون من عيسى (عليه السلام): ﴿قَالَ اللّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾(المائدة : ١١٥).

الاحتمال الثالث: الخوف من الشيعة أنفسهم (أو الخوف عليهم من هلاك الاعتراض) فضلاً عمن سواهم: أي أن هناك معارف ترافق الإعلان عن ظهور الإمام (عليه السلام) يستنكرها طائفة من الشيعة ولعلهم يحاربون الإمام عجل الله فرجه بسببها، فيستأني بهم الله تعالى حتى يدركونها.

روي عن الإمام السجاد (عليه السلام) قوله:

يا ربّ جوهر علمٍ لو أبوح به   لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا

ولاستحلَّ رجال مسلمون دمي   يـرون أقبح ما يأتـونه حسنا

وفي الرواية عن الإمام الصادق (عليه السلام): قال: إذا قام القائم يحكم بحكم آدم (عليه السلام) فينكر عليه أقوام ممن ضربَ قدّامه بالسيف (أي من جنوده) فيقدّمهم فيضرب أعناقهم، ثم يحكم بحكم نوح (عليه السلام) فينكر عليه أقوام ممن ضرب قدامه بالسيف فيقدمهم فيضرب أعناقهم، ثم يحكم بحكم داوود فينكر عليه أقوام ممن ... إلى آخر الرواية التي تدل على فشل عدد من جنوده ممن قاتل معه أول الظهور، لذا من المتوقع أن الرحمة ستنتظر بتأخير الظهور إلى نضوج عدد كبير لا يفشل مهما حكم الإمام (عليه السلام) أمامه من أحكام. قال تعالى: ﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللّهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾(يوسف:٦٤).

الاحتمال الرابع: أن تكون تربية المؤمنين تتطلب مغيب شخص الإمام (عليه السلام) عنهم.

ذلك أن فئات كثيرة من الشيعة كانت ترى في شخص الإمام (عليه السلام) خلاصاً من الوضع السياسي المتأزم، وقائداً سياسياً بديلاً عن الأنظمة الحاكمة، وحلاً للصعوبات التي يمرون بها، ومثل هؤلاء لا ينتبهون لقضية الإمام (عليه السلام) في حال الرخاء، كما أنهم لن يفهموا شيئاً عن مقامات الإمام النورية لأن شخص الإمام وجسده قد حجبهم عن مشاهدة أنواره، ﴿هل هَذَا إِلا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾(الأنبياء:٣) فتطلبت الحكمة أن يغيب

شخص الإمام (عليه السلام) ليركز الأتباع على مقامات الإمام العقائدية والنورية دون شخصه.

ولا زالت إلى اليوم بعض الجماعات المنتمية للتشيع حينما لا يطيقون تصور وفهم تلك المقامات العالية يلجأون إلى تبسيط المعاني الشامخة لهم (عليه السلام) حتى جعلهم البعض مجرد علماء أبرار وجوّزوا عليهم الخطأ والجهل وقصروا عصمتهم على الأمور الأخلاقية، تحت ضغط التفكير المادي المنحرف، مع أن النصوص كثيرة تملأ ما بين الخافقين من التعريف بمقاماتهم النورية كما في الزيارة الجامعة ذات السند القوي (خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرشه محدقين).

وقد مرت عصور الشيعة بأوقات حرجة حتى صار من يتحدث بمقامات أهل البيت (عليه السلام) ومعجزاتهم يعد مغالياً –أحياناً– ويستوجب قصّ جناحيه وإخراجه من حواضر العلم، قال بعض الأكابر: (إن أول الغلو نفي السهو عن النبي (صلى الله عليه وآله)). ونحمد الله تعالى أن الرؤية والفهم لأهل البيت (عليهم السلام) تعمقت في زماننا اليوم ولكنها لم تزل دون المطلوب المناسب لعصر الظهور بحسب فهمي.

الاحتمال الخامس: أن يكون سرّ الغيبة هو المباغتة لتحقيق الأهداف العسكرية أو العقائدية، فقد سئل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن موعد الظهور فقال: إنما مثله مثل الساعة ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً﴾(الأعراف:١٨٧).

والمباغتة كانت تعبّر عن سرّ من أسرار التربية، ذلك أنها تعني حفظ الأسرار وعدم إعلانها ووصولها إلى العدو، وتعني كذلك أن

الوسط الشيعي أصبح ناضجاً ومحصّناً بحيث لا تخرج أسراره من بين صفوفه، مما يدل على تنظيم عالي الكفاءة وتحصين من الاختراق مناسب للمعركة المستقبلية القاصمة ضد الكفر والانحراف.

ففي الحديث الشريف بشأن موعد قيام دولة الحق: (أن الفتح كان مكتوباً له سنة السبعين، فلما قتل الحسين (عليه السلام) أجّله الله تعالى إلى المائة وأربعين، فأخبرناكم به فأذعتموه، فأجله الله ولم يجعل لكم موعداً).

ويتحدث الحديث الشريف عن خطة كانت عند أهل البيت (عليهم السلام) للسيطرة على الحكم وإنقاذ الأمة من الانحراف عام ١٤٠ للهجرة ولكن بعض شيعتهم أذاعوا الخبر حتى وصل إلى أعدائهم (بني العباس) فسيطر العباسيون على مقاليد الثورة وصادروا الأنصار والعواطف حين علموا الشخصيات المؤثرة فتواصلوا معهم بزعم أنهم أبناء عمومة الأئمة وأنه لا فرق في البيت الهاشمي، حتى تمكّنوا من الثورة وصادروها وكانت إعلاناتهم في البدء من أجل الثورة والثأر لأهل البيت، وقدم الشيعة معهم أقسى التضحيات، ولكنها ضاعت وللأسف الشديد لتؤسس دولة بني العباس كل ذلك بسبب استعجال الشيعة وعدم معرفتهم لأئمتهم.

مع العلم أن مَن صنع العدد الكبير من الأنصار في خراسان وغيرها هم الأئمة (عليهم السلام) حيث كانوا يشترون العبيد ويعتقونهم بعد تعليمهم وتعزيزهم مادياً ليردوهم إلى أقوامهم أقوى اجتماعياً، وهكذا وبهذه الطريقة وغيرها من التعليم والتفقه حتى تجمع عدد كبير من الشيعة يؤمنون بمظلومية أهل البيت (عليهم السلام) وعدالة شأنهم ويستعدّون

لبذل مهجهم في سبيلهم تأسيس دولتهم، ولكن الخلل كان في إعلان الأسرار قبل نضج الأمر وحسن الظن بغير أهله في زمان السوء.

ولا زال الوضع على ما هو عليه إلى يوم الناس هذا، حيث نجد كل يوم من يقول بالتوقيت وتحديد زمان الظهور من علم الحروف أو من الرؤيا أو من الظن والتخمين واستقراء الوضع السياسي، ويكذّبهم الزمان كل يوم ولكنهم لا يستحيون ولا يرعوون، والحديث المعروف عن أهل البيت (عليهم السلام): (إنا أهل بيت (أي أن هذا من أسرار البيت) لا نوقّت (أي لا نحدد وقتاً للأمر) فمن جعل لهذا الأمر وقتاً فلا تهابنَّ أن تكذبه) أي سواء أكان هذا الموقّت خطيباً أو مثقفاً أو عبقرياً..

الخطوة السابعة:

إدراك دلالات علامات الظهور

هناك مجموعة كبيرة من الروايات التي تحدث فيها المعصومون (عليهم السلام) عن حوادث مستقبلية بعضها مقترن بزمان الظهور المبارك الآتي، وبعضها الآخر اتضح لنا بعد مرور التأريخ أنه متأخر زماناً بطبيعة الحال عن موعد الظهور؛ لأنه حصل في الماضي ونحن لا زلنا ننتظر.

وتشترك جميعها بالدلالة على صدق الرسالة المحمدية من حيث إنبائها بحوادث مستقبلية قبل زمان طويل من وقوعها، كما أنها ستؤيِّد من هذه الناحية صدق البشارة باليوم الموعود وتعزز الإيمان في القلوب حتى ولو كانت تلك العلامات والحوادث بعيدة زماناً عن يوم ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) كالرايات السود التي رجّح السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) أنها رايات أبي مسلم الخراساني التي أزالت دولة بني أمية ولكنها مهدت لدولة بني العباس.

وسيكون كلامنا عن العلامات بعدّة أقسام:

القسم الأول: عواطف المنتظرين تجاه علامات الظهور

إن فهم علامات الظهور والتعرف عليها بدقة مهم جداً ليس لمجرد أن يستعد الأتباع المخلصون لليوم العظيم وأن ينتبهوا له قبل الأعداء، بل لأن تأويل العلامات والاتجار بعواطف الناس فيها أصبح ميداناً لخداع الكثيرين أو تأويل الغالين لذا كان لا بد من ترتيب عواطفنا وثقافتنا تجاه

يوم الظهور وتصحيح المواقف والأعمال من ذلك الموعد المبارك قبل ترقّب العلامات وتوقيتها.

فإن المجتمع حين يكون أمام واقع سيئ وظروف فاسدة فإنه سيسعى لتغييرها وسيكون أكثر نشاطاً للعمل، أما إذا انتظر قوة أخرى تغيّر الأوضاع فإنه لن يتدخل حتى ذلك الحين وسيؤجل عمله ليكون موافقاً للحدث الذي سيحصل، خصوصاً إذا كان الحدث كما يتصورونه سيؤدي بصورة قهرية إلى تغيير الأجواء العامة حتى لو لم يشاركوا فيه.

وقد سمعنا في المقالات السابقة أن الفتح العالمي لن يحصل بلمسة غيبية مجردة وإلا لحصل في زمان سابق، بل سيكلِّف الأتباع المخلصين أكل الجشب ولبس الخشن والنوم على سُرُج الخيل كما عبّر الحديث الشريف.

فحالة الانتظار التي يفهمها عامة الناس تكون سلبية في الغالب.

ومن الناس من تعكّرت حياته وفسدت مجاريها فهو يفكر بيوم الظهور كيومٍ للانقلاب على كافة النُظُم والالتزامات والحقوق التي لم يستطع أن يتعايش معها، ومثل هؤلاء كلما لاح لهم موعد للظهور كلما كسلوا عن تنظيم حياتهم الحالية بانتظار أن يتخلصوا من كافة مشاكلها جملةً، وهم لا يعلمون في الغالب أن العالم بعد الظهور سيكون أكثر انضباطاً والتدقيق في الحقوق أعمق وأبلغ.

ومنهم من لا يجيد غير استخدام السلاح ويفشل في غيره من المجالات فهو يرى أن يوم الظهور سيكشف عن نجاحه في القتال والعنف بعد حياة كاملة من الفشل في الجوانب الأخرى، مع أن الإمام (عليه السلام) قد يكلّفه بمهمة سلمية يومها فلا يملك الاعتراض، لأنه (عجل الله فرجه) أعرف بما يناسب تكميل الأتباع ويختبرهم من نقاط ضعفهم

ليصلحوها، وقد قلنا في كتابات سابقة[1] أن معارك الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت لأجل تربية المؤمنين بالدرجة الأولى وليس لمجرد النصر العسكري (قضاء الجهاد الأصغر) فكذلك هي معارك الإمام المهدي (عليه السلام).

وأول تكليف ينبغي على المؤمنين: هو تحقيق روح الاستعداد للطاعة المطلقة مهما كانت الأوامر من لدن الإمام المهدي عجل الله فرجه، أي أن نتوقع كل نوع من التكاليف كالقتال أو الصبر عن القتال أو التضحية بالمال والأهل أو التغرّب أو التقشف أو التعلّم أو التفقّه أو التحاور أو الإصلاح أو غيرها.

والتكليف الآخر: أن نوطّن أنفسنا على الانسجام مع خطوات الإمام المهدي (عليه السلام) فلا نستعجل ما يؤخره ولا نستبطئ ما يستعجله، فإن الهدف الحقيقي هو الانسجام مع الإمام (عليه السلام) لا مجرد تحقيق الأهداف العامة وفي الحديث النبوي الشريف في شأن أهل البيت (عليهم السلام): (لا تتقدموهم فتهلكوا ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا).

والتكليف الثالث: أن نعرف الإمام جملة وتفصيلاً، فمن حيث الجملة: أن نعلم أنه لا ينطق عن الهوى وأن كل ما يفعله هو الحق سواء حكم بحكم آدم أو بحكم نوح أو بحكم محمد صلوات الله عليهم أجمعين، فهو إمام مفترض الطاعة بلا شك.

---

(١) قلوب المجاهدين. (مخطوط).

وأما تفصيلاً فبأن نعلم حقيقة تلك الأحكام الصادرة منه وأن لها وجهاً من الحقيقة، وأن نعلم طبيعة ذلك اليوم وموقف الإمام كمشرّع يحق له إظهار بطونٍ من الفقه لم تكن مألوفة من قبل، فإن لم نفهم تفصيل أحكامه (سلام الله عليه) فلا أقل أن نؤمن بها إجمالاً دون اعتراض، لأن الاعتراض سيؤدي إلى عقوبة وخيمة كما سمعنا من الأحاديث السابقة أنه (عليه السلام) سيحكم بأحكام عدة أنبياء سابقين فيعترض عليه أقوام ممن ضربوا قدّامه بالسيف فيقدمهم ويضرب أعناقهم.

وهذه الفكرة تحصل بعد أن نتيقن من شخصية الإمام المهدي (عليه السلام) لا أن يأتينا مدعٍ ويبتكر من الفقه ما لا نعهده قبل أن نختبر كونه هو المهدي (عجل الله فرجه) وبعد الصيحة والخسف بجيش السفياني ففي توصية الإمام المهدي للسفير الرابع: (وسيأتي لشيعتي من يدعي المشاهدة، فمن ادعى المشاهدة قبل الصيحة والخسف فهو كذاب) أي الرؤية بعنوان المهدي والتبليغ عن المهدي من قبل المشاهد.

والتكليف الرابع: أننا إذا فهمنا من بعض العلامات أنها كاشفة عن موعدٍ ما للظهور أو أي حركة تسبقه فعلينا أن نحتفظ بالأسرار فلا نبلّغ بها من لا يؤمَن عليها أو من يُحتَمَل أنه سيفشيها للأعداء، فيفقد الإمام عنصر المباغتة ويتأجل الظهور المبارك بسبب عدم كتماننا للأسرار، وقد سمعنا في المقالات السابقة الحديث الشريف (أذعتموه فأجّله الله) أشارة إلى أن الانتصار وإقامة دولة الحق كان مخططاً له سنة المائة وأربعين، ولكن بعض الشيعة أشاعوا الخبر فوصل إلى الأعداء فانتهزوا الفرصة وضيعوا النصر، ومن الممكن تكرار ذلك تأريخياً إذا لم ننتفع من العبرة والتجربة التي سببت ثلاثة عشر قرناً من الظلم والظلام.

وقد كان السيد الشهيد الصدر الثاني (رضوان الله عليه) يتهم اثنين من الخطباء كانا يكثران من التوقيت (بأن الظهور كان سيحصل لولا هذين الشخصين: فلان وفلان).

ويمكننا أن نفهم (معنى أن الظهور سيؤجل) بحسب استعداد المؤمنين وكتمانهم للأسرار: أن الفتح العالمي الموعود ليس حدثاً قهرياً يحصل في التأريخ كسقوط نيزك على الأرض مثلاً دون أن يكون لإرادة البشر دخل فيه، بل هو مشروع اجتماعي ينفذه الإمام المهدي (عليه السلام) على الأرض، وينتظر تحقيقه بالأسباب الطبيعية التي يشترك في تحقيق النصر فيه جميع الموالين بحسب إيمانهم، فعلينا إذن أن نساعد هذا التحقق بالعمل الصالح الموافق لتخطيطه (سلام الله عليه) وإلا فإن الظهور سيتأجل إلى موعد آخر.

أما معنى الوعد الإلهي فهو متعلق بأصل الظهور وامتلاء الأرض بالقسط في ظل دولة آل محمد (صلوات الله عليهم) أجمعين، ولم يحدد الوعد الإلهي زماناً لذلك، ولا يعني هذا أن الظهور سيتحقق حتى لو اتكأنا جانباً وانتظرنا ببلادة أن يتحقق من نفسه، فقد وعد الله سبحانه من قبل نبيَّه المبارك (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه سيدخل المسجد الحرام، فلما قدم (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الحديبية صالح المشركين فيها وانتظر عاماً آخر والناس كانت تظن أن فتح مكة سيكون في نفس ذلك العام فافتتن البعض بذلك حتى نبههم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أني قلت لكم أننا سندخل المسجد الحرام لكنني لم أقل لكم أنه سيكون في عامنا هذا، قال تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا

تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً﴾(الفتح:٢٧)، ولعل نصراً من نوعٍ آخر حصل في تلك الحادثة (صلح الحديبية) وتأجيل دخول مكة.

فأول وأهمُّ ما علينا فعله –إذا علمنا بإشارة لموعد الظهور– أن نكتم ذلك الموعد إلا لمن ينفعه من أجل الاستعداد، وأن نحتاط في هذا الأمر كثيراً. وأن نكذب كل من يدعي المعرفة بموعد الظهور ليُظهر للناس أن له طرقاً غيبية لمعرفة أسرار آل محمد (عليهم السلام)، وقد سمعنا سابقاً أن الأئمة نهوا عن التوقيت، وأن أمر الظهور كأمر الساعة ﴿لا تأتيكم إلا بغتة﴾ وأن (من جعل لهذا الأمر وقتاً فلا تهابنَّ أن تكذّبه، فإنا أهل بيت لا نوقّت) (كذب الوقّاتون وهلك المستعجلون).

علماً أننا حتى لو علمنا -بطريق غيبي كرؤيا صادقة أو كشف حقيقي أو لقاء بالمعصوم (سلام الله عليه)- أن الظهور سيكون في يوم كذا وكذا فالأمر حتى في هذه الحالة يكون في معرض البداء والتغيير، كما حصل سنة السبعين التي نوّه بها الإمام علي (عليه السلام) أو سنة المائة والأربعين، ولعل الظهور كاد أن يحصل في زمانٍ ما عدة مرات ولكن ذنوب الناس هي التي تؤجله، وقد تؤجله بعضُ الذنوب قروناً وقرون بحسب ثقلها وخطرها.

التكليف الخامس: أن نؤسس لبناء ما بعد الظهور لأننا نؤمن أن قيام المهدي (عليه السلام) ليس ثورة تقتلع كل شيء قبلها، بل هي ستقتلع الظلم والجور، ولا شك أن الملكات الفاضلة التي سنكتسبها قبل الظهور سيكون لها دخل كبير في رفع مكانتنا بعده، بل تكون أفضل من الملكات التالية لأنها كانت في ظرف صعب: ﴿لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ

الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلّاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾(الحديد:١٠)، وقد كان الإسلام الأول ثورة عميقة التغيير قلبت كثيراً من الأعراف السائدة، ولكنه احترم الذين استقاموا في سلوكهم قبله قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ، وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾(القصص :٥٢-٥٣) وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام) وهناك أحاديث كثيرة تؤكد على أهمية المؤمنين قبل الظهور وتفوّقهم على غيرهم ومنها قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (أعجب الناس إيماناً وأعظمهم يقيناً: قومٌ يكونون في آخر الزمان لم يلحقوا بالنبي وحجب عنهم الحجة فآمنوا بسوادٍ على بياض) يشير (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى صعوبة تحصيل الإيمان في زمان الغيبة ووحشة المؤمنين في تلك الحقبة الحالكة.

وكذلك هي الإنجازات الاجتماعية لأصحاب الإمام (عليه السلام) قبل الظهور ستساعد كثيراً في البناء بعده كالعلاقات الاجتماعية والقدرة العلمية والفقهية والتكنولوجية ستساعد كلها في تسريع تحقيق الأهداف وتعميقها.

ومن المفيد للمؤمن أن يبدأ بالبناء المعنوي والدعوة إلى الحق من هذا اليوم، فإن ذلك بالتأكيد سيسرع من البناء بعد الظهور أو على الأقل سيعجّل الظهور المبارك.

التكليف السادس: بعد أن نفهم طبيعة عملية التغيير التي سيقوم بها الإمام المهدي (عليه السلام) يتوجب علينا أن نؤسس جميع حياتنا وفقه وبحسبه ونستعد له في كافة تفاصيل حياتنا، فنتهيأ له قلبياً وكأنه

سيكون غداً، ونتهيأ له مادياً وكأنه سيكون بعد أمدٍ بعيد فلا ننفق عدتنا قبل اليوم الفعلي، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً).

بالإضافة إلى تكاليف أخرى جزئية لا شك أن القراء الأعزاء سيلتفتون إليها، لذا سنترك تفصيلها في هذه الخطوة.

القسم الثاني: الحديث عن الدلالات المتعلقة بعلامات الظهور

وينفعنا الحديث في دلالات العلامات في تصنيف العلامات فيما بعد ومعرفة الغاية من كل علامة وطبيعتها:

الدلالة الأولى: التي يمكن أن نستفيدها من بعض العلامات هو إحياء الإيمان بالغيب الذي يكمن خلف التأريخ كلما يئست النفوس من التطلع نحوه وضعُف الأمل بالخلاص.

وهذا الأمل ضروري للشعوب، ذلك أنه يوجّه المشاريع الإصلاحية نحو هدف واضح المعالم ويعيد الروح المعنوية بعد كل انتكاسة، ويجدد رفض الظلم حتى وهو يسيطر على جميع مرافق الحياة، بل هذا الأمل هو الحافظ للإسلام الحقيقي؛ لأن الشعوب إذا انتكست في بعض مراحلها وجرحت كرامتها تجاه أعدائها تلك الشعوب المنهزمة عسكرياً أو اجتماعياً سينعكس شعورها بالانهزام ليولّد انهزاماً نفسياً يقود إلى تقنين حالة الانهزام وكأنها قدر تأريخي ثم يقود إلى الشعور بالضآلة أمام العدو وقبول تفوقه من جميع النواحي حتى تنسحق شخصية الشعب المنهزم فيدعو بعض أبنائه إلى إنصاف (المحتل أو العدو) أو الحيادية في النظر إليه وتحليل الجوانب الإيجابية في احتلاله أو انتصاره على المنهزمين.

وقد مرت المجتمعات العربية بعد انتكاسة الحرب ضد الكيان الصهيوني عام ١٩٦٧ وعام ١٩٧٣ بمثال مهم ينبغي إعادة دراسته لمعرفة كيف تتصرف الشعوب بعد الانتكاسات لنعرف بعدها أهمية الإيمان بالقضية المهدوية في حفظ الإيمان وتوجيه التأريخ.

فإن تلك الهزيمة المنكرة التي مُنيت بها الشعوب العربية التي هبّت للقتال تحت شعار القومية وتحرير فلسطين العربية، كانت سبباً لتطبيع العلاقة مع إسرائيل، وظهرت نزعة احتقار الذات العربية وتضاءل حجم أبطال الشعارات القومية، وظهرت مقولة (نظرية المؤامرة) وكأنها كأس من خمر يشربه العرب ليتناسوا المؤامرة التي كانت بحجم حرب كبيرة وخيانات عظيمة وأراضي محتلة لا زالت إسرائيل تحتفظ بها، بل وأصبحت ضمن حدودها كالضفة الغربية التي كانت قبل الحرب تحت السيادة الأردنية، فأصبح كل من يريد إعادة روح القتال وتحريض العرب على الجهاد يوصف بأنه يفكر بنظرية المؤامرة، والسبب أن المنهزم إذا خسر لا يعترف بأنه جبان ولا يخجل من خوفه بل يذهب إلى تقنين تلك الهزيمة واحترام عدوه ليعالج حالة الخجل من الهزيمة؛ وسيعتبر كل من يذكّره بهزيمته وما خسره يعتبره يحاول إهانته ويذكره بنقصه، لأنه في الأساس لم يقاتل من أجل هدف حقيقي بل من أجل أهداف دنيوية لا تهب الحياة للمقاتلين وليست كالأهداف الأخروية التي يتقلب المؤمن فيها بين إحدى الحسنيين ويحتسب أجر كل جرح يناله وينتظر النصر الذي لا بد منه.

والمؤمنون بقضية الإمام المهدي (عليه السلام) يقاتلون وهم يعلمون أن النصر حليفهم في النهاية وأن الأرض ستمتلئ قسطاً وعدلاً وأنهم في كل قطرة دم تسيل منهم وكل دمعة تبكيها أمهاتهم يؤسسون

لتلك الجنة المستقبلية، وأن أجرهم لا يضيع في ذمة التأريخ ولا يُنسى في كتاب الأعمال، لأنهم بين يدي إمامهم على طول الزمان وتحت نظره.

أما إذا اضطروا إلى التقهقر والصبر والتقية، فإن ذلك ليس لجبن فيهم بل لانتظار الفرصة وادخار الدماء لليوم الموعود، فلا ينعكس الخوف عندهم كجبن كما هو شأن أهل الدنيا حين يخافون فينقطون عما يرومونه، وهذه هي من فلسفة التقية التي حقنت الدماء وادخرتها لمحلها المناسب وهذّبت النفوس والخواطر.

فبعض العلامات يكون دورها إحياء ذلك الأمل في قلوب المؤمنين المراقبين للتأريخ بوعي والمتطلعين للمستقبل المترصدين لموعد النصر المبين.

ويكون ذلك بمستويين:

المستوى الأول: العلامات غير المرتبطة بموعد، كالحوادث التي أنبأتنا الأحاديث الشريفة عنها من أنها ستحصل في المستقبل فرغم أنها قد تتعلق بحوادث ظهور المهدي مباشرة ولكنها كما تقدم تتعلق بتجديد الإيمان بالغيب التأريخي والأمل المستقبلي كظهور الرايات السود في خراسان إذا حملناها على رايات أبي مسلم الخراساني أو تولي بعض أمراء الجور كالحجاج وغيره، حيث يثير الإنباء به قبل وقته عبرة إيمانية تقوي القلوب لكي لا يسيطر الطاغوت على الأمل القلبي ويظهر وكأنه نهاية التأريخ، فتثير الأحاديث الشريفة التي أنبأت بتوليه على الناس الشعور بهيمنة أولياء الله على التأريخ وأنه يجري إلى هدف حكيم وترتيب (كنظام الخرز) وأن الحوادث جميعاً تشكل إعداداً ليوم عظيم قادم لا محالة.

المستوى الثاني: إن في العلامات التي أشارت إلى الحوادث المستقبلية التي أخبر عنها المعصومون (عليهم السلام) شيئاً لطيفاً، وهو قابليتها على الانطباق على ظروف كل زمان، حتى أن كثيراً من المتسرعين يرون أن زمانهم هو زمان الظهور لما يرونه من قابلية الشخصيات والظروف الموجودة للانطباق على شخصيات عصرهم وظروفها.

ويظهر أن توقع الظهور كان مهيمناً على النفوس حتى في زمان الأئمة (عليهم السلام) قبل ولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه وكان الأئمة (عليهم السلام) يقرّون المتأملين على هذا الشعور، حتى أن أحد أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) أخبره أنه أقسم أو نذر أن يصوم إلى أن يقوم القائم، فأمره الإمام (عليه السلام) أن يتجنب يومي العيدين ويصوم سائر أيام السنة.

وهذا التوقع ضروري ومهم ويساعد في شحذ الهمم وبقاء العزيمة وروح الاستعداد بشكل مستمر، وله ثواب جزيل كما نصّت عليه الأحاديث الشريفة من أن المنتظر لهذا الأمر كالمتشحّط بدمه بين يدي القائم (عليه السلام) أو يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

الدلالة الثانية للعلامات: هو الصبر والترقب

أي أن تصريح الأئمة (عليهم السلام) بعلامة معينة كان لأجل أن لا يقع الشيعة ضحية المشاريع الثورية المستعجلة التي تُذهب باستعداداتهم وجهودهم وتضحياتهم قبل أوانها.

مع عدم إنكارنا للجانب الآخر للعلامة والفوائد الأخرى المترتبة على التصريح بها.

مثل ما روي في وسائل الشيعة عن الحسين بن خالد قال: (قلت لأبي الحسن الرضا (عليه السلام): إن عبد الله بن بكير كان يروي حديثاً وأنا أحبُّ أن أعرضه عليك، فقال: ما ذلك الحديث؟ قلت: قال ابن بكير: حدثني عبيد بن زرارة قال: كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) أيام خرج محمد بن عبد الله بن الحسن (أي أيام ثورته) إذ دخل عليه رجل من أصحابنا فقال له: جُعلت فداك إن محمد بن عبد الله قد خرج فما تقول في الخروج معه؟ فقال: اسكنوا ما سكنت السماء والأرض، فقال عبد الله بن بكير: فإن كان الأمر هكذا أو لم يكن خروج ما سكنت السماء والأرض فما من قائم وما من خروج؟، فقال أبو الحسن (عليه السلام): صدق أبو عبد الله (عليه السلام) وليس الأمر على ما تأوّله ابن بكير، إنما عنى أبو عبد الله (عليه السلام) اسكنوا ما سكنت السماء من النداء، والأرض من الخسف بالجيش) ورواه الشيخ في (المجالس والأخبار) ورواه الصدوق في (عيون الأخبار) وفي (معاني الأخبار).

وما نستفيده من هذا الحديث أن من فوائد علامة الخسف في البيداء والصيحة في السماء أنهما علامتان للمؤمنين ليسكنوا حتى حصولهما ولا يخرجوا مع أي خارج وثائر؛ لأن في ذلك تضييع لجهودهم حتى لو كان الثائر محقّاً أو مأذوناً له من قبل الإمام (عليه السلام) ولكن الإمام قد يريد لثورة ذلك الخارج (محمد بن عبد الله) حجماً معيناً. وقد يحاول بعض المغامرين النزقين مستقبلاً مثل ذلك قبيل الظهور.

ويؤيد ذلك ما في (كتاب الغيبة) عن الفضل بن شاذان، بسنده إلى جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: (الزمْ الأرض ولا تحرك يداً ولا رجلاً حتى ترى علامات أذكرها لك، وما أراك تدركها: اختلاف بني

فلان، ومنادٍ ينادي من السماء، ويجيئكم الصوت من ناحية دمشق...) إلى آخر الحديث.

والصبر هنا ليس عن مطلق العمل والتهيئة، بل عن الخروج بالسيف ضد السلطان وإعلان المعركة الأخيرة بعنوان الظهور.

وقد أذن الأئمة (عليهم السلام) لبعض الثوار بالثورة ضد السلطات من أجل مصالح معينة يرونها مناسبة في ذلك الوقت كتخفيف قبضة السلطة وإشغالها عن بعض مشاريعها المدمرة، ففيما روي بشأن محمد بن عبد الله صاحب فخ أن أبا الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) قال له حين ودّعه: (يا ابن العم إنك مقتول فأجدّ الضراب فإنك مقتول وإن القوم فاسقون يُظهرون إيماناً ويُسِرُّون شِركاً وإنا لله وإنا إليه راجعون أحتسبكم عند الله من عصبة).

الدلالة الثالثة للعلامات: تنبيه الأمة من مدعي المهدوية الكاذبين، فإن العلامة إذا حُدّدت وقال الأئمة (عليهم السلام) أنها تكون قبل الظهور فأي شخصية تظهر قبلها تكون كاذبة بالتأكيد وبذلك ستتحصّن الأمة من دعاة المهدوية المزيفين، وقد علمنا في الدلالة السابقة أن الأئمة (عليهم السلام) أمروا بالسكون وملازمة الأرض حتى حصول العلامتين الخسف والصيحة، فلا يستطيع مدعو المهدوية زوراً أن يطلبوا من الناس النهوض معهم قبل تحقق العلامات لأن الموالين سيعتذرون بأنهم سمعوا من الأئمة (عليهم السلام) النهي عن الخروج حتى تحقق العلامتين والأئمة (سلام الله عليهم) لا يتناقضون في كلامهم ولا يقولون شيئاً من شأنه أن يضر بثورة الإمام المهدي (عليه السلام).

وقد نبّه الأئمة (عليهم السلام) إلى أن ادعاء المهدوية سيكثر قبل الظهور ففي الحديث الشريف: (لا يظهر المهدي حتى يكون هناك اثنا عشر مهدياً كذاباً من ولد فاطمة كلهم في النار).

أي أن الإمام (عليه السلام) سيظهر وقد سبقه اثنا عشر مهدياً مزيفاً دفعة واحدة أو متقاربين.

بقي علينا أن نشير إلى أن الخسف والصيحة هما علامتان مهمتان من العلامات الذي ذكرها الأئمة (عليهم السلام) ووردت بشأنهما بعض الآيات الشريفة، وسنتحدث عنهما في البحوث اللاحقة إن شاء الله تعالى، والخسف هو أن البيداء ستخسف بجيش السفياني وهو منطلق لقتال الإمام المهدي (عليه السلام) دون أن يكون السفياني فيه، أما الصيحة فهي صيحة إعجازية في الليلة الثالثة والعشرين من شهر رمضان.

الدلالة الرابعة للعلامات: إمكانية التغيير رغم سيطرة الظالمين

ذلك أن الفرد المسلم قد يؤمن بأن الإمام المهدي (عليه السلام) سيظهر في آخر الدهر، لكنه لا يتصور كيف سيتغلب على قوى الشر والجور، فيستبعد إمكانية التغيير وزمانه وهو يرى الأسلحة الهائلة التي تمتلكها الحكومات المستكبرة، والإمكانات الإعلامية والاقتصادية التي لا يمتلك المخلصون إلا جزءاً يسيراً منها..

إن هذا الفرد قد يشعر بضعفه وضعف المؤمنين في زمانه وفي المستقبل القريب جراء ذلك، فيؤثر هذا الشعور على أدائه ويسبب لديه الخوف من الأعداء والتكاسل عن أي عمل يمهد للظهور واستبعاد موعده، ذلك أنه إذا طال الأمل وتأخر الموعد قلّ العمل وفتر العاملون.

الأمر الذي لا يريده الأئمة (عليهم السلام) لنا، فقد أكدوا على أهمية التوقع المستمر للظهور قال الإمام الصادق (عليه السلام): (انتظروه صباحاً ومساءً) وقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (خير أعمال أمتي انتظار الفرج) فمن المضر جداً أن يشعر المؤمنون في زمان من الأزمنة باستبعاد موعد الظهور وإمكانية تحققه في أي لحظة ويتوقفوا أو يحرَمُوا من عبادة انتظار الفرج.

فكأن في بعض العلامات إشارات إلى هذا الغرض المهم، وهو التأكيد على إمكانية الظهور، مثل علامة الصيحة من السماء وهي صيحة جبرائيل التي تظل أعناق أعداء الله لها خاضعين، فيشعر المؤمن بقوة العزيمة وبضعف جميع الأسلحة التي يمكن استعمالها ضد الإمام المهدي (عليه السلام) وبأن الثورة المهدوية لا يمكن إيقافها بأي سلاح.

إن جميع الحوادث التي تقع على الأرض تحمل في طياتها عبرة وموعظة تنبّه إلى الحكمة والقدرة الإلهية، وغالباً ما نجد معاني للحوادث التي تحصل على الأرض، كمثال على ذلك ما حصل في اليابان التي ينظر إليها المجتمع العالمي وكأنها قبلة تكنولوجية وإمكانات علمية عالية، بمجرد اهتزاز بسيط في القشرة الأرضية كادت أن تحصل فيها كارثة نووية في مفاعل فوكوشيما، حتى استنجدت بدول العالم لمساعدتها للسيطرة على تداعيات الكارثة.

إن مثل هذه الحوادث تحمل في طياتها العبرة، إلا أن التركيز على بعضها من لدن الأئمة (عليهم السلام) سيمنح تلك الحوادث تركيزاً إلهياً يجعلنا نبحث عن الحكمة منها بدقة خصوصاً مع اقترانها بقراءة الغيب

المستقبلي منذ أمد بعيد، ويجعلنا ذلك نتساءل عن السرّ والحكمة في هذه الحادثة أو تلك بدل أن نمرّ عليها معرضين.

إننا نلمس الصعوبة التي يمر بها المؤمنون في كل زمان بسبب نظرتهم إلى القوة المادية للحكومات المنحرفة من خلال بعض اتجاهات التفكير التي أضيفت للقضية المهدوية، فحينما تسأل أحد المؤمنين في أزمان سابقة عن كيفية تغلب المهدي (عليه السلام) على القوى المستكبرة وهي تملك هذه الأسلحة والتكنولوجيا المدمرة؟ سيجيبك بفكرة مفادها أن الأسلحة ستتعطل والتكنولوجيا ستتوقف فيتغلب عليها الإمام المهدي (عجل الله فرجه) بسهولة.

ومن اليسير أن تعلم أن هذه الفكرة لم يصرّح بها المعصومون (عليهم السلام) في زمانهم لأنه لم تكن هناك أسلحة ضخمة تسبب أصل هذه المشكلة، فلا شك أنها وليدة الضغط النفسي الذي تسببه ضخامة الآلة العسكرية المعادية فافترضوا هذا الحل ثم تصوروه مما بشّر به الأئمة (عليهم السلام)، وليس هو كذلك بحسب اطلاعي، على الرغم من إيماننا بإمكانيته سواء بوجهه العام أي تعطل جميع الأسلحة والأجهزة التكنولوجية في العالم، أو بوجهه الخاص أي تعطل الأسلحة التي تواجه حركة الإمام المهدي في هذه البقعة أو تلك، فإن المعجزة ممكنة خصوصاً إذا استلزمتها الهداية.

وهو ممكن من الناحية العلمية أيضاً، ذلك أن الأجهزة الإلكترونية تعتمد على نظريات مقنّنة لسلوك الإلكترونات، ومجال التخمين والعوامل المؤثرة في سلوكها مجهولة وكثيرة، وأحياناً تسبب بعض العوامل الطبيعية تأثيراً بالغاً على الأجهزة الإلكترونية كالعواصف الشمسية وتغيرات المجال

المغناطيسي للشمس. أما الأسلحة النووية فالاحتمالات في سلوكها كثيرة، ذلك أن العالم دون الذري قد يسلك في كثير من الأحيان سلوكاً غير متوقع حتى وصفه هايزنبرك باللادقة واللاتعين، ورصدوا تأثير غاية الراصد في تغيير طبيعة سلوك الدقائق الذرية، فمن السهل تصور اختلاف أداء الأسلحة النووية والإلكترونية يوم الظهور بسبب تأثير ظهوره المبارك وإرادته لذلك الأمر فلا تعمل الأسلحة النووية أيضاً.

إلا أننا في مندوحة عن كل ذلك إذا احتملنا أن ثورة الإمام المهدي (عليه السلام) يمكن لها أن تكون ثورة فكرية وحوارية وأنه سيلجأ في كثير من الأحيان إلى إقناع شعوب العالم حين تصل من الرقي إلى درجة تقبل الحجة العقلية وفهم الخير الذي ينتظرها على يديه الكريمتين، وقد لا يحتاجون إلا إلى مقدار من الإعجاز الخاص يكشف لهم حقيقة الإمامة وآياتها، وربما كان هذا هو مؤدى هذه الفقرة من الدعاء الشريف له (عليه السلام): (حتى تسكنه أرضك طوعاً وتمتعه فيها طويلاً).

ففي الرواية العامية عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (ويدخل العرب والعجم وأهل الحرب والروم وغيرهم في طاعته من غير قتال..) وعن الإمام الصادق (عليه السلام): (إذا قام القائم .. يبعث جنداً إلى القسطنطينية فإذا بلغوا الخليج كتبوا على أقدامهم شيئاً ومشوا على الماء، فإذا نظر إليهم الروم يمشون على الماء قالوا: هؤلاء أصحابه يمشون على الماء فكيف هو! فعند ذلك يفتحون لهم أبواب المدينة فيدخلونها فيحكمون فيها ما يريدون).

فهذه الروايات وغيرها تخبرنا أن هناك بقاعاً كثيرة من العالم ستدخل تحت راية الإمام المهدي بغير قتال، وهو لا يمنع من حصول بعض

المعارك مع السفياني وغيره، وستكون المعارك فيها سهلة مع ذكاء جنود الإمام المهدي وارتفاع معنوياتهم في قبال إحساس الأعداء المؤكد بالهزيمة.

وتكشف لنا الرواية المتقدمة عن إمكانية الإصلاح الفكري وسهولته حتى في الشعوب البعيدة عن الإسلام والتي تحمل الحقد عليه مثل الروم (أي الغرب)، فترفع هذه الأحاديث من معنويات المؤمنين وتؤشر لهم فكرة إمكانية الإصلاح السريع والتغيير الإيجابي اليسير.

كما أن بعض المفكرين ينظر بارتياح إلى التقدم التكنولوجي لأنه وإن حمل في طياته بذور الدمار وصناعة الأسلحة القاتلة يحمل كذلك تطور وسائل الإعلام وإمكانيات التواصل مما سيؤدي إلى سهولة طرح الأفكار والحوارات لإقناع شعوب العالم بأسرع فترة ممكنة، لأننا لو تصوّرنا أنه (عليه السلام) ظهر قبل مائتي عام لقبلنا أن تكون الحرب أو الزحف العسكري هو الأسلوب الوحيد لتغطية العالم بالثورة في الفترة القصيرة التي ستشهد الظهور المبارك؛ لأن الوصول إلى عقول الناس وإقناعهم يومها لم يكن متيسراً، وقد يحصل الحدث العالمي فلا تعلم به فئات كثيرة من المجتمع إلا بعد سنوات، أما اليوم فإن أخبار العالم المهمة قد يطّلع عليها الفرد وهو يتناول طعام الإفطار قبل الخروج من البيت، مما سيؤدي ذلك بالتأكيد إلى سهولة إيصال الحجة المهدوية وإقناع الآخر بها.

ولعل من العلامات المهمة في هذا المجال ما روي في تفسير الصافي عن ابن مسكان عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (إن المؤمن في زمان القائم وهو بالمشرق ليرى أخاه الذي في المغرب وكذا الذي في المغرب يرى أخاه الذي في المشرق)، وغيرها من الأحاديث الشريفة.

وخلاصة هذه الخطوة بمعنى أن هناك بعض العلامات أخبر بها الأئمة (عليهم السلام) للمحافظة على روح التوقع ورفع الاستبعادات الناشئة من التصورات القاصرة لفهم طبيعة الثورة المهدوية المباركة.

القسم الثالث: العلامات وعلاقتها بموعد الظهور وأحداث الثورة

تحدثنا فيما سبق عن الدلالات المتنوعة للعلامات وحكمة التصريح بها من قبل الأئمة (عليهم السلام) رغم طول الزمان، والآن سنتحدث عن علاقة بعض العلامات بموعد الظهور وحوادث الظهور.

وهو المعنى الأساسي للعلامة، أي أنها إشارة وإذن للتحرك ليجعل المؤمنون حركتهم منسجمة مع حركة الإمام المهدي (عجل الله فرجه) وليفوزوا بأن يكونوا أول مناصريه.

فقد تحدثت بعض الأحاديث الشريفة أنه إذا كانت الصيحة في الليلة الثالثة والعشرين من شهر رمضان أو ظهور السفياني: فعلى المؤمنين التوجه إلى مكة حيث سيظهر (عليه السلام) في العاشر من محرم، ويفضل الإمام الباقر (عليه السلام) أن يتأخر المناصرون إلى ذي الحجة ليكونوا أقوى وأكثر استعداداً مما لو بدأوا سفرهم إلى مكة من العشر الأواخر لشهر رمضان، طبعاً لأن ذلك سيكلّفهم التخفي والمكوث في تلك البلاد أو السفر الطويل بانتظار اليوم الموعود بعد أكثر من (١٠٥) أيام، وذلك الموعد لا يصلح التحرك قبله ولا الدخول في مشاكل مع السلطات هناك قبل موعده؛ لأنه قد يؤدي إلى كشف الخطط وإفشال المشروع وتأجيله إلى موعد غيبي آخر.

ففي روضة الكافي عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (إذا كان رجب فاقبلوا على اسم الله، و إن أحببتم أن تتأخروا إلى شعبان فلا ضير، وإن أحببتم أن تصوموا في أهاليكم فلعل ذلك يكون أقوى لكم، وكفاكم بالسفياني علامة).

وقد يستصعب المؤمنون فكرة السفر وإمكانيته إلى هناك ونحن نرى اليوم هذا التشدد على الحدود والجيوش المرابطة فكيف سيسمحون لأعداد هائلة من المؤمنين بالسفر إلى هناك رغم ما تكنّه تلك الشعوب والحكومات من عداوة للإمام المهدي (عليه السلام) وللشيعة عموماً، فيجاب هذا الاستصعاب بعدة أطروحات:

الأطروحة الأولى: مفادها أن الظروف قد تكون مواتية في المستقبل، كأن تلغى تعقيدات السفر في الزمان القريب من الظهور بين الدول التي تتضمن الجماهير الشيعية وبلاد الجزيرة العربية، نتيجة للتسهيلات السياحية أو غيرها كما يحصل بين دول الخليج اليوم من إلغاء تأشيرة الدخول بين بلدان التعاون الخليجي وإلغائها بين دول الاتحاد الأوربي، والعالم بأجمعه متجه إلى إلغائها مع تقدم العلاقات الدولية، وربما لو لم توجد المخاوف الإرهابية ومشاكل السفر غير الشرعي لحصلت تسهيلات كبيرة في السفر بين دول العالم في العصر الحديث.

الأطروحة الثانية: أن الحكومة في الجزيرة العربية ستصبح يومها ضعيفة لا تملك السيطرة على حدودها نتيجة المشاكل التي تمر بها بلادهم يومذاك، فلا تستطيع رد الجموع الكبيرة التي تدخل بلادهم.

الأطروحة الثالثة: أن هذه الأوامر وإن كانت عامة إلا أن تطبيقها في زمانها لن يتيسر إلا لقلة من الناس في البداية ممن لهم طريق مضمون للوصول إلى

تلك الديار، وتلك القلة لن تثير الشبهات، كأن يقوم عدد كبير من الناس بالذهاب إلى العمرة قبيل موعد الظهور بصورة قانونية ويمكثوا هناك ضمن فترة الإقامة إلى يوم العاشر من محرم يوم ظهوره العلني (عجل الله فرجه)، وسيكون الشيعة في وقتها أكثر انضباطاً في إعلان ما يستعدون له وأكثر كتماً للأسرار فلا تعرف قوى الأمن في تلك البلاد تحركاتهم، أو قد تعرفها ولكنها تعتقد أن بإمكانها السيطرة على الوضع مع ذلك العدد القليل كما تحدثت به بعض الأخبار.

وربما كان لأولئك الأنصار الذين سيتيسر لهم مناصرة الإمام (عليه السلام) في مكة آليات دبلوماسية وسياسية يضمنون عدم الإحراج في المكوث هناك رغم قلق الأوضاع يومها.

أما إذا تمت البيعة للإمام المهدي (عليه السلام) وتوافد الأنصار إليه من أقطاب الأرض حتى يصلوا إلى أكثر من عشرة آلاف ناصر لن يعودوا بحاجة إلى رضا السلطات الحاكمة هناك، وعندها سيتولى المهدي (عليه السلام) توجيههم إلى الوضع الملائم.

أخرج النعماني في الغيبة بسنده إلى أبان بن تغلب عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام)، أنه قال: (سيبعث الله ثلاثمائة وثلاثة عشر إلى مسجد بمكة، يعلم أهل مكة أنهم لم يولدوا من آبائهم ولا أجدادهم) الحديث.

وفي رواية ضعيفة عن مسعدة أن أبا بصير قال لجعفر بن محمد (عليه السلام): وفيها (فهؤلاء ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، يجمعهم الله عز وجل بمكة في ليلة واحدة، وهي ليلة الجمعة. فيصبحون بمكة في بيت الله الحرام، لا يتخلف منهم رجل واحد، فينتشرون بمكة في أزقتها ويطلبون

منازل يسكنونها، فينكرهم أهل مكة، وذلك (لأنهم) لم يعلموا بقافلة قد دخلت من بلدة من البلدان لحج ولا لعمرة ولا تجارة. فيقول من يقول من أهل مكة بعضهم لبعض: ما ترون؟ قوماً من الغرباء في يومنا هذا، لم يكونوا قبل هذا ليس هم من أهل بلدة واحدة ولا هم قبيلة واحدة. ولا معهم أهل ولا دواب فبينما هم كذلك... فيقول الثقفي: لقد طرقكم هذه الليلة، جند من جنود الله عز وجل، لا قوة لكم به. فيقولون: أما والله، لقد رأينا عجباً! ويحدثونه بأمر القوم، ثم ينهضون من عنده فيهتمون بالوثوب بالقوم، وقد ملأ الله قلوبهم رعباً وخوفاً. فيقول بعضهم لبعض وهم يأتمرون بذلك: يا قوم لا تعجلوا على القوم ولم يأتوكم بمنكر ولا شهروا السلاح، ولا أظهروا الخلاف، ولعله أن يكون في القوم رجل من قبيلتكم فإن بدا لكم من القوم أمر تنكرونه، فأخرجوهم، أما القوم فمتنسّكون، سيماهم حسنة، وهم في حرم الله جل وعز الذي لا يفزع من دخله حتى يحدثوا فيه حادثة ولم يحدث القوم ما يجب (به) محاربتهم، فيقول المخزومي -وهو عميد القوم- :أنا لا آمن أن يكون من ورائهم مادة (أي مدد) وإن أتت إليهم انكشف أمرهم وعظم شأنهم، فأحصوهم وهم في قلة العدد وعزة بالبلد، قبل أن تأتيهم المادة، فإن هؤلاء لم يأتوكم إلا وسيكون لهم شأن، .. فيقول بعض لبعض: إن كان من يأتيكم مثلهم فإنه لا خوف عليكم منهم، لأنه لا سلاح معهم، ولا حصن يلجأون إليه، وإن أتاكم جيش نهضتم بهؤلاء فيكونون كشربة ظمآن، فلا يزالون في هذا الكلام ونحوه حتى يحجز الليل بين الناس، فيضرب على آذانهم بالنوم، فلا يجتمعون بعد انصرافهم (إلى) أن يقوم القائم، فيلقي أصحاب القائم (عليه

السلام) بعضهم بعضاً كبني أب وأم، افترقوا غدوة واجتمعوا عشية...) الحديث.

الأطروحة الرابعة: أن هذه التوجيهات صدرت من لدن الإمام الباقر وكانت تتعلق بموعد الظهور في عام (١٤٠) للهجرة حيث كان السفر سهلاً والحدود غير مشددة كما هو اليوم فمن السهل توجيه الناس إلى تلك البلاد وحتى تحقيق الخدمات والتخفي ضمن محطات السفر يومها وعدم لفت الأنظار حيث كان من الشائع يومها السفر البري وركوب الدواب ومقاساة السفر الطويل لمناسبات شتى.

وسيأتي في بحث مستقل إن شاء الله تعالى مناقشة إمكانية حصول التغيير أو البداء في موعد الظهور بإذن الله تعالى.

أما ما يتعلق بهذه الخطوة فبقي أن نشير إلى أن هناك عدة أعمال يمكن أن تكون نافعة قد يقوم بها أنصار المهدي (عليه السلام) ليست هي فقط القدوم إلى مكة لمن استطاع، بل يمكن لهم الاستعداد في بلادهم وتهيئة الأمور أو إسقاط الحكومات الظالمة أو المرابطة في وجه السفياني الذي يحاول اكتساح البلاد الشيعية وإضعاف قاعدة الإمام المهدي (عليه السلام) وسنتحدث عنها في حينها، وهي ترتبط بمخطط الظهور ونوعه بحسب الزمان الذي سيظهر به عجل الله فرجه.

القسم الرابع من الخطوة السابعة: العلامات بين الظاهر والرمز.

إن أول من تعرض لاحتمال حمل تفاصيل علامات الظهور على الرمز والإشارة -بحسب اطلاعي- هو السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) في موسوعته المهدوية.

ذلك أنه أشار إلى أن بعض العلامات لا يمكن حملها على الظاهر مثل نسبة صدور المعجزات من الكافرين كالدجال ويأجوج ومأجوج، فنحن بين أن نرفض أصل واقعية تلك الروايات وبين أن نحملها على الرمزية، وكان منهج السيد الشهيد (قدس سره) في الموسوعة أن يحاول مسايرة كافة وجهات النظر والأطروحات فيجمع بينها بأطروحات احتمالية، فلا يتخلى عن قُرّائه ومجادليه المفترضين ممن يتبنى وجهة نظر مختلفة في النظر إلى الأئمة (عليهم السلام) والمباني العقائدية بل وغير الدينية أيضاً، وهو أسلوب فريد ويدل على الإنصاف العلمي وسعة الأفق والتدقيق، وإن سبب صعوبة في إدراك المطلوب لمبتدئي القراءة.

ولكن يبقى من الضروري أن نشير إلى أن الحمل على الرمزية يبقى أطروحة محتملة تعوّض عن التنازل عن أصل الحديث المنسوب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). وقد وضع (قدس سره) منهجاً للحمل على الرمزية من الممكن أن نستبينه من كتبه، أهم شروطه العجز عن حمل العلامة على ظاهرها فنحتمل أن المعصوم (عليه السلام) أراد بما صدر منه الرمز إلى أشياء لا تحتملها عقول المعاصرين أو من غير المناسب التصريح بها في زمانها، إلا أن تطور المعرفة البشرية سيسمح بفهم جانب الرمز فيها.

وقد طبق (قدس سره) هذا المنهج على ما ذُكر من أن الدجال معه نهر من نار ونهر من ماء، أو جبل من نار وجبل من طعام وأن الشمس تسير معه أينما سار، وطبّقه على ما ذُكر من أن يأجوج ومأجوج يرمون بنشّابهم إلى السماء فترجع إليهم وهي تتفجر دماً عبيطاً، وغيرها.

ولكنه حين وصل إلى أحاديث السفياني اعترف بوجود صعوبة في تطبيق منهج الرمزية عليه؛ لإمكان حملها على الظاهر وقبولها.

إلا أنه وفي استعراض تحركات السفياني والأحداث التي تحصل يوم ظهوره وجد الروايات متعارضة فيما بينها، فلجأ إلى الحمل على الرمزية وأن السفياني يشير إلى الحركات الإسلامية المنحرفة قبل الظهور في داخل الوسط الإسلامي بإزاء الدجال الذي هو حركة الانحراف العالمي من خارج الإسلام.

إلا أننا في متسع من ذلك، لاحتمالنا حصول البداء في بعض تفاصيل تحركات السفياني مما يرفع اليد عن بعض الروايات فلا تنهض لمعارضة غيرها، أو لعل بعض الروايات كانت تتحدث عن السفياني المقرر ظهوره في فترة سابقة مع اليماني والخراساني ثم حصل البداء وتأخر موعد الظهور، ولسنا بحاجة إلى حل التعارض بالطريقة الفقهية لأن علم الفقه نحتاج فيه لبيان الموقف العملي للمكلف بدقة، وعند التعارض يتزاحم المتعارضان في مقام العمل فنحتاج إلى آليات الجمع أو الترجيح أو غيرها.. وفي البحوث الخاصة بالسفياني لسنا بهذه الحراجة العملية.

نعم ربما أحسّ السيد الشهيد (قدس سره) بأن قضية السفياني ليست مجرد علامة وحدث يحصل إبان الظهور، بل هي من الأمور المحتومة وربما كان لها دور في تمهيد الأذهان للظهور فلم يشأ أن يرفع اليد عنها بسهولة، ولكننا قلنا أننا في متسع من الحمل على الرمزية كما تقدم.

وليس من الصحيح التوسع والإفراط في حمل روايات العلامات على الرمز دون أن نقدم ضابطة تناسب ذلك، وقد قلنا أن من العلامات ما تشكّل إشارة ظاهرة لجماهير الإمام المهدي (عليه السلام) للتوجه إلى محل ظهوره وثورته، فإذا كانت على نحو الرمز قد يلتبس الأمر على الأتباع أو يشتبهوا بالأماكن، أو أن تتبلبل الأمور عبر الأجيال فيحملون أمثال

الصيحة والخسف ومكة والمدينة على أمور رمزية ويستعجلون التحرك قبل الأوان، أو أن يظهر هناك مدعون للمهدوية يضللون الناس بتأويلاتهم ويصرفون الناس عن الإشارات الواضحة التي جعلها الأئمة (عليهم السلام) إيذاناً ببدء الثورة والتحرك لها.

ومن الممكن أن نضيف أطروحة جديدة بدلاً من الحمل على الرمز ويكون الحمل على الرمز تطبيقاً من تطبيقاتها.

ومفاد هذه الفكرة الجديدة أن موعد الظهور كان يتغير بحسب استعدادات الناس ومدى نضوجهم للتفاعل معه، وسيأتي في البحوث اللاحقة أن موعده متحرك مع الأجيال، وتقدم منا أن العلامات التي ذكرها الأئمة (عليهم السلام) تكون ذات تشابه مع أحداث كل عصر بصورة تقريبية مما يساعد على إبقاء روح الاستعداد مستمرة عبر الأجيال.

وهذا التشابه بين ما ذُكر في أحاديث علامات الظهور وأحداث كل زمان، إنما يتأتى من انعكاس معنى الأحاديث مع ثقافة كل عصر، ويعني هذا أن معنى العلامة يتجلى في كل عصر بما يناسب المحتوى المعرفي لأهل ذلك العصر، فترمز العلامة إلى شيء مناسب مع ذلك العصر بما يحفظ روح الاستعداد عن الموالين، مع أنه لا بد أن يكون هناك عصر تنطبق فيه العلامة انطباقاً كاملاً على مصداقها.

فإذا كان المجتمع مستعداً للتشرف بالظهور فسيتحقق النصر في ذلك العصر وينتفع الموالون بما فهموه من علامات وإشارات، وإذا لم يتحقق لن يؤديَ ذلك إلى تكذيب المعصومين (سلام الله عليهم) فيما أخبروا به، وليس الإجمال مقصوداً من قبل الأئمة (عليهم السلام) عند اختيار العبارات المنبئة عن العلامات فيحتمل القارئ أن الأئمة (عليهم السلام)

اختاروا عبارات تنطبق على جملة من الحوادث المستقبلية بشكل جزئي ثم تنطبق بشكل أكمل على حوادث بعدها، وهو وإن كان ممكناً ولكننا نستبعده. بل الأقوى أن الحوادث المستقبلية إنما هي انعكاس لعمود النور بين الإمام وبين الله وبه يرى أعمال العباد كما في الحديث عن الإمام الرضا (عليه السلام)، وذلك العمود فوق الزمان وإنما حوادث التأريخ انعكاس لما في هذا العمود، فقد يكون في هذا العمود أن أمة من الأمم تستحق بلاءً في الأبدان كمرض معينٍ للتكفير عن ذنب أو لتحصيل منزلة إيمانية، فيرى الإمام (عليه السلام) من عمود النور صورة للتأريخ المستقبلي وفيه تبتلى تلك الأمة بذلك المرض المعين، ثم إن المؤمنين من أهل تلك الأمة قد يدعون الله سبحانه ويتوجهون نحوه، فيؤجل عز وجل البلاء بالمرض إلى بلاء من نوع آخر أو مرض آخر. وعمود النور هو أصل التأريخ والتطور وما فيه أثبت من الحوادث الظاهرية الواقعة في التأريخ.

وهذه الرؤية أدق –عند التأمل- لفهم سبب تشابه العلامات مع بعض الحوادث التأريخية دون أن تكون منطبقة تماماً عليها[1].

أما إذا لم نستطع فهم ظاهر العلامة فلا يتوجب علينا نفي معناها المباشر لأنه قد يأتي زمان آخر تكون الأشياء المذكورة في أحاديث العلامات مفهومة بصيغتها الظاهرية المباشرة.

---

(١) كما في الحديث المخبر عن أن العرب ستخلع أعنتها، فقد انطبق عند تحرر الشعوب العربية من الاستعمار الغربي في النصف الأول من القرن العشرين، وانطبق على الثورات العربية ضد طواغيتها في ما يسمى بالربيع العربي، ولعله سينطبق على ثورات مستقبلية يثورون بها على الفهم المنحرف للإسلام.

كما هو شأن الأحاديث التي أخبرت أن المؤمن في زمان الظهور يحدث أخاه المؤمن حتى لو كان أحدهم في شرق الأرض والآخر في غربها، أو الأحاديث التي تتحدث عن أن أتباع المهدي (عليه السلام) يرونه معهم أينما كانوا، فقد سمحت الثقافة التكنولوجية في هذا العصر بفهمها فهماً قريباً لمعانيها، فإذا استمع المتلقي إلى حمل تلك الأحاديث على أجهزة التلفزيون أو الاتصال الفيديوي المعروف اليوم أحسّ أنه أكثر قبولاً مما سبق أو من الحمل على المعجزة الذي كان السابقون لا يجدون مفراً من فهمه على أساسها (أي على أساس المعجزة).

ومن الممكن أن يأتي زمان تتطور فيه العلوم النفسية فيكون بإمكان المؤمن الحديث مع أخيه المؤمن بالإمكانات النفسية كالتليباثي المصنف كقوة ما وراء النفس (باراسايكولوجي) كما هو مقبول اليوم في علوم السايكوترون.

أو أن يتطور الزمان بعد أجيال عديدة ليتحدث المؤمن مع أخيه المؤمن بقوة الإيمان وأنوار الهداية كما هو شأن من يزورهم الموتى في المنام ويتحدثون معهم حتى لو كانوا بعيداً جداً عن مقابرهم، وهو ما نطق به القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل لِّلّهِ الأَمْرُ جَمِيعاً﴾(الرعد:٣١) والكلام مع الأحياء عالي الإيمان مماثل للكلام مع الموتى وقد حصل مثل هذا مع بعض المؤمنين.

وبسبب طبيعة الزمان وهرمية النمو المعرفي فإن المعاني البعيدة للعلامات لن تتيسر بسهولة لعامة الناس، والمتكلفون المأوّلون لن يقعوا على حقيقتها، وسيبقى هناك متسع للبداء والتأجيل دون تكذيب الأخبار

المستقبلية، ذلك أن الأمر –أمر الظهور- متعلق بشروط معينة لا بد منها، وليس على نفس العلامات، كما أن كل جيل إذا كان مستعداً للظهور ومتهيئاً للتضحية في سبيله فإنه سيتشرف بالظهور حتى مع تجليات أقلّ معنى من التجليات الكبرى للعلامات.

أما الجيل الذي يسارع إلى التوقيت والتعسف في تأويل العلامات بدافع النوايا غير السليمة فسيبتلى بتأجيل الظهور عن زمانه كما ابتلي المعاصرون للإمام الصادق (عليه السلام) بتأجيل الفتح رغم تحقق علامة الرايات السود في ذلك الزمان.

القسم الخامس: ما هي العلامات؟ وما مدى صحة الروايات التي تطرقت لذكرها؟

من الواضح لدى المحققين في أخبار علامات الظهور أن هناك إفراطاً كثيراً في هذا الجانب، من ناحية كثرة الأخبار المختلقة في العلامات، وكثرة التركيز عليها مع قلة الاعتناء بأسانيدها. والسبب في ذلك أن الناس تحبّ الحديث عن المغيبات، وتجد في الحديث عن المستقبل علاجاً للقلق من الغيب المستقبلي وسلوة عن الحاضر المزري، وقد تقدم أن الحديث عن ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) ينبغي أن لا يكون كالحديث عن حدث مستقبلي ليس للناس مشاركة فيه كما هو شأن الحدث الطبيعي مثل قدوم

نيزك أو حصول زلزال، بل هو وعد حتمي ولكن بموعد متغير يعتمد على ما يخطوه الناس باتجاهه من تضحيات[1].

وقد قدمنا فهماً للعلامات والحكمة في الإخبار عنها، وأي إفراط في هذا الميدان إنما يُلقى على عهدة الرواة الذين تساهلوا في نقل الأخبار؛ ربما لأنهم لم يروا محذوراً في ذلك كما هو المحذور في نقل روايات العقائد والفقه.

هذا مع الضعف في تحليلها وفهمها حتى فُتح الباب لتأويل المنتحلين في كل جيل وبلبلة الرؤية لدى مثقفي كل عصر. ولو أنهم استقبلوا وجوه الآراء لعرفوا مواضع الخطأ والصواب كما يقول أمير المؤمنين (عليه السلام)، ولا يحق لنا أن ننسب حديثاً لأهل البيت (عليهم السلام) وهو لم يثبت لنا بصورة علمية، بل الأمر أخطر مما في الفقه وقد شاهدنا كيف يصوغ أهل الفرق الضالة ضلالاتهم ليمضوها بالروايات الضعيفة والتأويلات المنحرفة فيخدعون بها الناس. فلا يحق لنا اتباع الظن في ذلك لأنه من الجرأة على المعصومين (عليهم السلام) ويضر بالقضية المهدوية والظهور الميمون نفسه.

وقد قدمنا أيضاً أن بعض العلامات ربما كانت تعتمد على موعد سابق للظهور وكانت مناسبة لظروفه فلما تأجل الظهور فقدت إشارتها عن الظهور وعلاميتها عليه.

---

(١) وقد يدخل في احتمالات سبب وجود أحاديث كثيرة ضعيفة السند أن أجيالاً من الرواة والفقهاء لم يعرفوا قيمة هذه الأحاديث وأهملوها بعد استغرابهم لمضامينها، ولم يعتنوا بأسانيدها والبحث عن حال رواتها وتدوينها كما فعلوا مع أحاديث الفقه والعقائد التي كثروا رواياتها ونقحوا أسانيدها وناقشوا متونها.

وسنعرض فيما يلي أشهر العلامات مع قوة الرواية من حيث السند:

الرايات السود: وذكرت من علامات الظهور واقتراب موعده في روايتين عن أمير المؤمنين (عليه السلام) وعن الإمام الباقر (عليه السلام)، أما عن طريق العامة فهناك رواية عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تطرقت لخروج رايات سود من خراسان.

والروايات جميعها ضعيفة السند لا تثبت شيئاً.

ويحتمل كذلك أنها كانت متعلقة بموعد الظهور سنة السبعين أو سنة المائة وأربعين حيث يتوفر أنصار كثيرون من تلك البلاد يحملون الرايات السود. ولم يعهد عن الأئمة المتأخرين (عليهم السلام) حديث عنها.

ولعلها رايات الموالين التي صادر العباسيون ثورتهم وكان مقرراً لها أن تدعم الظهور في سنة (١٤٠) للهجرة، ولكن لما يكن الشيعة على مستوى مناسب من الالتزام أجّله الله عنهم كما تقدم من حديث (أذعتموه فأجّله الله)، وبقيت تلك الأخبار تخصّ تلك الواقعة. ويرجح السيد الشهيد هذا الاحتمال أي حمل علامة الرايات السود على رايات أبي مسلم الخراساني قائد ثورة العباسيين في تلك البلاد.

أما اللون الأسود لتلك الرايات فربما كان فيه إشارة إلى أمر واقعي وهو ظاهر لونها فقد كانت سوداء فعلاً، ومن البعيد حمله على الرمزية لأن السواد يقترن غالباً بالأشياء السيئة المشؤومة، وربما كانت تعني الإشارة إلى كونها تابعة لبني العباس لأن السواد هو شعارهم، ولكنه

أصبح شعارهم بصورة متأخرة أي بعد تأسيس دولتهم وبحثهم عن خصوصيات في اللون والرايات والمراسيم، مع مشاكل في هذا التأويل.

أما في العصر الحديث فلم تعد هناك رايات قماشية ملونة كما في العصور القديمة فلا داعي لتأويل لون السواد بما ينطبق مع الثقافة الحديثة، إلا إذا قلنا أن الأمور ستتدهور وترجع طبيعة المعارك القديمة وأعرافها.

قتل النفس الزكية: فقد وردت روايات متعددة عن الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) حول مقتل النفس الزكية وأن هذا الحدث من المحتوم. والروايات متعددة وتورث التصديق بمضمونها أي بقتل شخص مهم يلقب بالنفس الزكية، وأضافت رواية صحيحة أنه من ولد الحسن (عليه السلام).

والظاهر أن الروايات كانت تتحدث عن مقتل محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، كما رجّحه السيد الشهيد، ويؤيده أنها جاءت بصيغة الألف واللام التي لا يمكن حملها على الجنس إلا بتكلّف فهي تشير إلى العهدية بلا شك، أي أن الإمامين الباقرين (عليهما السلام) كانا يتحدثان عن لقب معروف لشخصية معروفة معهودة، وكان محمد بن عبد الله يُلقّب بالنفس الزكية (من قبل جملة كبيرة من الناس) وصاحب حركة خطيرة لو أنها أتيح لها المتابعة من جميع الشيعة لتسبب بأحد احتمالين إما انحراف الإمامة عن أهل البيت (عليهم السلام) إلى ولد الحسن من غير استحقاق وقطيعة الأرحام بسبب الاعتزاز بالملك، أو اشتداد الحرب بينهم وبين بني العباس بحيث لا يبقى من الشيعة إلا القليل، فالظاهر أن الأئمة (عليهم السلام) كانوا يريدون بتأكيدهم

على مقتل النفس الزكية صرف عدد من الناس عن نصرته بهذا التعبير اللطيف، فالإمام الصادق (عليه السلام) -كما هو مروي- كان في تقية من أنصاره بل تعرض للسجن وقتها من قبل رجال ذلك الثائر.

فمن المحتمل جداً أن الروايات التي تحدثت عن الرايات السود أنها من علامات الظهور كانت تعني الموعد الذي كان تحققه عام (١٤٠) للهجرة بشرطه وشروطه.

وهناك رواية أضافت أن بين مقتل النفس الزكية وظهور المهدي خمس عشر ليلة، وهي رواية ضعيفة السند تنتهي إلى رجل واحد مختلف في اسمه فضلاً عن توثيقه فلا يمكن الاعتماد عليها.

ورواية أخرى قالت أنه يقتل بين الركن والمقام وهي ضعيفة كذلك لا يمكن الاعتماد عليها.

ورواية تحدث أنه يُقتل في ظهر الكوفة وهي ضعيفة أيضاً ولا يمكن الاعتماد عليها شأنها شأن سابقتها.

ونترك الحديث عن بقية العلامات إلى مقالة لاحقة بإذن الله تعالى خشية الإطالة على القراء.

اليماني: توجد بشأن اليماني عدة روايات بعضها صحيح السند، منها ما عن الإمام الصادق (عليه السلام) في الكافي قال: (خمس علامات قبل قيام القائم: الصيحة والسفياني وقتل النفس الزكية واليماني)، وعن الإمام الباقر (عليه السلام) في رواية صحيحة أيضاً (خروج السفياني واليماني والخراساني في شهر واحد في يوم واحد، نظام كنظام الخرز يتبع بعضه

بعضاً، ... ليس في الروايات راية أهدى من راية اليماني؛ لأنه يدعو إلى صاحبكم).

ووردت روايات ضعيفة في أن اسمه يتألف من ثلاثة أحرف، أو أن اسمه حسن أو حسين، وأنه يخرج من صنعاء، وأنه من ذرية زيد الشهيد، وأنه سيكسر عين السفياني، وفي رواية أن السفياني سينتصر عليه في العراق، ورواية تصفه بأنه القحطاني، لأن القحطانيين كانوا في اليمن. ورواية مضمرة عن محمد بن مسلم يحتمل منها أن حركة اليماني متزامنة مع خروج الرايات السود.

واستبعد بعض الباحثين المعنى المباشر المفهوم من لقب (اليماني) لأنه يرى أن اليمن اليوم لا يمكن أن تظهر فيها حركة شيعية وتكون راية قائدها أهدى الرايات حتى من الخراساني!، فحملوه على اليُمن بمعنى البركة، أو أن أصله من اليمن حتى ولو كان يعيش ويُعرَف ببلاد أخرى.

وهذا التحليل مردود، لأن العرف يفهم من اليماني أنه من اليمن، أما أن يكون أصله من اليمن فقط فهو مخالف للعرف، وإلا فإن أصل القبائل جميعاً من اليمن كما يقال.

كما أنه لا دليل على أن الظهور سيكون في هذا العصر، فقد يكون في عصر مستقبلي قادم يسمح بنهوض فكري شيعي في اليمن قد لا يستغرق تأريخياً عشر سنوات، وقد تكون الرواية تتحدث عن عصر سابق لليمن تكون فيه القاعدة الشيعية قوية وواعية، كما كان ذلك في عصر صدر الإسلام من كون أهل اليمن من شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) حتى عُرفوا بذلك وأوذوا في سبيله.

ومن الراجح أن هذه العلامة تخص الظهور الذي كان مقرراً أن يكون سنة (١٤٠) للهجرة، حيث كانت اليمن ذات نشاط شيعي، ويؤيد ذلك أمور:

الأول: أنها متزامنة مع الرايات السود كما عن محمد بن مسلم الذي لا يضر الإضمار بروايته، وفهمنا أن الرايات السود هي رايات الثورة الخراسانية.

الثاني: قول الإمام الصادق (عليه السلام) (لأنه يدعو إلى صاحبكم) فإن الأظهر فيه أن المقصود هو شخص الإمام الصادق نفسه) لأنه كان صاحب المستمعين، وكان هذا التعبير وقتها ما كان يسمح به الظرف السياسي.

فيكون الحديث ناظراً إلى حركة شعبية تخرج في اليمن متزامنة مع حركة الخراسانيين لتحقيق الثورة على الطواغيت لولا ما حصل من إذاعة الأسرار وتأجيل موعد الظهور.

ولعل في إشارات الإمام الصادق (عليه السلام) لتلك العلامات نوعاً من الإعداد للثورة بتوجيه العاملين الرساليين إلى مواطن الاستعداد للنهوض في خراسان واليمن.

الخراساني: وقد مرت بكم الرواية الصحيحة (خروج السفياني واليماني والخراساني في سنة واحدة في شهر واحد في يوم واحد..).

والظاهر أن الخراساني هو صاحب الرايات السود التي تخرج من خراسان.

وهناك روايات ضعيفة تتحدث عن بعض خصائصه، وروايات تسميه شعيب بن صالح أو صالح بن شعيب.

وقد يكون المقصود به أبا مسلم الخراساني قائد حركة الخراسانيين ضد الأمويين إذا تنازلنا عن رواية الاسم، أو شخصية أخرى كانت ستظهر من بعده لتصحيح مسار الحركة ولكن قُدّر لهذه الحركة أن تجهض قبل أوانها بسبب قلة الوعي يومها، ففي الرواية عن محمد بن حنفية قال: (تخرج راية سوداء لبني العباس، ثم تخرج من خراسان سوداء أخرى قلانسهم سود وثيابهم بيض، على مقدمتهم رجل يقال له شعيب بن صالح أو صالح بن شعيب من بني تميم، يهزمون أصحاب السفياني حتى تنزل بيت المقدس توطّئ للمهدي سلطانه يمد إليه ثلاثمائة من الشام..).

وليس من الممكن حمل اسم (شعيب بن صالح) على الرمزية كما حاوله البعض لجرّ معاني الروايات الصريحة على شخصيات معاصرة، وهو من التوقيت المبغوض والمضر بموعد الظهور الميمون.

الحسني: الروايات التي تحدثت عن شخصية تُلقّب بالحسني زمان الظهور ضعيفة السند ولا يمكن الاعتماد عليها، ويرى بعض المحققين أن الحسني المذكور في إحداها هو النفس الزكية التي عرفنا أنه محمد بن عبد الله بن الحسن الذي قُتل في زمان الإمام الصادق (عليه السلام) على يد العباسيين.

وقد روى الشيخ الطوسي أن الحسني يخرج من الحجاز مع حركة الإمام المهدي (عليه السلام) إلى العراق بعد ظهوره.

وفي الملاحم والفتن يروي ابن طاووس أن الحسني يختبر الإمام المهدي فيقيم له (عليه السلام) بعض المعجزات فيسلّم له قيادة جيشه

المؤلف من اثني عشر ألفاً ويسير في ركابه بينما يعترض بعض جنود الحسني فيقاتلهم مع الإمام المهدي (عليه السلام).

والروايتان ضعيفتان سنداً، ولا يتضمنان تكليفاً أو واجباً على المؤمنين تجاه الحسني لأنه يظهر مع ظهور الإمام عجل الله فرجه.

السفياني: تعددت الروايات في ذكر أصل ظهور شخصية السفياني مما يورث العلم بصحتها، وأنه من المحتوم والتحذير منه، أما الروايات التي تحدثت عن حركته وما يفعله ومدة ملكه فليست بنفس مستوى الصحة من حيث السند. وبعض الروايات قرنت ظهوره مع اليماني والخراساني في زمان واحد، وأنه يخسف بجيشه في البيداء.

ويحتمل أنها تتعلق بالظهور المؤقت عام (١٤٠ هجـ) إلا أن نشاط الدعوات المنتسبة لآل أبي سفيان مستمر عبر التأريخ، وقد يكون له مصاديق مختلفة، كما فهمناه من تجليات العلامات في كل عصر، فمن الممكن أن تكون هناك حركة شخص يسمى السفياني ولكن ليس بنفس تفاصيل السفياني المقرر له الخروج عام (١٤٠ للهجرة).

وللسفياني مزية إضافية دون سائر العلامات وكأنما هو شيء ضروري من إرهاصات الظهور المبارك، كأن يساهم ظهوره في فضح بني أمية وما يستتبعه ذلك من إعادة نظر في التأريخ الإسلامي وتنبيه العرب إلى الانحراف التأريخي الكبير منذ صدر الإسلام وما حصل في ذلك الوقت، فيساهم ذلك بفهم مظلومية أهل البيت (عليهم السلام) وحقانية قضيتهم.

وحمل السيد الشهيد الصدر الثاني في بداية بحثه عن السفياني تأريخ الغيبة الكبرى من الموسوعة المهدوية علامة السفياني على ظاهرها

وأنه رجل من آل أبي سفيان يمارس أبشع الجرائم في حق أتباع أهل البيت وشيعتهم (عليهم السلام). ولم يطبق منهج الرمزية على السفياني لإمكانية قبول الظاهر. ولكنه لجأ إلى ذلك بعد تعارض الروايات المتعلقة بحركاته قبيل الظهور، وناقشنا هذا الحمل والمنأى عنه.

ونحتاج إلى بعض المؤونة الزائدة لتأويل (السفياني) وتجريد معاني الروايات عن خصوصياتها لتطبيقها على الواقع المعاش، مع ما في ذلك من الجرأة في رفع اليد عن ظاهر أحاديث المعصومين (عليهم السلام) وما يسببه ذلك من التوقيت واستعجال الظهور وترتيب بعض المواقف الخاطئة على هذا التأويل.

ومن الممكن بسهولة قبول ظاهر الأحاديث ومفادها بأن شخصية من ذرية آل أبي سفيان أو المنتمين إلى فكرهم و(مولى القوم منهم) يمارس عملية عسكرية دموية في الشام والحجاز والعراق.

أما تأويل هذه العلامة فليس من منهج الرمزية الذي تحدث عنه السيد الشهيد وإذا أردنا أن نحمل الباحثين الذين تأولوه على محمل حسن، فيمكن أن نحتمل أنهم فكروا أن البداء قد يكون حصل في تفاصيل قضية السفياني لا في أصله، وأن البداء ساهم في تغيير خصوصيات ما أخبرت عنها الأحاديث الشريفة فبدلاً من أن يكون السفياني شخصاً محدداً كان حركة وفكرة وبدلاً من أن يملك الكُوَر الخمس في الشام قد يملك مجموعة دول في العالم العربي.

إلا أن البداء وإن كان ممكناً في ذلك إلا أنه لا دليل على حصوله. ولا زالت شخصية السفياني قابلة للتحقق في مستقبل التأريخ كما أخبرت عنها الروايات تماماً بلا مانع من ذلك.

الخسف في البيداء: وقد سمعنا في المقالات السابقة أنه من أهم العلامات وأن على الشيعة أن يجمدوا نصرتهم للإمام المهدي (عليه السلام) إلى حين حصول الخسف بجيش السفياني، وكذلك ورد في المكاتبة الأخيرة عن الإمام المهدي (عجل الله فرجه): (فمن ادعى الرؤية قبل الخسف وقبل الصيحة فهو كذاب)، فالخسف علامة مهمة وحادثة ظاهرة غير قابلة للشك بحيث تصلح أن تكون علامة ذات حدّين نعتمدها لتكذيب من ادعى الرؤية قبلها ونستعد بعدها لنصرة الإمام (عجل الله فرجه) كما في الرواية (اسكنوا ما سكنت السماوات والأرض) ووضّحها الإمام الصادق (عليه السلام) بأن الأرض لن تسكن في زمان الظهور بل ستخسف بأعداء المهدي والسماء لن تسكن بل ستنادي باسمه الشريف (عليه السلام).

فما هو الخسف إذن:

الاحتمال الأول: أنه الخسف بجيش السفياني الذاهب للقضاء على الإمام المهدي ففي بعض الروايات أن السفياني يطارد الإمام (عليه السلام) قبيل الظهور حتى يلجأ الإمام إلى مكة فيسيّر السفياني جيشاً خلفه وبينا هم منطلقون نحو مكة للقضاء على العائذ فيها يصرخ بهم جبرائيل (عليه السلام) (يا بيداء أبيدي القوم) فيخسف بهذا الجيش في البيداء بين مكة والمدينة بصورة إعجازية تبهر السفياني نفسه فضلاً عن سائر الناس ويكون ذلك الخسف علامة على ظهور المهدي لعامة الناس، وورد أنه تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ، ..﴾(سبأ:٥١).

الاحتمال الآخر: أنه خسف من نوع آخر يصيب فقهاء السوء الذين يتاجرون بالدين قبل ظهور المهدي (عليه السلام) فيخسف بهم بصورة

معنوية أو ظاهرية، ففي وصية رسول الله لعبد الله من مسعود ويذكر فيها علماء السوء في آخر الزمان ثم يقول (صلوات الله عليه وسلامه وآله): (يا ابن مسعود: علماؤهم وفقهاؤهم خونة فجرة، ألا إنهم أشرار خلق الله، وكذلك أتباعهم ومن يأتيهم ويأخذ منهم ويحبّهم ويجالسهم ويشاورهم أشرار خلق الله يدخلهم نار جهنم ... ما بلوى أمتي منهم العداوة والبغضاء والجدال، أولئك أذلاء هذه الأمة في دنياهم. والذي بعثني بالحق ليخسفنَّ الله بهم ويمسخهم قردة وخنازير. قال: فبكى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبكينا لبكائه وقلنا: يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال: رحمة للأشقياء، يقول الله تعالى ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ، وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَكَانٍ بَعِيدٍ، وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ، وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَكَانٍ بَعِيدٍ، وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾(سبأ: ٥١-٥٤) قال الراوي –ولعله ابن مسعود-: يعني العلماء والفقهاء).

إلا أن هذا الخسف إذا كان معنوياً باطنياً فلا يمكن أن يكون علامة إلا إذا كان للمؤمنين في زمان الظهور فراسة تميز هذا النوع من الخسف، ولعلها خاصة بجنود الإمام المهدي الخلّص الذين ينظرون بنور الله. إلا أن نحمل الخسف والمسخ في هذا الحديث على المعنى الظاهري.

الاحتمال الثالث: أن يكون الخسفان كلاهما صحيحان فيكون الأول ظاهرياً كعلامة لعامة الناس والثاني باطنياً للخاصة، أو قد يكون لكل من الخسفين دلالة على مستوى من الظهور والله العالم.

الاحتمال الرابع: أن تحصل عدة حوادث خسف في مناطق كبيرة من العالم، كما روي مرسلاً عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من علامات اقتراب الساعة: (إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات: فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج. وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب).

الخسوف والكسوف في غير أوانهما: وقد وردت فيهما روايات عديدة تورث القطع بصدورها عن المعصومين (عليهم السلام) وروايات عديدة أضعف سنداً ذكرت تفاصيل أكثر لهذا الحدث الكوني النادر، ففي الكافي عن بدر بن الخليل الأزدي قال: (كنت جالساً عند أبي جعفر (عليه السلام) فقال: آيتان تكونان قبل قيام القائم (عليه السلام)، لم تكونا منذ هبط آدم إلى الأرض: تنكسف الشمس في النصف من شهر رمضان، والقمر في آخره. فقال رجل: يا ابن رسول الله تنكسف الشمس في آخر الشهر والقمر في النصف، فقال أبو جعفر (عليه السلام): إني أعلم ما تقول، ولكنهما لم تكونا منذ هبط آدم (عليه السلام)).

وكأنما أراد الرجل الحاضر أن يصحح للإمام فذكر أن الشمس عادة تنكسف في آخر الشهر والقمر في منتصفه فأجابه الإمام (عليه السلام) بما أجابه من أنه يعلم ذلك ولكن الأمر استثنائي وهو آية لم تحصل منذ هبط آدم إلى الأرض.

ومثله ما رواه النعماني عن الإمام الباقر (عليه السلام) كذلك قال: (إن بين يدي هذا الأمر انكساف القمر لخمسٍ تبقى والشمس لخمس

عشرة، وذلك في شهر رمضان، وعنده يسقط حساب المنجمين). وسقوط حساب المنجمين (أي المشتغلين بحساب النجوم) لأنه على غير العادة.

وذلك أن كسوف الشمس واحتجاب نورها يكون عند توسط القمر بين الشمس والأرض بمستوي واحد وهو لا يكون إلا في آخر الشهر، أما خسوف القمر فيكون عندما تكون الأرض بينه وبين الشمس في منتصف الشهر فيحتجب نوره بظل الأرض.

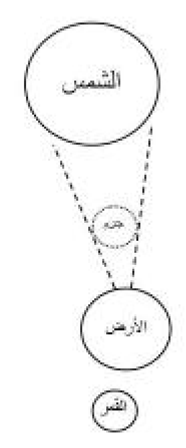
وتتم رؤية الهلال في آخر الشهر من وقوع القمر في زاوية مثلث ضلعه الأطول بين الشمس والقمر فمن المستحيل علمياً أن يحصل الخسوف أو الكسوف في غير الوضع الطبيعي من دون تدخل جرم جديد، أما إذا تصورنا أن اختلافاً سيطرأ في دوران القمر حول الأرض أو اختلافاً في المكان أو حيود الضوء بشكل فريد: فإن هذا الاختلاف سيكون آية بمفرده وسيرى البشر أن ما سيترتب عليه من أوضاع ليس هو الشيء الجديد بل التغير الطارئ هو الشيء الملفت للنظر.

أما كيف يحصل الخسوف والكسوف غير الطبيعيين فقد ذكروا لذلك وجوهاً:

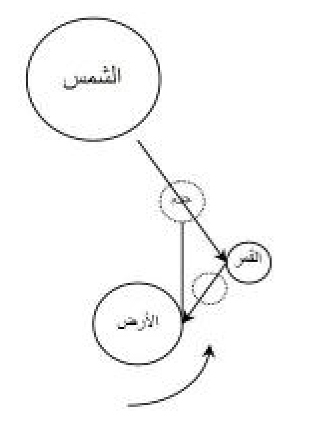
منها: أنهما يحصلان بواسطة جسم صناعي يقوم به البشر في فترة متقدمة لأغراض علمية كتوليد الطاقة الشمسية في الفضاء أو كمحطة فضائية كبيرة أو كجسم مجرد حجب الشمس أو القمر لغرض دراستهما بدل انتظار حالات الكسوف والخسوف الطبيعيين، وهذا الاحتمال ذكره السيد الشهيد الصدر الثاني في تأريخ ما بعد الظهور كإحدى أطروحات التفسير.

وهذا الاحتمال يضعفه تعبير الإمام (عليه السلام) بأنهما آيتان والعرف يفهم من التعبير عن الحادثة بأنها آية إذا لم يكن للبشر فيها يد، فتكون معبرة عن تدخل اللمسة الغيبية والإشارة إلى شيء معنوي.

ومنها: أنه يحصل بتوسط جرم طارئ بين الشمس والأرض تارة فيحصل كسوف الشمس، وبين الشمس والقمر تارة أخرى فيحصل خسوف القمر كما هو موضح في الشكل أدناه.



احتجاب ضوء الشمس عن الأرض في منتصف الشهر القمري لا يمكن أن يحصل إلا بتوسط جرم طارئ يحجب قرص الشمس.



احتجاب الضوء عن القمر (الهلال) في آخر الشهر لا يمكن أن يحصل بدون تدخل جرم رابع إما بين القمر والشمس، أو بين الأرض والقمر وهو يؤدي إلى كوارث بيئية على الأرض

أما احتمالية توسط الجرم الطارئ بين القمر والأرض فيعني أنه كبير جداً ليحجب نور القمر، ومثل هذا الجرم ستسبب جاذبيته تفتت القمر وارتفاع موجات تسونامي هائلة وكوارث بيئية على الأرض لا حصر لها لا تبقي أثراً للحياة على اليابسة حتى ولو كانت للحظات.

كما أن من المستبعد أن يبقى هذا الجرم لفترة كافية بين الأرض والقمر دون أن يصطدم بهما كأن نحتمل أن يدور معهما ليحقق الخسوف والكسوف، فإن سرعة الأجرام الفضائية هائلة جداً (أكثر من ١٥ ألف

كيلومتراً في الساعة) وحركة القمر والأرض معقدة لا نتصور أن ينسجم معهما الجسم الطارئ ويبقى من منتصف الشهر إلى آخره قرابة عشرة أيام دون أن ينفلت أو يسبب اضطراب النظام الجيولوجي على الكوكب.

وقد ذكر هذا الاحتمال السيد الشهيد الصدر الثاني في تأريخ ما بعد الظهور كأطروحة، ونقله عنه بعض الكتاب المتأخرين في التسعينيات دون نسبته إلى السيد الشهيد (قدس سره) وأضاف إليه بعض التفاصيل اللطيفة وربطه ببعض الحوادث الأخرى مثل طلوع الشمس من مغربها وحصول الدخان الذي ورد أنه من علامات الساعة، وبعض الكوارث البيئية التي وردت في روايات ضعيفة، فافترض ذلك الكاتب أن الجرم الطارئ هو مذنب وأنه يغيّر المجال المغناطيسي الأرضي فتنقلب حركتها، ويسبب الدخان نتيجة ما يقذفه من غازات إلى الأرض.

وهذا السيناريو قد يبدو منسجماً لأول وهلة، إلا أن المذنب ذو كتلة صغيرة عادة لا يمكنها من المنظور العلمي أن تغير المجال المغناطيسي الأرضي حتى ولو كان قلبه من الحديد، إلا إذا تصورنا أنه مذنب استثنائي لم يأتِ منذ هبط آدم على الأرض وأن تأثيره على الأرض سيتلطف ليمنع القضاء على الحياة على الأرض.

وهي أطروحة محتملة على كل حال وإن لم تفسر جميع الحوادث التي تحصل قبيل الظهور من طلوع الشمس من مغربها .. وغيرها.

طلوع الشمس من مغربها: والأخبار في هذا الحدث ضعيفة السند، واستظهر البعض منها أنها من علامات الساعة المباشرة، كما روي أن صعصعة بن صوحان صاحب أمير المؤمنين (عليه السلام) فهم بأن طلوع

الشمس من مغربها هو ظهور آخر الأئمة (عليهم السلام) عند الركن والمقام فيطهر الأرض ويضع ميزان العدل فلا يظلم أحدٌ أحداً..

فيكون المقصود من الشمس هو المهدي (عليه السلام) أو العدل والقسط، والمراد بالمغرب مكة لأنها تقع غربي العراق أو الكوفة التي كان فيها أمير المؤمنين (عليه السلام) يوم تحدّث بخطبته عن خروج الشمس من مغربها، أو ربما أراد بالمغرب غياب العدل والدين الحقيقي عن الأرض أو عن تلك البلاد.

أما حملها على الظاهر أي أن تظهر الشمس من جهة المغرب بطريقة عكسية، فهو مقبول أيضاً من ناحية عقلية كما رُدّت الشمس ليوشع (عليه السلام) أو لسليمان (عليه السلام) أو لأمير المؤمنين (عليه السلام).

وهناك صعوبة في تصور انعكاس حركة الأرض فجأة دون حصول كوارث على الأرض، فالأرض كما هو معلوم ذات كتلة كبيرة جداً وذات عزم قصور ذاتي كبير، وسرعة دورانها هائلة، وكل ذلك يجعل من الصعب إيقافها بالقوى الكونية الطبيعية المعروفة، وقشرتها متصلبة بينما باطنها -كما عن علماء الجيولوجيا- صهارة من الصخور والمعادن، ويرى بعض العلماء أن قلبها من الحديد، فإذا توقف دورانها أو انعكس فجأة (في غضون ساعات) فمن المؤكد أن جملة من الكوارث ستحدث على الأرض أقل ما فيها حصول موجات بحرية عالية تغرق من على اليابسة بأجمعهم، وربما لأجل هذا فهم بعض العلماء أن طلوع الشمس من مغربها هو من علامات الساعة المباشرة أو أنها ستتسبب بخراب الأرض وربما تنشأ من خراب المجموعة الشمسية.

لكن إذا تصورنا أن الأرض ستترفق في سرعتها حتى تتباطأ ثم تغير دورانها فمن الممكن أن يحصل طلوع الشمس بصورة مختلفة، ولكن هذا يستغرق عدة أيام على أقل التقادير. وهو لا يناسب الخبر الذي تحدث عن حادث غريب يحصل فجأة كعلامة ملفتة للنظر.

ولا يناسب كذلك تفسيرها بالتغير البطيء المستمر لأقطاب الأرض حتى ترجع الأرض لتدور بعكس اتجاه دورانها حول نفسها أو بعكس ما نشعر به على سطحها؛ لأن هذا يحصل ببطء شديد ويكون في ملايين السنين، إلا إذا تصورنا أنه سيحصل فجأة نتيجة لتدخل قوى كونية غير مألوفة، ولن يسبب ردّة فعل عنيفة على الأرض لأنه لن يكون معارضاً لجهة وران الأرض بل عمودياً عليها بشكل لا يسبب معه صدمة.

كما لا يناسب تفسيرها بما يحصل لمن يركبون الطائرات ويسافرون نحو الغرب بسرعة أكبر من سرعة دوران الأرض فإنهم لو طاروا بالطائرة بعد غروب الشمس واتجهوا غرباً لشاهدوا الشمس وكأنها تطلع من مغربها؛ وهذه الحالة تحصل لفئة قليلة من الناس لا يمكن عدها آية وعلامة للظهور إلا بتكلف.

وطلوع الشمس وغروبها يتم -وفق الثقافة العلمية المعاصرة- بدوران الأرض حول نفسها فتتبدل جهتها المواجهة للشمس كل يوم كما هو معلوم.

لكن إذا تصورنا أن طلوع الشمس من مغربها يتم بانعكاس ضوئها بعد غياب قرصها، كما هو حاصل فعلاً كل يوم فإن قشرة الغلاف الجوي تسمح أحياناً بانعكاس لضوء الشمس حتى وهي تحت الأفق ولكن بنسبة قليلة يعرفها المشتغلون بحساب مواقيت الحركات الفلكية، وذلك نتيجة

لحيود الضوء أو انكساره في طبقة غازات الغلاف الأرضي. ويكفي أن نتصور أن هذا الانعكاس يحصل بصورة استثنائية نتيجة لوجود غازات من نوع خاص أو وضع خاص. وهذا الاحتمال بعيد ولا يستمر لفترة كبيرة كما أن الغازات المطلوبة لمثل هذا الانعكاس ستكون من الكثافة بحيث ستحجب نور الشمس بالمرة.

إلا إذا احتملنا أن سلوك الضوء سينحرف نتيجة لتدخل كتلة كونية مؤثرة على مسار الضوء من الشمس كالمادة المعتمة (Dark Matter) أو غيرها دون أن تؤثر تلك الكتلة على الأرض. وهو احتمال غير معلوم وغير مفهوم لأن الدراسات عن تلك المواد المعتمة قليلة ولا زالت خصائصها مجهولة.

ويحتمل كذلك أن لا يتغير اتجاه دوران الأرض ولكن الأرض ستنقلب رأساً على عقب نتيجة لدوران محور دورانها فيصبح القطب الشمالي مواجها للجنوب السابق والعكس بالعكس، كما تقدم، ومثل هذه الحركة لن تسبب مشكلة مع القصور الذاتي لكتلة الأرض لأن الأرض ستستمر بحركتها الدورانية دون تغيير فلا تحصل المشاكل الجيولوجية ولا البيئية على السطح.

كما أننا بنينا هذه المشاكل الحاصلة وفق فهمنا لقوانين الكون المعاصرة، وقد يكتشف العلم مستقبلاً بعض الأمور التي ستساعد على تصور هذا الحدث، خصوصاً وأنه (العلم الحديث) لا زال لا يعرف لماذا تدور الأرض حول الشمس وما هي القوة المؤثرة التي تديرها، ويفترضون لذلك أن الشمس في الأساس كانت تدور حول نفسها وانفصلت عنها الأرض فبقيت على دورانها بالاستمرارية ثم تكثفت من غاز إلى مواد

صلبة وسائلة قبل مليارات السنين، وهي نظريات ظنية محتملة استقوت بعدم وجود نظرية معاكسة، ولم يُتح تجربة أو رصد نموذج مماثل لكتلة كبيرة لقياس سلوكها وتفسير حركة الأرض وفقها.

والاحتمال الأخير أن تكون هذه الحادثة تحصل بالمعجزة فإن الذي خلق الأرض والكون قادر أن يغير حركتها بدون عناء ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(يس:٨٢-٨٣).

وكيف كان فالأخبار الدالة على هذا الحدث ضعيفة السند، لا يمكن لنا أن نجزم بحصول مؤداها كما لا يمكننا أن نرفضها. والأقرب حملها على معنى ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) بعد الغيبة لأن الأئمة (عليهم السلام) سبق أن عبروا عن ظهوره الشريف (روحي فداه) بالشمس الطالعة فقد روى الكليني والصدوق بسنديهما إلى الإمام الرضا (عليه السلام) في وصف الإمام والإنكار على من زعم أنه يكون باختيار البشر: (الإمام كالشمس الطالعة المجللة بنورها للعالم وهي في الأفق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار. الإمام البدر المنير، والسراج الزاهر، والنور الساطع، والنجم الهادي في غياهب الدجى..) وروي عن رسول الله في وصف قدوم المؤمنين عليه (صلى الله عليه وآله) يوم القيامة (وجه إمامهم كالشمس الطالعة، ووجوههم كالقمر ليلة البدر).

وحمل البعض معنى الغروب على غرب الأرض وقال إن موضع ظهور الإمام (عليه السلام) يكون من بلاد الغرب، وهو رأي غريب لا نعرف كيف نوفقّه مع الأحاديث التي ذكرت موضع ظهور المهدي (عليه السلام) من مكة أو من قرية قريبة منها، ويحتاج إلى تأويل.

الصيحة ليلة الثالث والعشرين من شهر رمضان: وقد كثرت الروايات المعتبرة المتعددة المخبرة عن حصول الصيحة، وجعلتها بعض الأحاديث علامة للتحرك وترك التقية، وحددتها بعض الأخبار بليلة الثالث والعشرين من شهر رمضان المبارك، فعن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه كان يتحدث عن بعض العلامات فقال: (صيحة في شهر رمضان، تُفزع اليقظان وتوقظ النائم وتُخرج الفتاة من خدرها) وعنه (عليه السلام) قال: (الفزعة في شهر رمضان، فقيل: وما الفزعة في شهر رمضان؟ فقال: أوما سمعتم قول الله عز وجل في القرآن: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّن السَّمَاء آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾(الشعراء:٤) هي آية تخرج الفتاة من خدرها وتوقظ النائم وتفزع اليقظان).

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (للقائم خمس علامات: ... الصيحة من السماء).

وعن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (فتوقعوا الصيحة في شهر رمضان وخروج القائم، إن الله يفعل ما يشاء).

وعن الإمام المهدي عجل الله فرجه في كتابه إلى السفير الرابع قال: (فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذاب مفترٍ).

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) بشأن الآية ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّن السَّمَاء آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ لو كانت الصيحة خضعت أعناق أعداء الله عز وجل).

وأحاديث أخرى فسرت الآية بأنها صيحة جبرائيل (عليه السلام) في شهر رمضان، وتحدث بعض الأحاديث الشريفة عن مضمون الصيحة

عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (ينادي منادٍ من السماء: إن فلان بن فلان هو الإمام باسمه،وينادي إبليس لعنه الله من الأرض كما نادى برسول الله (صلى الله عليه وآله) ليلة العقبة).

وعنه (عليه السلام) في حديث: (ينادي منادٍ من السماء باسم القائم فيُسمع من بالمشرق ومن بالمغرب، لا يبقى راقد إلا استيقظ ولا قائم إلا قعد ولا قاعد إلا قام على رجليه فزعاً من ذلك الصوت، فرحم الله عبداً اعتبر بذلك الصوت فأجاب، فإن الصوت صوت جبرائيل الروح الأمين...

فإذا سمعتم الصوت في شهر رمضان فلا تشكّوا فيه، إنه صوت جبرائيل، وعلامة ذلك أنه ينادي باسم القائم واسم أبيه،حتى تسمعه العذراء في خدرها فتحرّض أباها وأخاها على الخروج).

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) (إذا نادى منادٍ من السماء: إن الحق في آل محمد فعند ذلك يظهر المهدي على أفواه الناس ويشربون حبّه ولا يكون لهم ذكر غيره).

وهذه الأحاديث تتحدث عن آية وأمر سماوي من الصعب حمله على الرمزية أو التأويل البعيد أو الكوارث الطبيعية، وقد وصل الإسفاف في تفسير الصيحة إلى درجة أن فسرها بعض من يوحي بالعلاقة بالقضية المهدوية بأن الصيحة هي أحد كتبه!!.

كما لا داعي لربطها بالعلامات السابقة وجعلها ناتجة من حدث كوني واحد، سبب الخسوف والكسوف وانقلاب حركة الأرض والصيحة، لأن الله سبحانه وتعالى لا يصعب عليه تدبير كل تلك الآيات على حدة.

ولكن المبادئ التصورية لهذه الآية تحتاج إلى توضيح، مثل صيحة جبرائيل (عليه السلام) فهل هي صوت اعتيادي إعجازي كما نسمعه من مكبرات الصوت الكبيرة ولكنه ينطلق من السماء؟ أو أنه أمر مختلف؟ وما هي صيحة إبليس في المقابل ونحن نعلم أن إبليس أضعف من أن يصدر بنفسه صوتاً يسمعه جميع الناس فيفتتنون به لقوله تعالى عن الشياطين: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾(الشعراء:٢١٢). ففهم هذه الآية يتوقف على بعض الدقة في فهم صوت الملائكة وعلاقة جبرائيل (عليه السلام) بعالم الإمكان والتصرف بالكون.

وقد قرأنا في المقالات السابقة عن صيحة جبرائيل (عليه السلام) بجيش السفياني: (يا بيداء أبيدي القوم) وانخساف الأرض بهم، فهل هي من نفس سنخ الصيحة ليلة الثالث والعشرين؟ أم تختلف عنها؟.

وعلى كل حال فإن أثر تلك الصيحة سواء أكانت معنوية أو مادية خارجية سيكون له نفس الأثر في إثبات الحجة وظهور الآية الدالة والعلامة المبينة للحق في أهل البيت (عليهم السلام) وسنعرف يومها المطلوب في كلا الحالين والتفسيرين، فلا داعي للاستعجال في تفسيرها أو تأويلها بأمور ساذجة.

والظاهر أنها ستكون مسموعة للمؤمن وللكافر، وأنها ستوضح الحق في أهل البيت (عليهم السلام) وإن حاول إبليس التمويه عليها بشتى الدعاوى على لسان أوليائه أو عن طريق الشهوات والشبهات التي سيثيرها في النفوس لتضليل الناس عن تلك الآية البيّنة.

كما أنها ستوضح القضية بالكامل ربما لكونها ستضع النقاط على الحروف بشكل واضح لقضايا يكون الرأي العام يومها يتداول بشأنها

ويحقق فيها فتأتي هذه الصيحة لإكمال الحجة على الناس، كما أنها صريحة في ارتباطها بالإمام المهدي (عجل الله فرجه) وتمثل الإعلان الأكبر عن الظهور المقدس في تلك الليلة المباركة.

ولا يجد أعداء الله حيلة لتفسيرها مادياً أو كتم الحقيقة عن الناس بعدها، فتخضع أعناقهم لها استسلاماً وذلة، وقد يكون استسلامهم نتيجة لعلمهم أنهم سيندحرون أمام المهدي (عليه السلام) ولا يد لهم لقتاله.

كما أنها ستلهب همم المؤمنين حتى النساء والبنات الصغار في البيوت ستتحمس للنصر وستحرّض أباها وأخاها للإسراع بنصرة المهدي والتشرف بلقائه وستفرح بها القلوب، ولا عجب فإنها ستعلن اقتراب الخلاص والفرج من تأريخ طويل من الظلم والقهر الذي قاساه المؤمنون لفترة طويلة من الزمان، وستعلن ظهور الفجر فجر الإمام المهدي الذي سيزيح ستار الظلام إلى أبد الآبدين ويحيي رميم المظلومين ويشفي قلوب المؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم.

اللهم عجل الفرج لوليك المنتظر.

الخطوة الثامنة:

ما معنى غيبة الإمام المهدي؟

الإمام (عجل الله فرجه) مختفٍ عن الناس، وغائب عن أبصارهم، وهم محرومون من التشرف بلقائه طيلة فترة الغيبة الكبرى، بعد أن كان الأئمة (عليهم السلام) بين ظهراني المجتمع يلتقون بهم في منازلهم ومساجدهم.

والغيبة التي حصلت للإمام الثاني عشر يمكن أن نتصور لها عنوانين:

الأول: أن يختفي عن الأبصار بشخصه فلا يرونه حتى لو كان أمامهم، وسماها السيد الشهيد الصدر الثاني بغيبة الشخص، واستدل لها بما روي عن الريّان بن الصلت عن الإمام الرضا (عليه السلام) أنه قال عن القائم: (لا يُرى جسمه ولا يسمى باسمه).

الثاني: أن يكون أمام الأعين بشخصه ولكن الناس يعتقدون أنه شخص آخر، واستدل له بما رواه السفير الثاني محمد بن عثمان قال: (والله إن صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم (يعني موسم الحج) كل سنة يرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه).

وقد أيد السيد الشهيد كلا الأطروحتين بمؤيدات من ظواهر الأخبار. ورأى (قدس سره) أن النمط الأول من الغيبة يحتاج إلى المعجزة، وهي لا تكون إلا إذا توقفت عليها الهداية كما في قانون المعجزات الذي طرحه (قدس سره)، إلا أن هذه المعجزة مما ينطبق عليها قانون المعجزات هنا لأن الهداية المتمثلة بحفظ الإمام المهدي (عليه السلام) متوقفة عليها.

أما النمط الآخر من الغيبة (غيبة عنوان كونه هو المهدي فقط) فيساعده على الاتصال بالمجتمع والاطلاع على أحوال الناس عن كثب والقيام بالأعمال التي تتطلب التواصل مع المجتمع.

إلا أننا من الممكن أن نقبل تحقق كلا النوعين من الغيبة معاً، فهو (عليه السلام) من الممكن أن يظهر لمساعدة هذا وذلك في شرق الأرض وغربها، بجسده المادي أو البرزخي أو غير ذلك، ومن الممكن أن يختفي عن الأبصار كما حدث مثل ذلك للأئمة من آبائه (عليهم السلام) قبله. ليس لأجل حفظ شخص الإمام المهدي (عليه السلام) فقط بل لتحقيق بعض الأمور التي تتوقف عليها هداية بعض الأفراد.

كما يمكن لجسده الشريف أن يكون في أكثر من موضع واحد من الأرض في نفس الوقت كما روي عن آبائه في حياتهم، ويمكنه الاطلاع على أحوال الناس لأن أعمالهم تعرض عليه صباحاً ومساءً بولايته التكوينية أو بعمود النور الذي يربط بينه وبين الخلائق أو بما يتنزل عليه من الأمر ليلة القدر.

وهذه الأمور وإن ظننا أنها من المعجزات وأنها حوادث استثنائية خلاف القوانين، إلا أن التدقيق العلمي والفيزياء الحديثة تشير إلى أن مثل هذه الحوادث ممكنة علمياً بحسب ميكانيك الكم والنظرية النسبية التي ترى إمكانية طي المكان والتأثير على سلوك الجسيمات دون الذرية بل والوجود في أكثر من مكان بشكل متزامن.

فالاختفاء عن الأبصار يكون مثلاً بحرف مسار الضوء المحيط بأجسادهم عن مساره فلا ينعكس ضوء الشمس من أجسادهم الشريفة نحو عين الناظر المقابل، وقد كان لأجساد النبي الأئمة (صلوات الله

عليهم) خصائص استثنائية مثل أن تطوى لهم الأرض والسماء كما في حادثة المعراج، أو أن يختفوا عن الأبصار كما في ليلة الهجرة من مكة، أو أن لا يتركوا أثراً على الرمل حين يمشون عليه، أو أن لا يكون لأجسادهم ظل على الأرض. فليس من الضروري أن تكون لأجسادهم نفس خصائص الأجساد التي تعودنا عوارضها في الناس.

أما اتخاذه (عليه السلام) شخصية سرية في المجتمع فمن المؤكد أنه إن تحقق لمصلحة معينة فهو ليس بشرط، ولا ينبغي أن يكون في كل زمان وكل أوان، لأن الشخصية السرية لها سلبيات كثيرة منها:

أولاً: أن لغالبية الأشخاص في المجتمع روابط كثيرة فيه وتلك الروابط تجعلهم يفتقدِون وجوده بينهم، فإذا كان على المهدي (عليه السلام) أن يساعد هذا المضطر في هذه البلاد وذلك المضطر في تلك البلاد فهو سيحتاج للتنقل هنا وهناك بشكل مستمر وسيؤدي ذلك عاجلاً إلى استغراب المحيطين به وإثارة نقاط استفهام على سلوكه يدفعهم فضولهم بعدها إلى تقليب الاحتمالات والشكوك إلى حين التعرف على شخصه الشريف.

ثانياً: إن قلنا أن له (عليه السلام) أن يتواجد في أكثر من مكان، فهذه القدرة تتيح له إذن أن يقترب من الناس ويطلع على أحوالهم بشكل دائم، فما الحاجة إلى شخصية سرية واحدة؟.

ثالثاً: إنه (عليه السلام) مطّلع على أحوال الناس بفعل ولايته التكوينية على النفوس فلا يحتاج إلى الاطلاع على الصحف وسماع القنوات الأخبارية ومتابعة النشاطات الاجتماعية بالتواجد في الشوارع والمدن وبين الناس، وهو أعظم من أن يستوحش من الوحدة وقد قال

جده الإمام زين العابدين (عليه السلام): (لو هلك أهل الأرض جميعاً ما استوحشت ما دام القرآن معي).

رابعاً: إن وجهه الكريم في غاية الجمال والبهاء، ولا شك أن عدداً كبيراً من أتباعه ينتظرون اللقاء بشخصه في أماكن العبادات وقد يتوهمونه عند اللقاء بكل وجه جميل، في مواطن كثيرة من مظان اللقاء، فكيف يأمن أن لا يلتفت إليه مع جماله الباهر في البلاد التي تتضمن الموالين له؟ فإذا افترضنا أنه سيتخذ شخصيته السرية في البلاد البعيدة التي لا يتخيل البعض شخصيته فما الفائدة من تلك الشخصية خصوصاً وأن أكثر اللقاءات به (عليه السلام) كانت في العراق حيث يتخيله المحبون في وجه القمر ومياه النهر وحفيف الأشجار؟.

نعم قد تحتاج بعض الأعمال المهمة التواجد بشخصية سرية للتأثير في مجريات الأحداث، كالظهور لبعض المؤمنين في بعض المناسبات ليبقي على الإيمان به في غيبته في نفوس المؤمنين كحوادث اللقاء التي جرت للكثيرين في عصر الغيبة والتي عززت انتظاره والإيمان به وجعلت اللقاء به جائزة الناجحين في الطاعة والمخلصين في العبادة.

وقد يتساءل الفرد عن مقدار ما يمكن للإمام المهدي (عجل الله فرجه) أن ينجزه بشخصه في فترة الغيبة الكبرى ونحن نرى القوى العالمية والمنظمات الجهنمية تدير رحى الأمور على الأرض بإمكانيات هائلة وأسلحة متطورة، فما هي الأعمال التي يمكن للمهدي (عليه السلام) أن ينجزها بشخصه الشريف المنفرد أو الأنصار القليلين.

إلا أن الواقع أن الشخص الذكي من الممكن بمفرده أن يقوم بأعمال كثيرة إذا أحسن التصرف والتوقيت، ومن الممكن للكلمة المناسبة

في الوقت المناسب أن تؤثر في الحوادث إذا توفر صاحبها على قوة الإقناع وعلِم بنقاط ضعف الآخرين، ومَن أكثر اتصافاً بهذه الصفات من أئمة أهل البيت (عليهم السلام)؟ حتى وإن قلنا أنهم لن يتصرفوا بالولاية التكوينية إلا عند الحاجة.

خذ مثلاً حين كانت قوات هتلر الألمانية تتجه نحو موسكو ولم تبقَ إلا كيلومترات قليلة وتسقط قيادة السوفيت بأيديهم فتنتهي نتيجة الحرب العالمية لصالحه وتؤول الأوضاع العالمية إلى قبضة هتلر السفاح، وقد كان ستالين قائد الاتحاد السوفيتي يفكر وقتها بالهرب من موسكو، وفي هذه الأثناء جاءت طائرة وفيها رجل دين لمقابلة ستالين بصورة سرية، وأقنع رجل الدين المجهول ستالين بالبقاء في موسكو وأخبره أنه إن قاتل قليلاً سينتصر على الجيش الألماني، وفعلاً اقتنع ستالين بكلماته رغم أنه كان يحتقر رجال الدين ويسجنهم أو يقتلهم هناك ويهدم الكنائس والمساجد، ثم إنه صمد بوجه جيش هتلر وحصل ما أخبره به رجل الدين المجهول ثم أدّت هزيمة الجيش الألماني إلى تقهقره وخسارته الفادحة التي قادت إلى القضاء على هتلر ونازيته وحلفائه نهائياً في الحرب العالمية الثانية. ثم كان أن أطلق ستالين رجال الدين المسجونين وافتتح الكنائس بل ولبس بنفسه زي رجل الدين المسيحي وظهر للاحتفال بين الناس به.

وحادثة أخرى حدثت في تأريخ المسلمين وذلك أن القراءات القرآنية كانت متعددة في الماضي والنسخ مختلفة فاحتاجوا إلى اعتماد نسخة واحدة وقراءة واحدة بدل التبلبل بين القراءات، وكان رجال الدين مختلفين في اختيار قراءة واحدة رغم قناعتهم بضرورة الاقتصار على واحدة منها فقط، وليس لهم زعيم يفرض كلمته ولم تكن لهم حجة

لاعتماد إحدى القراءات، فاختار لهم رجل مجهول أن يعتمدوا قراءة حفص عن عاصم التي أخذها من ابن مسعود عن أمير المؤمنين (عليه السلام) وهي أفصح القراءات فعلاً فاقتنعوا باقتراحه واعتمدت قراءة حفص عن عاصم إلى يومنا هذا.

وأمثال هذه الروايات كثير لمن اهتم بالتقاط الحكمة منها.

ولا ندعي أن الشخص الذي التقى بستالين أو اقترح اختيار قراءة حفص هو الإمام المهدي (عليه السلام) بشخصية سرية له، ولكنها نماذج لتأثير الشخص الواحد على الأحداث الكبيرة حين يختار التصرف والتوقيت المناسب، ولا شك أن المواقف التي تتحير فيها الجماعات وتصبح أذهانهم هشة ومستعدة لتقبل أي مقترح تلك المواقف كثيرة ويمكن لمن يستثمرها أن يؤثر في وعيهم لإنجاز أعمال كبيرة ومهمة.

كما لا يحتاج الإمام المهدي (عليه السلام) للشخصية السرية بل يمكن له أن يؤثر في الأوضاع من موضعه في العوالم التي يعيش بها ويدبر أمور ولايته في الناس ففي الرواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال للمتحدث معه: (ما تقول في رجل (يعني نفسه) دخل اثنا عشر عالماً من حين فتح الباب) وتلك العوالم ليست غيبية محضة أو تحتاج إلى معجزة للدخول فيها[1]، بل هي من أبعاد هذا العالم المحجوبة عن حواس الناس الاعتياديين، ومعها لا يحتاج الإمام المهدي (عليه السلام) للتعايش مع

---

(١) وفي بصائر الدرجات عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (عالِمُ المدينة (يعني نفسه).. يسير في ساعة من النهار مسيرة الشمس سنة حتى يقطع اثنا عشر عالماً مثل عالمكم هذا، ما يعلمون إن الله خلق آدم ولا إبليس، قال: فيعرفونكم؟ قال: نعم ما افترض الله عليهم إلا ولايتنا والبراءة من عدونا).

المجتمع بشخصية سرية إلا لتحقيق الأغراض التي تصورناها قبل قليل من إثبات وجوده وتذكير الناس به وتقوية قلوب المؤمنين بإشعارهم أنه قريب منهم ويستطيع مساعدتهم وقت الحاجة وتربية بعضهم بصورة خاصة.

والشيء المهم الذي ينبغي للمؤمن الرسالي الالتفات إليه أن الإمام المهدي (عليه السلام) -رغم غيبته- في عمل دؤوب لمساعدة الناس وللتهيئة للظهور المبارك وتقوية الإيمان وتوجيه التأريخ نحو الصلاح، وذلك العمل من الممكن أن يتم بالأساليب المألوفة وبشخصية سرية أو بالقدرات الاستثنائية التي يتوفر عليها (سلام الله عليه).

هذا مضافاً إلى ولايته التكوينية ونوره الذي يهتدي به المؤمنون في كل حين حتى لو غاب عنهم شخصه الكريم.

الخطوة التاسعة:

بداية الإعلان عن الظهور المبارك

نعني بالظهور أن الإمام المهدي (عليه السلام) سيعلن بنفسه انتهاء غيبته عن المجتمع وبدء الثورة وانطلاق مشروع التغيير لتبديل الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملأت ظلماً وجوراً.

فإذا قلنا أنه غائب عن الأبصار بشكل إعجازي أو مألوف فإن الأبصار بعد الظهور ستقع على شخصه الكريم، وإذا قلنا أنه كان يتخذ شخصية سرية فإنه سيعلن عنوانه الحقيقي يومها.

وطرح البعض فكرة أن الإمام (عليه السلام) سيتحرك بعنوانه الثانوي في بداية تحركه، وقلنا أن هذه الفكرة تواجه صعوبة معينة مفادها أنه (عجل الله فرجه) سيدعو أنصاره إلى أمور لا يمكن أن تصدر إلا من الإمام المهدي نفسه كالحكم بينهم بحكم داوود أو آدم (عليهما السلام)، فإذا خالفوه أو اعترضوا عليه فسيعاقبهم ويضرب أعناقهم، فإن أي شخص متشرّع إذا اتبع قائداً فإنما يتبعه ويبايعه وفق أسس معينة يوطن نفسه على الطاعة فيها، وقد يلاحظ أشياء يجهلها بين حين وآخر ولكنها تبقى ضمن المحتملات المقبولة، فالفقيه الذي نقلده حين نجهل بعض مباني أحكامه نحتمل أن يكون له دليل فقهي من آية أو رواية يستند عليها وغابت عن أذهاننا، أما إذا رأيناه يخالف الشريعة تماماً ويطبق شريعة أخرى فمن المتوقع أن نعترض عليه، ولا يكون ذلك الاعتراض جريمة كبرى تقتضي هدم كل التضحيات السابقة وضرب رأس المعترض كما

نصّت الأحاديث الشريفة (فينكر عليه قومٌ ممن ضربَ قدّامه بالسيف فيقدمهم فيضرب أعناقهم).

قد تقول أن تلك الأحكام (حكم آدم داوود وغيرهما من الأنبياء) موافقة للشريعة الإسلامية من أوجه دقيقة ولكنها قد تخفى على ذوي الأفهام الغليظة.

إلا أن هذا بمفرده لا يرفع الاستغراب من استحقاق عقوبة القتل على مجرد الاعتراض، لأن اختبار المهدي للناس لا يكون عادة لتبيان دقتهم العقلية وفقاهتهم وتحليلهم الأحكام.

فلا شك أن الاعتراض المستوجب للقتل هو اعتراض على تصرف الإمام المهدي (عليه السلام) بعد معرفته ومعرفة خصائص الإمامة التي تتيح للإمام الحكم بأي حكم يراه مناسباً دون أن يسأله الناس عن فعله، فالأصل هي الإمامة والأحكام الشرعية اشتقت من هذا الأصل الأصيل الذي اشتق منه كل شيء في عالم التكوين وعالم التشريع.

والعلاقة بين الشرائع التي جاء بها أنبياء الله (سلام الله عليهم) تتصور على أنحاء:

علاقة النسخ: ومفادها أن كل شريعة تنسخ ما قبلها ولا يجوز العمل بالسابقة مع مجيء اللاحقة، والتي نتجت من تعمق التكليف الإلهي أو تناسُب الشريعة الجديدة مع تطور العلاقات الاجتماعية واعتبارات الناس.

وعلاقة النسخ تتوقف على افتراض أن التأريخ يتقدم نحو التعمق فيتوافق مع تعمّق الشرائع معه.

علاقة الاختصاص المجتمعي: بأن تكون الشريعة مناسبة مع كل مجتمع ولا تصلح لسواه، بسبب طاعات أو ذنوب خاصة أو تكوين جسدي في هذا المجتمع دون سواه، كما في تحريم بعض الطيبات عن بني إسرائيل بسبب ذنوب اجترحوها قال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً﴾(النساء:١٦٠).

علاقة الاختصاص الظرفي: أن تكون الشريعة خاصة بظرف معين من ظروف المجتمع البشري دون لحاظ التطور أو التأخر، كأن يكون البشر مرّوا على سبيل المثال بمرحلة العصر الجليدي وكانت الظروف البيئية تستوجب بعض الأمور الخاصة بالبيئة الجليدية، ثم لما تغيرت البيئة نزلت شرائع أخرى تغيرت فيها بعض تلك الأحكام الخاصة بالجليد.

وقد تكون الظروف الاجتماعية هي التي تتغير فستوجب تغيير بعض الأحكام، ولا يفهم ذلك التغيير إلا الأنبياء أو الأئمة (عليهم السلام) فالشريعة في أصلها ثابتة لكنها تتضمن ما يشبه القضايا الشرطية أي إذا حصل فكذا فافعلوا كذا وإذا حصل كذا فافعلوا كذا.

وأحياناً لا يستطيع نبي الزمان أن يغير الأحكام حتى لو علم بشرطيتها ومرونتها، لخوفه من الناس أن يظنوا به التغيير أو ينطبع بأذهانهم أنه يمكن لمن (يقدسونه) من غير الأنبياء أن يكون له حق التصرف والتغيير فلا يبقى من الشريعة شيء أمام الأهواء والقياسات[1].

ومثاله ما سئل به أمير المؤمنين (عليه السلام) من سبب عدم تخضبه مع قول رسول الله (صلى الله عليه وآله): (تخضّبوا ولا تشبّهوا

---

(١) راجع ما كتبناه عن أنواع الأحكام التي تنسب إلى الرب تارة والى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) تارة أخرى وعلة ذلك في كتاب (الولاية في سورة محمد).

باليهود)؟ فقال (عليه السلام): إنما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذلك والدين قُلّ، أما وقد ضرب الإسلام بجرانه فامرؤٌ وما اختار.

فقد ظن المحيطون بأمير المؤمنين (عليه السلام) أن أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مطلق لجميع الأزمان والظروف، مع أن نفس النصّ النبوي يحمل مِلاكه وهو رفض التشبه باليهود، فأخبرهم (عليه السلام) أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال ذلك في ظرف معين وقد تغير الظرف.

ونفهم منه أن ذلك الظرف كان فيه اليهود يطيلون اللحى ولا يخضبونها، فأراد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يميزهم عن المجتمع اليهودي لتكون لهم خصوصهم تدعو من يراهم إلى التساؤل والتحري عن هويتهم ولا يظن أنهم من اليهود؛ لأنهم كانوا قلّة في مجتمع مكة أو في بداية العصر المدني وفي حاجة للجهر بهويتهم وتطبيعها. أما في عصر أمير المؤمنين (عليه السلام) فقد ضرب الإسلام بجرانه واتسع وأصبحت الهوية الإسلامية هي السائدة: فقد ارتفع ذلك الأمر المقترن بظرفه من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لتغيّر الظرف.

وأمير المؤمنين (عليه السلام) لم ينسخ الحكم السابق وإنما نظر إليه وفق ظرفه، ولو عاد نفس الظرف مثلاً وقلّ المسلمون وكانوا بحاجة إلى الإعلان عن هويتهم وتمييزهم عن اليهود لعاد نفس الأمر بالخضاب، ولكن من الصعوبة التجرؤ على الأمر مرّة أخرى إلا بعنوان ولاية الفقيه.

فاختلاف الشرائع قد يكون بهذا النحو، ويكون الأئمة (عليهم السلام) أعرف بتغير الظرف الذي يناسب الحكم بشريعة آدم أو شريعة داوود أو شريعة محمد صلوات الله عليهم أجمعين.

علاقة التشريع بحسب الإيمان أو مستوى التربية البشرية: وهي تشبه العلاقة السابقة ولكنها تجعل تغير الظرف المؤدي إلى تغير الشرائع بسبب الاختلاف في جوهر الإيمان لدى الناس ومدى تسليمهم لقياداتهم الإلهية.

وعلى كل حال فالأئمة (عليهم السلام) لم يكونوا مبسوطي اليد لبيان أوجه الاختلاف بين الشرائع وتطبيق المناسب منها، بل كانوا في تقية من تطبيق ظاهر الشريعة الإسلامية كما هو معلوم، أما الإمام المهدي (عليه السلام) فسيكون مطلق اليد منصور بالرعب موعود بالنصر.

ويؤيد هذه الفكرة أن نبي الله عيسى بن مريم (عليه السلام) سيكون موجوداً يوم الظهور، وليس في الروايات أنه سيدخل دين الإسلام أو يمارس العبادات في مكان ظهوره وفق شريعة الإسلام الأخيرة المحمدية، بل لا زال ينظر لنفسه كعنوان مغاير حين يقول للمهدي (عليه السلام): (إمام القوم منهم) رغم أنه نبي من أولي العزم والشرائع.

وعودة إلى الرواية التي توقفنا على مضمونها هي ما روي عن الإمام الباقر (عليه السلام): قال: (يقضي القائم بقضايا ينكرها بعض أصحابه ممن ضرب قدّامه بالسيف وهو قضاء آدم (عليه السلام) فيقدمهم فيضرب أعناقهم، ثم يقضي الثانية فينكرها قوم آخرون ممن قد ضرب قدامه بالسيف وهو قضاء داود (عليه السلام) فيقدمهم فيضرب أعناقهم، ثم يقضي الثالثة فينكرها قوم آخرون ممن قد ضرب قدامه بالسيف وهو قضاء إبراهيم (عليه السلام) فيقدمهم فيضرب أعناقهم، ثم يقضي الرابعة وهو قضاء محمد فلا ينكرها أحد عليه).

والظاهر أن زمان الرواية بعد أن يخوض الإمام (عليه السلام) بعض المعارك، ولكنه يحتاج بعدها إلى خوض معركة تتعلق بسرّ الإمامة

وتتطلب تسليماً ومعرفة بالإمام فيبين لهم أن الإمام هو أصل التشريعات جميعاً وأن له التفويض في التشريع، وهو ما نطقت به بعض الروايات والأدعية، ولكن لا زال جملة من الإمامية أو غيرهم ينصرفون عن هذا المعنى ولا يقبلونه والظاهر أن تلك الثقافة ستكون إلى عهد الظهور المبارك فتؤدي بهم إلى عقوبة القتل بيدي الإمام المهدي (عليه السلام) نفسه.

فالظهور المبارك إذن سيكون بالعنوان التام للإمامة دون أي عنوان ثانوي، وسيكون حاداً وجدياً للجنود والأنصار أنفسهم فضلاً عن الأعداء.

فعلى من يستعد للنصرة أن يوطن نفسه لطاعة الإمام المهدي (عليه السلام) بعد معرفته بصورة تامة ومعرفة مقام الإمامة مهما رأى من أحكامه.

أما معنى حكمه (عليه السلام) بحكم آدم فقد يكون فيه إشارة إلى قضية القربان الذي تُقبِّل من هابيل ولم يتقبل من الآخر، أي إيكال الاختيار أو الفصل بين الناس إلى ما يشبه هذا الحكم، وحكم داوود (عليه السلام) فقد يكون بمثل الحكم بين المتخاصمين دون الحاجة إلى سماع بيّنة الآخر كما هو مذكور في قصة الخصمين في سورة صاد المباركة، أما حكم إبراهيم (عليه السلام) فقد يكون إقدامه على ذبح ولده إسماعيل (عليه السلام)، والله العالم، وهي أطروحات ضعيفة بأجمعها.

أما عدم الإنكار عليه (عليه السلام) حين يحكم بقضاء محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد يكون ذلك التسليم نتيجة القضاء على المقصرين في فهم الإمامة الذين يقدمون أفهامهم للشريعة على قضاء الإمام فيكون الإمام مأموماً لتصوراتهم بدل أن يكون إماماً لها، كما هو شأن

الزيدية الذين قالوا أن الإمام هو من يقوم ويثور بالسيف وأن من لا يقوم بالسيف فليس بإمام. فإذا قضي على المقصرين لن يبقى إلا المخلصين.

أما ما هو قضاء محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد يكون ما عرف من أن البينة على من ادعى واليمين على من أنكر كما في الحديث عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنما أقضي بينكم بالبينات والأيمان)، وقد يكون قضاؤه (صلى الله عليه وآله وسلم) أمراً جديداً أعمق من جميع ما سبق من الشرائع لم يُتح للناس الاطلاع عليه ولن يتاح له التطبيق إلا على يدي الإمام المهدي (عليه السلام)، ويكون متعلقه في داخل النفوس التي استحقت بالطاعة والتسليم تحققه فيهم. وقد يكون هو ما نصّت عليه الآية الشريفة: ﴿لِّلَّه ما فِي السَّمَاوات وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(البقرة:٢٨٤).

سيكون ظهور الإمام (عليه السلام) بهذا الإعلان التام عن إمامته وخصائصها العظيمة للبشرية جمعاء فيعلن لهم أنه أولى الناس بما يدّعون أنه من خصائصهم وأنه غاية رغباتهم في ما يطلبون، ففي الرواية عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (يا أيّها الناس.. من يحاجّنا في الله فأنا أولى بالله، ومن يحاجّنا في آدم فأنا أولى الناس بآدم، ومن حاجّنا في نوح فأنا أولى الناس بنوح، ومن حاجنا في إبراهيم فإنا أولى الناس بإبراهيم، ومن حاجّنا بمحمّد فأنا أولى الناس بمحمّد (صلى الله عليه وآله)، ومن حاجنا في النبيين فأنا أولى الناس بالنبيين، ومن حاجنا في كتاب الله فنحن أولى الناس بكتاب الله..).

وهذه هي بداية الظهور المبارك ومعناه.

الخطوة العاشرة:

لماذا الانتظار؟

إن الله سبحانه يمقت الظالمين ويكره الجور، والإمام المهدي (عليه السلام) يريد نصرة المظلومين ورفع الظلم نهائياً من المجتمع، فلماذا إذن يتأخر الظهور بما يحمله من خير وفير للبشرية حيث تمتلئ ربوع البشرية بالقسط والعدل ولا يبقى مريض ولا فقير ولا خائف على وجه البسيطة؟

إن التأخير إما أن يكون من قبل الله سبحانه وبرضاه، وهو أمر ممتنع عقلاً لأنه تبارك وتعالى لا بخل في ساحته ولا يحب الظلم ولا يعجز عن التغيير.

وإما أن يكون من قبل الإمام المهدي (عليه السلام) نفسه، وهو مستبعد طبعاً لأنه (عليه السلام) مؤهل للقيادة بشكل كامل فهو وارث الأنبياء والرسل ووصي الأوصياء (سلام الله وصلواته عليهم أجمعين) وهو كلمة الرحمة الإلهية ويد الله في الأرض فلا حقد ولا عجز ولا ظلم لديه، بل ملؤه التودد والرحمة والقدرة بإذن الله تعالى.

وإما أن يكون سبب التأخير في البشر أنفسهم، فهم غير مؤهلين للظهور المبارك وغير متنجّزين لتحققه.

وقد جرت مقادير الأمور وتدبيرها على عدم الجبر فيما يتعلق بتربية البشرية، وقلنا في بحوث سابقة (قصة المعرفة) أن عنصر الاختيار البشري والإرادة البشرية سيكون لها دور في تكميل الكون، وأن الله

سبحانه لم يشأ قهر هذا العنصر المهم وحتى مع نعومة أظفار الإنسانية وما صحبها من بدائية وجهل وأخطاء.

لذا نحن نؤمن (كما يؤمن الكثيرون غيرنا) أن الاستحقاقات التأريخية تتعلق بإرادة البشر أنفسهم، وقد تتأخر أو تتقدم تبعاً لذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾(الرعد:١١).

فنشر العدل والقسط والخير وإنجازات الفتح العالمي الموعود وبسطها في الأرض ينتظر مشاركة بشرية في تحقيقها، ربما لكي تحتفظ بها البشرية بعد موت الإمام المهدي (عليه السلام) وتحافظ على إنجازات الفتح وفاءً لدماء من ضحّوا من أجله.

وتكمن نقاط عجزهم وضعفهم عن استحقاق هذه النعمة العظيمة من عدة جهات، ينبغي أن ينتبه لها المؤمنون لكي تعالج بشكل مقنن كخطوات تمهيدية لتحقيق مؤهلات الظهور المبارك:

نقطة الضعف الأولى: نقطة العجز العسكري، فإن المؤمنون الذين ينتظر أن يكونوا هم جنود الإمام المهدي في تحقيق الفتح العالمي لا زالوا أضعف من أن يقاوموا قوى الشر المتكالبة، وحتى لو تصوروا في وقت من الأوقات أن بإمكانهم أن يسقطوا نظاماً حاكماً في بلدٍ ما، فهذا لا يضمن نشر العدل إلا في حدود ذلك البلد إن أمكنهم نشره مع التوعية والتعليم، أما تحقيق الانتصار في جميع دول العالم فلا زال مستبعداً جداً مع وجود الترسانات العسكرية التي لا يمكن قهرها بسهولة، وحتى لو تصورنا أن من الممكن تحقيق انتصارات على الأرض إلا أن تلك الانتصارات دفاعية في الغالب ومحدودة، وبإمكان قوى الشر أن تتآلف للقضاء على أي حركة تهدد وجودهم على الأرض.

وعلاج نقطة العجز هذه لا يكون بزيادة التسليح المفرط وجمع ما يمكن من السلاح لعدة أسباب:

السبب الأول: أن أسلحة الحرب الحديثة إن استُعملت في حرب مصيرية كفتح العالم فإن بيئة الكوكب لن تطيق آثارها المهلكة، فاستعمال قنبلة نووية واحدة قد يترك تلوثاً نووية يستمر لفترات طويلة من الزمان لا تصلح معها المنطقة المتضررة للعيش مطلقاً. كما أنها ستهلك عدداً كبيراً من المؤمنين.

السبب الثاني: إن تحقيق العدل في المجتمع البشري اليوم لا يكون بالسلاح، فإن الحضارة اليوم قد عززت الحرية الفردية وشعور الإنسان بالثقة بقناعاته؛ جراء التركيز على حقوق الإنسان واحترام الخصوصيات والتأكيد على أهمية الإقناع والحوار، فإنك لو قهرت شعباً من شعوب العالم اليوم بالسلاح لفترة فإنهم سرعان ما سيتمردون عليك إن لاحت لهم فرصة للتمرد، والعدل المنتظر من المؤكد أنه يراد له أن يستمر لفترة طويلة من عمر البشرية التي لن تنضج عاجلاً لتقبله بعد فرضه عليها بالقوة.

والملاحِظ لتأريخ البلدان التي دخلت يوماً ما في الإسلام: أن الشعوب التي دخلت الإسلام بالفتح العسكري رجعت إلى أديانها بعد انحسار الدولة الإسلامية عنها حتى بعد قرون من العيش كمسلمين، أما الشعوب التي وصلها الإسلام عن طريق رحلات المبشرين الإسلاميين السلمية فقد بقي فيها الإسلام وقوي حتى بعد زوال الدولة الإسلامية بل إلى يومنا الحاضر.

كما أن أسلوب قتل المعاندين (حتى وهم على باطل) ليس أسلوب المصلحين قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلا أَن تَكُونَ جَبَّاراً فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾(القصص:١٩).

وفي الخبر أن جنود الإمام علي (عليه السلام) استبطأوا الإذن بقتال أهل صفين وكان (عليه السلام) قد أخّر الشروع بالقتال فترة طويلة حتى تضجّر جنوده فقال (عليه السلام): (فوالله ما دفعت الحرب يوماً إلا وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة فتهتدي بي، وتعشو إلى ضوئي، فهو أحب إليَّ من أن أقتلها على ضلالها، وإن كانت تبوء بآثامها) وهذه هي سنة الحكمة الإلهية التي قد تقتضي تأخير الظهور لإنقاذ أكبر عدد من الضالين من ضلالتهم، وإن كان يمكن القضاء عليهم قبلها، ولكن تأخير الظهور مع تقليل الخسائر البشرية والأعمال العسكرية أفضل من تعجيله مع كثرة إراقة الدماء.

السبب الثالث: إن سباق التسلح بين دول العالم لا يزداد إلى سوءاً والأسلحة الجهنمية يزداد الاستحواذ عليها من قبل قوى الشر الكبرى، وتصدر كل يوم القوانين والعقوبات التي تمنع تصنيعها من قبل الدول الأخرى التي لم تمتلكها من قبل كما هو جارٍ في منع انتشار الأسلحة النووية الذي لا يطبق على الدول (الكبرى) بدعوى أن الأسلحة النووية ينبغي أن لا تقع في أيدي حكام الدول التي لا تنسجم مع الأيديولوجية العالمية فتستخدم في (الشر) أو في الحوار الحضاري لفرض النفس.

ونقطة العجز هذه نشأت من انكفاء الشعوب الإسلامية عن مواكبة العلم الحديث وتبعيتهم للغرب فآلت الأمور إلى ما هي عليه الآن مع بالغ

الأسف لأسباب كثيرة جداً لا يسعنا استعراضها الآن، أما ما يمكن أن نتصوره للتغلب على هذه النقطة فعدة أمور:

الأول: أن المؤمنين سيطورون أسلحة جديدة تمنع تأثير الأسلحة النووية وسائر الأسلحة، وهذا التطوير ليس بالضرورة أن يكون بنفس مسار التطور العلمي الغربي بل ربما يكون بالاعتماد على القرآن وتراث الأئمة (عليهم السلام) وعلومهم التي لم تجد من يفهمها حق الفهم إلى هذا اليوم رغم اكتنازها بالعلوم العجيبة، فربما أمكن لبعض العباقرة في الوسط الإسلامي أن يخترع سلاحاً يؤثر على الانشطار النووي في القنابل النووية فيمنعها من العمل والانفجار، وهو أمر مقبول ضمن ما هو معروف في ميكانيك الكم فإن العوامل المؤثرة في سلوك الجسيمات في العالم دون الذري كثيرة لا يمكن تخمينها وفي كل يوم يتم اكتشاف جسيم من الجسيمات دون الذرية، فلعل سلاحاً من هذا النوع سيخترعه المؤمنون فيقلبون ميزان القوى لصالحهم، وفي القرآن علوم كثيرة تمكّن من تسيير الجبال في الأرض وتقطيع الأرض وغيرها.

الثاني: أن الإمام المهدي سيستخدم المعجزة لإيقاف تلك الأسلحة الثقيلة، وبذلك سيقع حل العجز العسكري على عاتقه عجل الله فرجه، وهو أمر ممكن، لأننا نؤمن أن جميع الأشياء مطيعة للأئمة (سلام الله عليهم) بما فيها ذرات العناصر التي تصنع منها الأسلحة والقوانين التي تعمل وفقها.

الثالث: إن الوعي العالمي سيتطور لمنع استخدام هذه الأسلحة، كأن تتطور هيئات حكومية تجعل قرار استخدامها يمر عبر موافقة سلسلة من العقلاء لضمان عدم حصول كوارث نووية.

وهو أمر بعيد عن يومنا هذا؛ لأن شعوب العالم لا زالت أضعف من أن يفرض العقلاء إرادتهم على حكوماتهم في مثل هذه الأمور الحساسة للصراع الدولي، ولا زالت هناك عشرات الطرق لتضليل الجماهير وخداعهم حتى لو ظهر للجماهير أنها تفرض إرادتها فعلاً وتحقق حريتها وأن لديها القوة للتغيير.

وفي ظل سطوة المشاريع الماسونية وحملات الإفساد واللهو ستبقى شعوب العالم سقيمة من كثرة الشهوات والجنس والألعاب والملاهي إلى ما شاء الله لها أن تبقى فيه. نعم هي (الشعوب) قوية اليوم وتريد أن تحقق إرادتها إن حرّكتها بعض القوى الاجتماعية، ولكنها ضعيفة من حيث معرفة الحق من الباطل.

وتعقيد القرار في استخدام الأسلحة أمل بعيد، بل لا زال قرار استخدام السلاح النووي يقع كل يوم في أيدي السفهاء، أمثال ساركوزي (رئيس حكومة فرنسا) وغيره، الذي يصطحب معه عشيقته ليغيض زوجته ويزور بها رؤساء العالم وهم يستقبلونه رسمياً ويعلمون أنه إنما يريد أن يغيض زوجته فقط بهذه الزيارات التي تظهر فيها عشيقته معه بكامل الأناقة والاحترام، هذا وهو يحمل معه جهاز إطلاق الصواريخ النووية التي لا يُعلم إلى أين هي موجهة!!.

الرابع: أن يحصل تغير كوني يفسد مواد الانشطار النووي، فيتحول اليورانيوم أو البلوتونيوم مثلاً إلى الرصاص، وهذه العناصر من طبيعتها التغير، والعلم الحديث يظن أن تحوّلها لا يكون في المستقبل القريب، فلو حصل تغيّر طبيعي يسرّع من عملية التحول لأمكن تصور فساد الأسلحة النووية. خصوصاً وأنهم قاسوا (عمر النصف للعناصر المشعة) وقدروا فترة التحول بالنسبة لأجواء الزمكان الأرضية فقط، فلعل طارئاً يطرأ على المؤثرات في الزمكان المحيط يغير القياسات من قبيل تدخل المادة المعتمة الكونية أو الطاقة المظلمة أو غيرهما.

ولكن هذا الحل يمكن قبوله فيما يخص الأسلحة النووية فقط، أما الأسلحة الأخرى كالطيارات والدبابات والمتفجرات فهي تعتمد على قوانين الميكانيك الطبيعية التي لو تغيرت لتغيرت حياة البشر بالكامل ولفسدت أمور الأخيار قبل الأشرار الذين سيجدون ما يتكيفون به مع الوضع الجديد بسبب القدرات المالية والمادية.

الخامس: أن حرباً ستجري بين قوى الشر أنفسها بمنأىً عن المؤمنين وستؤدي إلى زوال الأسلحة الثقيلة من الأرض مع بقاء التراث العلمي السلمي في البشر، وهو ما تؤيده بعض الروايات التي تخبر عن موت أكثر من ثلثي الناس من غير المؤمنين.

السادس: أن الإمام سيستخدم الحوار لإقناع الشعوب الأخرى ويرسل إليهم الرسل، ولعل للسيد المسيح (عليه السلام) دوراً في توجيه الرأي العام الغربي (المسيحي) نحو قضية الإمام المهدي وإقناعهم به (عليه السلام).

وهذا الاحتمال يواجه صعوبة مفادها أن مقاليد الأمور في الغرب بيد حكامهم وطواغيتهم وهم من المستبعد أن يقبلوا بالحق حتى لو علموا به، فكيف سيسلمون عروشهم ومصالحهم بيد جنود الإمام المهدي؟.

السابع: أن نتصور أن جميع العوامل السابقة ستحدث للمساعدة في تعجيل السيطرة سيطرة الإمام المهدي على مقاليد الحكم في جميع دول العالم، فيكون له في البداية أسلحة لخوض المعارك الأولى ضد السفياني وضد بعض اليهود، ثم يستخدم الحوار والمعجزات لإقناع دول العالم ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن فلا بد أنه سيستخدم معهم السلاح التقليدي أو غير التقليدي.

كما يمكن أن يكون للسيد المسيح دوراً في الدعوة إلى دولة العدل الإلهية بقيادة المهدي، ونتوقع أن قوى الشر ستحاول التخلص منه من جديد، ولكنه (عليه السلام) سيكون قد أقنع الرأي العام بحقه وجمع الأتباع وسلّط الأضواء على نفسه بحيث لا يمكن اغتياله والتخلص منه من قبل الطواغيت، ولعله في البداية لن يوحي لهم بأنه ينافس الطواغيت على عروشهم فهم ينسبون إليه مقولات مثل (دع ما لقيصر لقيصر) و (إذا ضربك أحدهم على خدّك الأيمن فأدِرْ له خدّك الأيسر) ويفهمون منها الموادعة والمسالمة المطلقة حتى مع الحكام الظلمة، وربما يقوم (عليه السلام) بدور مهم في علاج المرضى وشفاء الأبرص والأكمه وغيرها مما يحتاجه المجتمع البشري عموماً مع ظهور الأمراض المتنوعة التي لا علاج. ولعله لذلك سيكون له أهمية في تلك البلاد بحيث سيسلَّط الأضواء والاهتمام عليه في الغرب قبل أن يقنعهم بالانضواء تحت حكومة الإمام المهدي (عجل الله فرجه) والصلاة خلفه.

أما الطغاة فقد يكونون يومها عاجزين عن التحرك ضد السيد المسيح أو الإمام المهدي (عليهما السلام) بسبب حرب تستأصل آلتهم الحربية، أو اكتشاف جديد يجعلها غير مجدية أو حدث كوني يفسد الأسلحة الثقيلة التي ترهب الشعوب، أو بسبب نضج الرأي العام بحيث لا يستطيع الحكام التصرف كيفما شاؤوا نظراً للقيود القانونية التي قد يطورها منظرو الحكم في العالم أو بسبب توازن القوى وهيمنة المؤسسات المخلصة في المجتمع والإعلام الحر.

وقد يمارس المهدي (عليه السلام) دوراً قبيل ظهوره يفضح فيه جرائم الطواغيت وخيانتهم لشعوبهم، كما لو افترضنا أنه سيكشف للشعوب أن من دبّر تفجير برجي التجارة هي القيادة الأمريكية نفسها، وأن من ولّد التيار الإسلامي المتطرف (السلفية أو الوهابية) هي القوى الماسونية نفسها لتشويه صورة الإسلام، ويكشف أسرار دعم الولايات المتحدة للسعودية وتحالفها معها في الوقت الذي ترفع الأولى شعار الحرب على الإرهاب والقاعدة وتقوم الثانية بدعم التطرف والتكفير والإرهاب. وغيرها من الخفايا التي إذا اكتشفتها الشعوب ستتزلزل الأرض تحت كراسي حكامها الخونة، كما حصل في فضائح ويكيليكس وغيرها من كشوفات القرصنة الإلكترونية والتقارير القديمة، ونحن نعيش اليوم قوة الشعوب ونهضتها المفاجئة التي لم تعد تأبه معها بأسلحة القمع ودموية الجنود.

إلى غيرها من العوامل التي قد تجعل الأسلحة عقيمة في يدي الطواغيت فلا يمكن لهم استخدامها ضد الإمام المهدي (عليه السلام) وجنوده فيكون فتح العالم ودخول الشعوب المختلفة في دين الله أفواجاً

بلا حروب طاحنة ولا قوى عسكرية إلا قليلاً، وهو مفاد جملة من الروايات والأحاديث الشريفة مثل (حتى تسكنه أرضك طوعاً) و (وافتح له فتحاً يسيراً).

وهذا ما يسعنا هنا من الحديث عن نقطة العجز العسكرية، وسننتقل بإذن الله تعالى إلى الحديث في المقالات اللاحقة عن نقاط العجز الاجتماعية الأخرى التي تقتضي تأخير الإذن الإلهي بالظهور الميمون.

نقطة الضعف الثانية: عدم إيصال صوت الحق إلى شعوب العالم

قلنا أن الزحف العسكري لا يشكل حقيقة الفتح العالمي بل هو يساعد في رفع الموانع التي تحجب الناس عن سماع صوت الحق، كما أن من يدافع عن الطواغيت ليسوا دائماً من الأشرار، فقد يشترك في الحرب أو يدافع عنهم عدد من المخدوعين بهم، فقتال هؤلاء وقتلهم حتى لو كان ممكناً ليس من سنة الله في الأرض قبل إقامة الحجة عليهم واليأس من هدايتهم، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾(الإسراء:١٥).

وورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْلا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاء مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَؤُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾(الفتح:٢٥) أن الله سبحانه أجّل فتح مكة عسكرياً لئلا يُقتل بعض المؤمنين المستضعفين في مكة أو ممن يمكن أن يهتدي في فترة تأخير الفتح، أما الشطر الثاني من الآية ﴿لَو تَزَيَّلُوا لَعَذَّبنَا الذِينَ كَفَرُوا..﴾ فقد ورد في تفسيرها أن هناك مؤمنين في أصلاب الرجال الكافرين فلم تقضِ عليهم يد الغضب الإلهي رغم

الانحراف الكبير، أما إذا قائم القائم (عليه السلام) فسيحصل التزايل ولن يبقى مؤمن في صلب كافر.

ومن هذه الآية نعلم قيمة الفتاوى الجبانة التي أصدرها تجار (الجهاد) في أنك لو قتلت مائة مؤمن (أو شيعي) لتصيب أمريكياً واحداً في العراق فهو جائز، ويدّعون أنهم ينظرون إلى المصلحة (العليا) في ذلك! وكأنما لا حيلة للتحصن من العدو المفزع إلا بالدم العراقي! ﴿بلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف:١٨).

فنعرف من سنة الله سبحانه في انتظار التزايل أن التأخير ينتظر أن تصل كلمة الحق للجميع لتقام الحجة على المنحرفين وإنقاذ أكبر عدد منهم حتى لو اضطر المؤمنون للصبر على البلاء فترة أطول من الزمان، وكل صبرهم بعين الله وثوابه.

فكلما أسهمنا في إيصال صوت الحق للناس كلما عجّلنا الظهور الميمون وطوينا سجادة التأريخ الحمراء.

والحديث عن آليات إيصال صوت الحق معروف ومألوف والتكنولوجيا الحديثة تزيد كل يوم من سبل التواصل، والمؤمنون يبتكرون كل يوم فكرة لنقل الحق إلى الجاهلين بشتى السبل المتوفرة ويحسنون استغلالها.

وهناك عدد كبير من الأشخاص لو اطلعوا على كلام أهل البيت (عليهم السلام) لوجدوه هو الحق وهو الحل لمشاكلهم، قال الإمام الرضا (عليه السلام): (إن الناس لو سمعوا محاسن كلامنا لاتبعونا).

أما الخطوط العريضة لإيصال صوت الحق فأعتقد أنها تتضمن عدة فقرات أو خطوات:

الأولى: توضيح الصورة الحقيقية للإسلام المخالفة لما يفهمه الغرب من النموذج السلفي المتحجر البغيض، وهذا التوضيح يتم بمناقشة الأسس التأريخية التي فهمها جملة من المسلمين لفريضة الجهاد وشروطه، وتذكير العالم بأن موقف أهل البيت (عليهم السلام) من الفتح العسكري العالمي كان مخالفاً لمشاريع حكام بني أمية وبني العباس، فقد كان الإمام الصادق (عليه السلام) وغيره من الأئمة (سلام الله عليهم) ينهون أصحابهم عن المشاركة في الفتوحات التي كان يقوم بها الحكام، لأن القتال إنما يكون بعد عرض الإسلام وإيصال الحجة إلى الآخرين، ثم إذا قبلوا بالإسلام فعلى الفاتح أو الداعي أن يضمن لهم أن يكونوا كالمسلمين ومواطني الدولة الإسلامية من حيث الحقوق لا كما كان يفعله جنود بني أمية من استذلال الشعوب واستغلالها.

وكانت معارك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الغالب دفاعية أو لقتال طواغيت القبائل الذين أنفوا من الدخول بالحق ومنعوا إيصال صوت الإسلام إلى المستضعفين من قبائلهم.

فينبغي بيان الانحراف الذي منيت به الأمة الإسلامية عن خط أهل البيت (عليهم السلام) بعد انقلاب السقيفة.

الثانية: إيصال التوصيات الأخلاقية التي صدرت من المعصومين (عليهم السلام) في العلاقات الاجتماعية والأسرية، فإن لغة الأخلاق عالمية وتصل إلى القلوب بسرعة، وهناك حاجة عالمية لتعميق وتهذيب السلوك الأخلاقي بين الناس.

الثالثة: بيان وجه الحكمة في الأحكام الفقهية الإسلامية وما يتعلق بالزواج والمرأة والرِق، فإن أغلب الغربيين لا يعلمون عن الإسلام إلا

منقولات كاذبة قامت بها حملة من الاستشراقيين[١] المأجورين في القرون الأخيرة شوهوا بها صورة الإسلام في الغرب أيما تشويه.

الرابعة: يجب كذلك توخّي الدقة في التحليل والتفسير، فقد ينقل الشخص رؤيته الخاطئة القاصرة وينسبها إلى الإسلام فيضرّ من حيث يريد أن ينفع، وقد قال الإمام الرضا (عليه السلام): (إن الناس لو سمعوا محاسن كلامنا لاتبعونا، ولكنكم تسمعون منا الكلمة فتجعلون معها عشر كلمات من عندكم)، يشير (عليه السلام) إلى الإضافات و(التهميشات) التي يضيفها الناقلون عادة، ويدعو (عليه السلام) إلى فهم كلماتهم حق فهمها أو الاقتصار -على الأقل- على النقل الدقيق، وهي مشكلة لا زالت قائمة كما هو واضح.

الخامسة: كما ينبغي أن يلتزم المسلمون بأخلاق الإسلام فيكونون دعاةً بأعمالهم، لأن الأسوة الحسنة رسالة مفعمة بالتعابير تجعل المتلقي يفهم أموراً لا تُفهم بالكلام المجرد، فإن الالتزام السلوكي دليل قوة الإقناع والإيمان التي يتضمنها الدين ويفيضها على القلوب ولا بد أن تظهر على سلوك المؤمنين.

السادسة: نقل العلوم الحقيقية التي تشير إلى حقيقة العلاقة مع الله سبحانه، وتشير إلى الإعجاز العلمي للقرآن الكريم وأحاديث المعصومين (عليهم السلام)، وتوخي الحذر في ذلك أيضاً بتنقيح سند الروايات ومعرفة ما هو المقصود منها، وعدم المسارعة إلى ليّ عنق الآيات لجعلها منسجمة مع النظرية العلمية الاحتمالية لمجرد بيان أن الإسلام أشار إلى

---

(١) راجع كتاب الاستشراق للكاتب الأمريكي ذي الأصل الفلسطيني إدوارد سعيد.

تلك النظرية أو تلك قبل قرون، فالحق لا يحتاج إلى أن ينتصر بالباطل أو بالكذب، كما يفعله جملة من السلفيين اليوم، فهم يكذبون بإعلان أن هناك تقارير أو مراكز علمية اكتشفت أن بول البعير مثلاً أو كذا وكذا مما جاء بروايات أتباع الأمويين فيه شفاء وما شابه من الإعجاز المختلق الذي يريدون به تكثير الأكاذيب على الناس ليدخلوا في إسلامهم ويكونون جيوباً إرهابية لهم في العالم، وكأنما الإعجاز الإسلامي قائم على بول البعير والحبة السوداء وجناح الذبابة الأيسر كما يروي أبو هريرة وغيره، فإذا اكتشفوا في المستقبل أن هذا الخبر أو ذاك كان كاذباً فلن يؤثر بعد أن يجد نفسه قد اندمج في الهيكل السلفي واتخذ موقفاً اجتماعياً وربما تورط بعمل إرهابي أو انحراف فكري أو تطبيقي.

فيجب أن ننتبه إلى مما ننقله عن الإسلام وما ينسب إلى الإسلام من حق أو باطل، وما قد يكون لنقله آثار سلبية مستقبلاً، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾(النحل:١٢٥).

إن المسلمين الذين يعيشون في الشعوب التي تجهل حقيقة الإسلام يتحملون جزءاً كبيراً من هذه المهمة؛ لأنهم أقرب إلى معايشة تلك المجتمعات وأقرب إلى التحاور العلمي والفكري المناسب معهم، رغم ما تفتحه وسائل التواصل المعلوماتي من فرص اليوم، كما يتحمل الذين يعرفون اللغات الأجنبية قسطاً من المهمة وتأدية زكاة ما يجيدونه، فلعل الله سبحانه قد ابتلاهم بما يسّره لهم لينظر كيف يعملون.

وعلى المسلمين عدم استفزاز الآخرين والتعصب لكل من يحمل شعار الإسلام، كما فعله بعض المؤمنين من الوقوف إلى جنب الحملة التي

أرادت فتح مسجد في نيويورك دون أن يعلموا أن هذا المسجد مقابل لموقع برج التجارة العالمي وأن للأمريكيين هناك ذكريات ثلاثة آلاف شخص من ذويهم قتلهم حادث تفجير الطائرة، وكأنما كان هذا المسجد ضحكة انتصار للسلفيين وصورة تذكارية أمام نصرٍ من انتصاراتهم التي جلبوا بها الضغينة للإسلام وشوهوا صورته، وقد وبّخ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بلالاً الحبشي حين مرّ بصفية بنت حُيي بن أخطب على جثث قومها وقال: (يا بلال هل نُزعت الرحمة من قلبك؟).

فعلينا أن نستشعر الرحمة بالجميع، ونعلم أن تلك الشعوب هي شعوب مستضعفة حَجب الطواغيت عنها صورة الإسلام، وهم بشرٌ مثلنا يبحثون عن السعادة، ولدينا مفاتيحها، وإنما عداؤنا مع حكامهم المفسدين المضلين الذين جعلوهم يكرهون الإسلام ويتكبرون على المسلمين.

نقطة الضعف الثالثة: عجز أكثر المسلمين عن تطبيق الإسلام في سلوكهم

ونسبة العجز هذه في المسلمين كبيرة جداً، خذ مثلاً في الصلاة اليومية، لا تجد (في أكثر مدن الإسلام) إلا نسبة قليلة من كبار السن يرتادون المساجد لأداء صلاة الجماعة، كما أن أكثر المصلين لا يعتنون بصلاتهم فهي مجرد حركات جسدية فاقدة لروحها العظيمة التي تعرج بالمؤمن إلى ساحة القدس وتحفه فيها الملائكة، بل إن كثيراً منهم لا يفتقد شيئاً من ذلك ولا يعتزم أن يغير وضعه أو يحسّن من صلاته، فإذا علمنا أن الصلاة هي دالة الالتزام بسائر العبادات والسلوكيات لأنها عمود الدين وهي التي تنهى عن المنكر والفحشاء، فهذا يعني أن نسبة قليلة من المسلمين مستقيمو السلوك فقط، أما الباقي فنشكرهم لحفظ مظاهر الإسلام واسمه.

وهذا هو سبب ما تعجّ به المجتمعات المسلمة من انحرافات جلية أو خفية.

كما أن الظلم منتشر في الأسرة والمجتمع وفي كل شيء، فالأب يمارس الظلم بحق أبنائه وبناته من حيث يدري ولا يدري، والزوج يظلم زوجته في الصغيرة والكبيرة حتى الأطفال فيما بينهم يتصرفون أحياناً وكأنهم أعداء أزليون.

فكيف يمكن لمجتمع ظالم لنفسه أن يتشرف عاجلاً بتأسيس دولة القسط والعدل إن لم ينهض نهضة جذرية ليستأصل جذور الظلم من نفسه ثم من أسرته ثم من مجتمعه، فيؤهَّل بعدها لاجتثاث الظلم من جميع الأرض وزرع العدل والقسط بدلاً عنه؟

لقد جعل نبي الله داوود (عليه السلام) قول الأخ لأخيه ﴿أكفلنيها﴾ أي النعجة لتكون مع نعاجه الكثيرة ويتباهى بها ﴿وعزّني في الخطاب﴾ جعله (عليه السلام) ظلماً وبغياً ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ..﴾(ص:٢٣، ٢٤).

فكيف بما نمارسه يومياً من تجاوزات صارخة لحقوق الآخرين وخصوصياتهم إذا كان هذا المستوى من السلوك يعدُّ ظلماً وبغياً في نظر داوود (عليه السلام) الذي كان يمدّ نظره إلى طموح كبير يسود فيه العدل والقسط بين الناس، ويقيم فيه حكومة الله التي تتفاعل معها الجبال والطيور التي تسبّح مع تسبيحه، ولكن العجز المانع يومها كان هو العنصر البشري الظالم، ولا زال إلى يوم الناس هذا، حتى يأتي جيل يفيق من

نومه ويصلح من حاله فيستحق أن يمنّ الله عليه بالنعمة الكبرى والطلعة الرشيدة والغرة الحميدة.

وقد مرّ بك عزيزي القارئ حديث الإمام السجاد (عليه السلام) مع الخراسانيين أن (إذا ظهر القائم يأتي الرجل إلى كيس أخيه فيأخذ منه فلا يعدّ المال خلفه) فهل وصلنا إلى هذا القدر من المواساة؟.

هذا بين البشر أنفسهم كيف إذا لاحظنا أن المطلوب هو العدل في التعامل حتى مع الحيوانات والبيئة قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم) وقد قَتَلَ أحدُ المسلمين عصفوراً فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (استعد للمساءلة يوم القيامة، فسيقول لك: لماذا قتلتني ولا تنتفع بلحمي؟) وفي الحديث الشريف أنه (إذا جاعت قطة في حيّ حاسب الله أهل ذلك الحي).

فنكرر القول: هل نحن مستعدون لتطبيق العدل إلى هذا المستوى في عصر الظهور والدعوة إليه والتأسيس لتطبيقه في العالم؟ وهل سننسجم مع هذا العدل إن أقيم في المجتمع؟.

وقفة صادقة مع النفس قد تجعل الكثيرين منا يطلب تأخير الظهور بدل تعجيله، وهو أمر مرفوض طبعاً فإننا ينبغي أن ندعوا بتعجيل صلاحنا مع تعجيل الظهور.

وقد بحثنا نقاط العجز هذه لنعلم بعض أسباب التأخير فنعمد إلى إصلاحها بدل أن ننتظر الغيب ببلادة بينما تنتظر السماء منا القرار بالاستقامة وتوطين النفس على الطاعة لتكمل لنا الخطوة التالية من الرحمة.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾(الأعراف:٩٦).

نقطة العجز الرابعة: العجز عن الوفاء بالعهد المأخوذ على المؤمنين

وهو ما نفهمه من وصية الإمام المهدي (عليه السلام) في ما روي من مكاتبته للشيخ المفيد بداية القرن الخامس الهجري قال (عليه السلام): (ولو أن أشياعنا –وفقهم الله لطاعته- على اجتماعٍ من القلوب على العهد المأخوذ عليهم لتعجّل لهم اليُمن بلقائنا).

فقد أكد (عليه السلام) في هذه الوصية على العهد المأخوذ على الشيعة، فما هو هذا العهد؟

والمعنى المقصود يحتمل فيه عدة وجوه غير متنافية:

المعنى الأول: إنه العهد الذي أخذه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على الناس يوم الغدير، بالولاية ووجوب النصرة والمودة، وهو عهد لازم حتى على الأجيال التي لم تشهد ذلك اليوم، لأنه لو أعيد هذا اليوم وكُرر الموقف عليها اليوم فلن يكون بيدها غير البيعة والإقرار بالطاعة.

ولا زالت الأمة والشيعة أنفسهم مقصرين فيه وإن احتفظوا بشكليات الولاية، ومن المؤكد أن هناك مستويات معمقة من احترام جميع الموالين (موالياً لأوليائكم ومعادياً لأعدائكم) ومن المؤسف أننا لا زلنا نرى بعض الشيعة يكفّر بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضاً لخلافات تافهة جداً وتبعات لا وزن لها أمام العنوان المشترك الكبير للإمامة.

ولا زال عدد منهم يوالون أعداء الله ويوادونهم ويتفقون ويتاجرون معهم، بل ويشتركون معهم في مشاريعهم الشيطانية التي يراد منها هدم الإسلام، كما يفعله بعض الشباب اليوم من الترويج لكل دعوة فساد ومشاريع انحلال.

المعنى الثاني للعهد: أنه قد يكون بمثابة عهد اجتماعي بلسان الحال، لانتظاره (عليه السلام) في الغيبة الكبرى والالتزام بوصاياه، ويكون هذا العهد مأخوذاً عليهم بحسب تعبير الإمام (عليه السلام) بلسان الحال.

المعنى الثالث: إنه العهد المأخوذ في بداية الخلق المعبَّر عنه بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ، أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾(الأعراف:١٧٢-١٧٣).

فقد ورد أن العهد المأخوذ على الناس في ذلك الموقف كان يتضمن الاعتراف بالأئمة (عليهم السلام)، وفي الحديث النبوي الشريف: (يا علي بك احتج الله على الخلائق إذ قال: ﴿أَلَستُ بِربِّكم﴾).

وهذا العهد مهم جداً وفي نص الآية أنه مما لا يمكن الغفلة عنه ﴿أَنْ تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ كما أنه ليس من العهود القولية التي تقال في زمان معين من قبل النبي أو الوصي ثم تتناقله الأجيال لذرياتها فيعتذر المتأخرون إذا خان الأقدمون بالقول: ﴿إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾.

أما مضمون هذا العهد فهو بالدرجة الأولى التوحيد لقوله تعالى في ذكر ما يمكن للأبناء أن يلوموا الأجيال المتقدمة عليه: ﴿إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا

مِن قَبْلُ﴾ أي أن آباءنا تركوا العهد يوم أشركوا، وكأن قولهم ﴿إنما أشرك آباؤنا﴾ بمعنى إنما ترك هذا العهد آباؤنا.

فالعهد هو التوحيد، أما تفسيره بالإمامة فإن إمام الزمان هو القوة المدرِكة التي يُدرَك بها التوحيد؛ لأن ابن آدم إنما هو طين، لا يمكن للطين (المادة من اللحم والدم) إدراك التوحيد إلا بقوة نورية هي العقل الخالص الذي أودعه الله سبحانه في صلب آدم وانتقل إلى ذريته فصار يعرف به أسماء الأشياء الغيبية (على ما بحثناه في قصة المعرفة) ويعرف به التوحيد، وبهذه القوة تجلى الله سبحانه له وهو أعظم آياته عز وجل.

وفي الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه سئل عن هذا الميثاق (هل كان عن معاينة أو من وراء حجاب؟ قال (عليه السلام): بل كان عن معاينة، وقد ثبتت المعرفة ونسوا الموقف، ولولا ذلك (يعني لولا ثبوت ذلك الميثاق) لم يدرِ أحد من خالقه ومن رازقه).

وهذا الموقف ليس من مواقف هذا العالم الخارجي المادية فنتذكر المعرفة بتذكر ما كان يحيط بنا من أشياء كما نتذكر هويات الأشخاص بتذكر المكان الذي التقينا بهم فيه، فهو في ظرف فوق الزمان والمكان مأخوذ من بني آدم رغم اختلاف أزمان بروزهم من ظهور آبائهم.

وقد انصرف أغلب الناس عن هذا الميثاق لانصرافهم إلى الدنيا، وأقبلوا على ظواهرها رغم أنه لا يفارقهم في حال من أحوالهم، وهو باب ورودهم على الله، وأعظم سبيل للسير إلى الله سبحانه، بل وجدنا في هذا الزمان وفي كل زمان من لم يطق تصور ذلك المعنى فحمل الآية على لسان الحال رغم كل ما تقدم.

فالآية تشير إلى معرفة الله وتوحيده، ومن لوازمها الاعتراف بالأئمة (عليهم السلام) لأنهم القوة النورية الإيمانية التي يدرَك بها الله سبحانه، فبهم (سلام الله عليهم) يُعرَفُ الله وهم أسماؤه وهم وجهه الذي يتوجه به سبحانه إلى خلقه بالرحمة ووجه الخلائق الذي يتوجهون به إلى الله عز وجل، وفي الندبة: (أين وجه الله الذي إليه يتوجه الأولياء؟ أين السبب المتصل بين الأرض والسماء).

المعنى الرابع: أن المقصود بالعهد الذي ينبغي للمؤمنين الالتزام به هو عهد الأخوة الدينية على محض الإسلام لقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾(آل عمران:١٠٣) ومما لا شك فيه أن الشيعة لو تآلفوا في ما بينهم لاستطاعوا هزيمة أعتى الجيوش ولتوحدت الجهود واستطاعوا تنفيذ أضخم المشاريع، فإن المجتمعات (حتى في العصر الحديث) مفككة لا يمكن جمع جهودها جميعاً في عمل واحد يقتنعون به، وما يسمى بالمشاريع الشعبية التي تنتجها الشعوب عادة إنما تساهم بها بمقدار أقل من ٥ ٪ من طاقتها الكاملة، فما بالك لو أن الشيعة على ما في مذهبهم من الحماسة والحق والثروات توحّدوا وأسلموا قيادهم لإمامهم المعصوم (سلام الله عليه)؟.

الخطوة الحادية عشرة:

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَٰذَا الوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾

ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) وقيام دولة العدل الإلهي: من الوعد الإلهي الذي لا يتخلف، وفي الحديث النبوي الشريف: (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل من ولدي يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً).

أما تحديد تأريخه فمجهول، وقيل بأنه مجهول حتى بالنسبة للإمام المهدي (عليه السلام) فيما يعتقد بعض العلماء أنه (عجل الله فرجه) يعلم بتأريخ الظهور ولكنه لا يخبر أحداً به.

أما سبب عدم تحديد موعد زماني لهذا الفتح العالمي فنحتمل أن له عدة أسباب:

السبب الأول: لأنه مشروع له مقدمات يكون من نتائجها إقامة دولة العدل بالأسباب الطبيعية، كمن يخطط لإزالة دولة ظالمة وإقامة دولة جديدة بدلاً عنها، فإنه يجمع الأنصار ويضع الخطط ويعدّ الأسلحة حتى لو علم بطريقٍ غيبي أنه سينتصر لا محالة، أما موعد النصر فيتوقف على اكتمال المقدمات فإن حصل تفويت في بعضها تأخرت النتائج بطبيعة الحال.

وقد قلنا فيما سبق أن هذا المشروع لا يتوقف على اللمسة الغيبية فقط بل ينتظر دخول عنصر الإرادة البشرية في التغيير؛ لحكمة الله أعلم بها.

فأصل الوعد مضمون حتى لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، ولكنه مشروع ينتظر مساهمتنا به وعمل يقوم به الأئمة (عليهم السلام) ويعدون له مع شيعتهم فلو أخلّ الموالون بواجباتهم سيستمر الإمام (عليه السلام) بتربية أجيال جديدة لينجز بهم ثورته ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾(محمد:٣٨).

وتوقف قيام الدولة المهدوية المباركة على مساهمة المؤمنين شيء نافع جداً في التربية، وتحصيل الثواب على الأعمال التي يقومون بها لأجل البناء والتعجيل بالظهور وعلى الحماسة والتشوّق المتعلق بظهور الإمام الغائب (عجل الله فرجه).

ومن المؤسف أن يهتم الإمام (عليه السلام) ويجهد ويخطط ويعمل أعمالاً كثيرة لتعجيل فرج الناس وإنقاذهم، ونحن نضع يداً على يد وننتظر انتظار العاجز، والأولى أن يقترن قولنا في الندبة: (عزيزٌ عليَّ أن تحيط بك دوني البلوى) الأولى أن يقترن هذا القول بالعمل الحقيقي والمشاركة في البناء الذي سيتوَّج في النهاية بالنصر الموعود.

السبب الثاني لغيبية موعد الظهور: لضمان المباغتة عسكرياً وأخلاقياً، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين سئل عن موعد قيام القائم: (مثله كمثل الساعة ﴿لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً﴾(الأعراف:١٨٧).

أما عسكرياً فلا نقصد به الهجوم على الخصوم قبل انتباههم فإنه ليس من خلق الأئمة (عليهم السلام)، وقد كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يوصي بجنوده بعدم البدء بقتال، ولم يهاجم رسول الله (صلى

الله عليه وآله) قوماً بياتاً، ولكن البغتة قد تعني أن يظهر الإمام المهدي (عليه السلام) في وقت تكون فيه الحكومات العالمية الظالمة غير مؤهلة لحربه أو القضاء عليه ولا تتمكن من زمام المبادرة.

وقد يكون للمباغتة: فائدة أخلاقية؛ لأن الناس لو علموا موعد القيام المبارك سيتوبون قبلها من معاداتهم للمهدي (عليه السلام) وينخرطون في سلك أنصاره خوفاً من عقابه[1] بعد أن قضوا فترة طويلة في حصاد الدنيا ومحاربة أهل الحق والانخراط في بلاط الظالمين، قال تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ، يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾(القيامة:٥، ٦) أي يريد الإنسان بسؤاله عن يوم القيامة أن يمارس الفجور قبله حتى إذا جاءه أعلن توبته وكأنما يريد مخادعة الله سبحانه بالتوبة المزيفة.

كما أن من غير الممكن إعلانه للشيعة دون ضمان عدم وصوله إلى الأعداء وقد جرّب الأئمة (عليهم السلام) شيعتهم من قبل فأذاعوا السرّ حتى انتهز الأعداء الفرصة وصادروا الجهود والتضحيات.

السبب الثالث المحتمل: أن الظهور المبارك يعتمد على استعداد الناس، فهو فضل إلهي ولكن لا يمنّ به الله سبحانه إلا إذا رأى صدق النوايا، وحتى لو قصرت أعمالهم عن إقامة هذه الدولة المباركة فإن الله سبحانه لو علم منهم الصدق سيقيم هذه الدولة ويتمّ النعمة مهما كانت الموانع قال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾(الرعد:١١) وفي وصيته (عليه السلام) لشيعته في بداية الغيبة الكبرى:

---

(١) فسّر الأئمة (عليهم السلام) قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ (الأنعام:١٥٨) أنه خروج القائم (عليه السلام).

(ولو أن أشياعنا –وفقهم الله لطاعته- على اجتماع من القلوب على العهد المأخوذ عليهم: لتعجّل لهم اليُمن بلقائنا).

والاستعدادات النفسية شيء بين العبد وبين ربهّ فلا يمكن التنبؤ بها، وقد تنصلح النفوس بين عشية وضحاها بل في جلسة صدق واحدة مع الله فإذا هم مبصرون، ولعل من هذا مفاد الخبر الذي يحكي أن (المهدي يصلح الله أمره في ليلة).

السبب الرابع لمجهولية موعد الظهور: أنه شيء قابل للتحقق في كل حين وكل زمان، فهو مجهول من حيث الزمان لأن الزمان من عوارض المادة، وأمر الظهور من أمر الغيب الذي لا يُعلَّم بالعوارض.

وقد ورد في الحديث الشريف بشأن الظهور (ترقّبوه صباحاً ومساءً)، وتقدم أن الناس لو كانوا مستحقين للظهور من حيث توطين النفس على الطاعة لسبب الله تبارك وتعالى لهم الأسباب وذلل الصعاب.

السبب الخامس لتغييب الموعد: أنه يكون أنفع لتربية الأجيال مما لو كان له موعدٌ معلوم كأن يكون بعد قرن من الزمان مثلاً أو في سنة كذا وكذا في الزمان البعيد؛ لأن من يتوقع قرب الظهور سيكون أشد حماسة وأزيد همة، ولقد مرّ شيعة أهل البيت (عليهم السلام) بمراحل صعبة جداً في أدوار حياتهم استأصلتهم الجبابرة وشردهم الطواغيت وذاقوا ألواناً من العذاب والظلم تذيب الصخور الصماء، ولكن الأمل باقتراب الفرج هو الذي كان يمسك قلوبهم ويربط عليها ويلهمهم الصبر والاستقامة، حتى قال الإمام الكاظم (عليه السلام): (إنا نربي شيعتنا بالأماني منذ مائتي عام).

الخطوة الثانية عشر:

الظهور يتوقف على توجه القلوب بالدرجة الأساس

قلنا فيما سبق أن انتصار الإمام المهدي (عليه السلام) وظهوره إنما هو مشروع له مقدمات وشروط وإعدادات فإذا تحققت مقدماته تحققت نتائجه بإذن الله تعالى.

ولكن الملاحظ على صيغة الروايات التي تحدثت عن تحقق الظهور أنها توكل تحققه إلى علم الله سبحانه وكأنه عطاء إلهي له موعد مجهول في الغيب.

والظاهر -بحسب فهمي- أنها إنما جاءت بصيغة تجعل المؤمنين متعلقين بالغيب لئلا يشعروا بالتعلق بالأسباب الأسباب التي يعدّونها للظهور، لأن الإنسان والمجتمع يكون أفشل ما يمكن حينما يحسّ أنه قد هيأ المقدمات واستحق النتائج فيشغله ذلك عن التعلق بالله سبحانه.

وهذا هو وجه الجمع المتصور من التباين بين الروايات التي حرّضت الشيعة على تحقيق بعض المقدمات من التهيئة النفسية والصفات الاجتماعية وبين الروايات التي جعلت الظهور متوقفاً على الإذن الإلهي، فهي من جانب تريدهم أن يعملوا فينالوا ثواب المجاهدين وتتطهر أنفسهم لطول المجاهدات، ومن جانب تريدهم أن لا يتوكلوا على أعمالهم ومقدماتهم، شأن الظهور في ذلك شأن سائر العبادات.

إن الله سبحانه غني عن العالمين وإنما يكلف عباده ويشوقهم ليعملوا فيتكاملوا، وأحياناً يريد منهم أن يساهموا في إنجازات معينة على

الأرض ليحتفظوا بتلك الإنجازات طويلاً لأنها كانت ثمن دمائهم وتضحياتهم.

يحدثنا القرآن الكريم عن قصة بني إسرائيل مع موسى (عليه السلام) وكيف أنهم حين أُمروا أن يدخلوا الأرض المقدسة رفضوا ذلك[١] وانتظروا أن يذهب موسى وحده وربه ليقاتلا بحسب تعبيرهم[٢] كما أُهلك فرعون من قبل، فاستحقوا أن يتيهوا في الأرض أربعين سنة[٣] رغم أن الله سبحانه كان قد كتب لهم دخول الأرض المقدسة، ولكنه سبحانه أخّر عنهم دخولها حتى نشأ جيل استحق ذلك.

فالوعد الإلهي متحقق لا محالة، ولكن الجيل الذي يستحق حصوله غير محدد إلا بالصفات التي يمكن لأي جيل تحقيقها أو التقاعس عنها فيتعجّل تحقق الوعد أو يتأخر.

والظاهر أن المقدمات الرئيسية التي ستحقق الوعد الإلهي هي المقدمات النفسية وأن غيرها من المقدمات مثل الاستعدادات المادية والاجتماعية أسباب ثانوية؛ وذلك لعدة مؤيدات من حسن الظن بالله سبحانه:

---

(١) ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ، قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ (المائدة:٢١-٢٢).

(٢) ﴿قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (المائدة:٢٤).

(٣) ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (المائدة:٢٦).

منها: أن عطاء الله سبحانه تفضلٌ دائماً ويسبق الاستحقاق، فنتصور أن المؤمنين سيجهدون عبر الأجيال لتحقيق المقدمات فيجمعون الأموال والقوى عبر تأريخهم ولكنهم يفشلون مرة بعد مرة ويتقوون ويستعدون ولكن الطغاة في كل مرة يتغلّبون عليهم، لأن ميزان القوى لا يزال لصالح الظلم والجور حتى تمتلئ الأرض بهما، وحتى يقول لسان حالهم بعد تأريخ طويل من القهر والظلم والاستضعاف: ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾(يوسف:٨٨).

ومنها: أن الله سبحانه تحدّث عن تجارب قوم سابقين أنهم كانوا قلة من حيث العدد والعدة ولكن كانت منهم فئة كبيرة من الصالحين المتوكلين الذين يظنون أنهم ملاقو الله، فاستحقوا أن يتفضل الله عز وجل عليهم بالنصر وهم قلة، يحدثنا القرآن الكريم عن قصة بني إسرائيل من بعد موسى إذ أرادوا القتال لاسترجاع أرضهم وكرامتهم فاختار لهم الله سبحانه طالوت ملكاً وتخلصوا من الانتهازيين الذين أرادوا المتاجرة بحرب التحرير للوصول إلى الملك، فلما خرج طالوت بالمخلصين منهم الذين اختبرهم باختبار قاسٍ وتوجه نحو الأعداء، رأى قسم منهم أنه لا طاقة لهم بجالوت لأنه كان عملاقاً جباراً ومعه جيش جرار، بينما كان جنود طالوت قليلين مستضعفين، ولكن فئة منهم كانت في قمة التوكل على الله والمعرفة به تبارك وتعالى رفضوا هذا الانكسار وكانت روحهم المعنوية هي زاد المعركة ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً

بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ، وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ، فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾(البقرة:٢٤٩-٢٥١).

وسُنّة الله تعالى أجراها في أهل بدر مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فإنه قد كان منهم مجموعة ترددوا حين رأوا قوة قريش وعددهم وحاولوا الاعتذار من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن القتال، ولكن فئة منهم لم يأبهوا بكثرة قريش وعدتهم فقال المقداد بن الأسود للنبي: (والله يا رسول الله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون،والله يا رسول الله لو سرت بنا إلى برك الغماد (يعني الحبشة) لجالدنا معك البحر حتى نصله)، وكان جنود رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم بدر (٣١٣) رجلاً منهم فارسان اثنان وكان معهم سبعون جملاً يتعاقبون عليها، بينما انتقت قريش ألف فارس من مقاتليها وردّت العبيد وكان من فرسانهم من يُعَدّ بألف فارس، ولكن حينما كان الله سبحانه قد وعد المؤمنين بالنصر، وعلم منهم (جملةً) التسليم والإطاعة لرسول الله وكان هو (صلى الله عليه وآله وسلم) بينهم: استحقوا لأجله أن تتسبب الأسباب وتتنزل الملائكة ﴿فهزموهم بإذن الله﴾ رغم شعور المؤمنين بالضعف المادي، ولكن القلوب كانت متوجهة للطاعة ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتَّمْ لاَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَـكِن لِّيَقْضِيَ اللّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً..﴾(الأنفال:٤٢) ﴿وَإِذْ

يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾(الأنفال:٤٤).

ومنها: أن الآيات والروايات تتحدث عن كون المؤمنين أو الإمام المهدي (عليه السلام) بالذات يوم الظهور يكونون في قمة الاضطرار وانقطاع الأسباب، قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾(النمل:٦٢)، وفي الرواية عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال: (كم من مؤمن حيران ومؤمنة حيرى وذلك عند فقدان الماء المعين... كأني بهم آيس ما كانوا وقد نودوا نداء يسمع من بعد كما يُسمع من قرب يكون رحمة على المؤمنين وعذابا على الكافرين).

واضطرار الإمام المهدي (عليه السلام) إن فهمناه بصورة معمقة من أنه دائماً في اضطرار لأنه (روحي فداه) يعلم أن الله تبارك وتعالى بيده جميع الأسباب فلا يراها مؤثرة في جنب الله سبحانه، إن هذه الآية وإن فهمنا اضطرار الإمام المهدي فيها بهذا الشكل المعمق الكاشف عن أنه لا يأبه بالأسباب ومنها استعدادات المؤمنين المادية التي قلنا أنها نافعة لهم أنفسهم، إلا أننا نستبعد أن يعمم مفهوم الاضطرار هذا إلى جميع المؤمنين يوم الظهور أي أن يكون حال جميع المؤمنين هو الاضطرار نتيجة لرؤية معمقة للكون ولفقر الأسباب، فلا بد أن يكون الوضع الاجتماعي هو الذي سيسهم في تربيتهم للتوجه والاضطرار.

بل تتحدث بعض الروايات –على ضعف سندها– أن جنود الإمام (عليه السلام) يوم الظهور يلتقون به قبيل إعلان نفسه في المسجد الحرام

فيقولون له: (دماؤنا في رقبتك..) ويتوسلون إليه بإعلان نفسه بعد أن دفعهم عنه، وهذه الرواية إن قبلناها تكشف عن أن أولئك الأبرار الذين جاؤوا من أطراف الأرض التي يسيطر عليها السفياني وانتبه إليهم أهل مكة أولئك الأبرار كانوا يرون أنهم لن يتمكنوا من البقاء أكثر من ذلك ولم يستحملوا أن يتأخر الظهور إلى جيل جديد، رغم أنه قد يكون في الحكمة الإلهية أن تأخير الظهور قد يؤتي نتائج أعمق لو تأخّر، ولكن اضطرار أولئك المؤمنين المخلصين وضيقهم من سيطرة الطواغيت سيجعل الإمام المهدي (عليه السلام) يلحظهم بعين الرحمة ويضطر لاضطرارهم فيتوسل إلى الله تعالى للإذن بالظهور والتعجيل بإنجاز الوعد وغفران التقصير المتبقي، فيصلح الله أمره في ليلة (كما في الحديث) (فيُمسون وهم خائفين ويصبحون وهم آمنين) فينزل جبرائيل (عليه السلام) ليكون أول من يبايع الإمام المهدي (عليه السلام) ثم يبايعه جنوده وقد اجتمعوا إليه من أطراف الأرض فتصبح قلوبهم كزبر الحديد ثم ينطلقون تحت رايته الميمونة فيدّكون معاقل الجبابرة وينكّسون رايات الظلم ولا يبقى معبود على وجه الأرض غير الله وتمتلئ الأرض قسطاً وعدلاً، ليفتح التأريخ صفحة جديدة تختلف عن جميع الصفحات التي قلبها من قبل، صفحة لا يكتب فيها مأساة ولا يذكر فيها قصة ظلم ودماء وجوع وغربة...

الخطوة الثالثة عشرة:

هل كاد الظهور أن يتحقق في يوم ما في الماضي البعيد أو القريب؟

نعني بالظهور قيام دولة آل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين) دولة القسط التام والعدل الشامل التي يتحقق فيها الدين الحقيقي، والتي كان مفروضاً لها أن تقام على يد رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلا أن الأمة لم تكن منسجمة مع الشريعة الإسلامية والنبي الأكرم، فاستوجبت البلاء بعد وفاته (صلى الله عليه وآله) وربما اشتركت فئات من الأمة بالالتواء والتمرد عليه بعد حادثة الغدير، حتى كان يأمر الناس بالخروج من المدينة مع جيش أسامة وهم لا يخرجون قرابة شهرين مستمرين قبل وفاته (صلى الله عليه وآله).

وقد عبّر رسول لله (صلى الله عليه وآله) يوم الغدير عما ينتظر الأمة من الأمر العظيم بقوله: (ألا وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض) ويروى أن الشياطين ضجّت وأقبلت على إبليس قائلة: (إن هذه الأمة قد عُصمت فقد بايعت وصي نبيّها، فقال لهم: إن لي عليهم كرّة) فلما حصل الانحراف عن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان ذلك مصداق لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلا فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(سبأ: ٢٠).

فالظاهر أنه كان من الممكن للأمة أن تتشرف بحكومة آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ويغفر الله سبحانه لها تقصيراتها وذنوبها والانحرافات البسيطة فيها مما لا يتعلق بولاية أهل البيت (عليهم السلام):

لو أنهم سلّموا لما أمرهم الله تعالى في أمير المؤمنين (عليه السلام) قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾(الأعراف:٩٦).

ثم إن أهل البيت (عليهم السلام) عملوا لإعادة الأمة إلى الحق وكشف الباطل وتنقية القلوب بمختلف صنوف التربية، وكان مقرراً أن تقوم حكومة آل محمد المباركة سنة السبعين، فعن عمرو بن الحمق قال: (دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام حين ضُرب على قرنه فقال لي: يا عمرو إني مفارقكم ثم قال: سنة السبعين فيها بلاء – قالها ثلاثاً – فقلت: فهل بعد البلاء رخاء؟ فلم يجبني وأغمي عليه ... فأفاق .. فقلت: بأبي أنت وأمي، قلتَ إلى السبعين بلاء، فهل بعد السبعين رخاء؟ قال: نعم يا عمرو إن بعد البلاء رخاءً، ويمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب).

وتكرار أمير المؤمنين (عليه السلام) ثلاث مرات للإخبار بالبلاء سنة السبعين ينبئ عن أهمية ما يخبر عنه، وكان على عمرو بن الحمق (وهو من خاصة أمير المؤمنين) أن تكون تلك الإشارة كافية لمعرفة ما يريده (عليه السلام) مما لا يمكن التصريح به وإذاعته يومذاك.

أما البلاء سنة السبعين فربما كان هو خروج الحسين (عليه السلام) وثورته على الحكام الظلمة، فلم يكن خروج الإمام الحسين (عليه السلام) مجرد ردة فعل وتجنباً لبيعة يزيد بقدر ما كان ثورة مخططاً لها وإن كان بطريقة غير الطريقة التي جرت فيها الأمور على ما جرت، فلو أن الأمة الإسلامية التفت على الإمام الحسين (عليه السلام) يومئذٍ لانتصر على أعدائه وحقق يوم الفصل معهم حتى ولو كانت عِدّة المؤمنين وعددهم قليلاً، والظاهر أن الإمامين الحسنين (عليهما السلام) كانا يعدّان العدة

للثورة على الظالمين مع من بقي من خيرة أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقد قدم وفدٌ من رجال الكوفة إلى الإمام الحسن (عليه السلام) ليخبروه بأن معاوية نقض العهد وأنهم مستعدون للثورة معه، فلم يوافقهم الإمام الحسن (عليه السلام) على توقيتهم، فلما أرادوا الخروج قال لهم الإمام الحسين (عليه السلام): إن لنا مع هؤلاء القوم هدنة فانتظروا حتى يموت هذا الطاغية.

والظاهر أنه (عليه السلام) كان يريد لهم أن ينتظروا ويبقوا على أهبة الاستعداد نفسياً إلى هذا الموعد خصوصاً وأنه ليس بالبعيد فإن معاوية كان كبير السن يومذاك ومن المتوقع موته في كل حين. ولكن قادة الكوفة منهم من توفي ومنهم من لهى عن هذا الموعد ولم يستعد له ومنهم من قسى قلبه فكان خروج الإمام الحسين مباغتاً (نفسياً) لهم ففشلوا في تحقيق النصر يومذاك، مع ملاحظة مهمة استفدتها من بعض العلماء مفادها أن الإمام الحسين (عليه السلام) كان ينتظر النصر حتى آخر ساعات يوم عاشوراء لقوله (عليه السلام): (اللهم إن كنت حجبت عنا النصر فاجعله لما هو خير لنا في الآخرة) فكان ينتظر (عليه السلام) من الأمة أن تنتصر على خوفها وترجع إلى موالاتهم ولو في ذلك الوقت، الأمر الذي يفسر كيف أنه (عليه السلام) كان يطيل أمد القتال يوم الطف، فلعله أراد إعطاء الوقت للأمة أن تستفيق خصوصاً وأن أكثر أنصار أهل البيت (سلام الله عليهم) هم في الكوفة وقريبون من المعركة وكانت تصلهم أخبار القتال، فكان من الممكن أن يثوبوا من نومهم ويرفعوا اللعنة المقبلة عليهم، ولكنهم كذبوا وخذلوا، فغضب الله عليهم ورفع النصر من

الأرض إلى الآخرة، وسبب تقصيرهم تأجيل ظهور دولة آل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين).

فعن أبي حمزة الثمالي قال: (قلت لأبي جعفر عليه السلام: إن علياً عليه السلام كان يقول: إلى السبعين بلاء، وكان يقول: بعد البلاء رخاء وقد مضت السبعون ولم نرَ رخاءً؟، فقال أبو جعفر عليه السلام: يا ثابت إن الله تعالى كان وَقّتَ هذا الأمر في السبعين فلما قُتل الحسين اشتد غضب الله على أهل الأرض فأخّره إلى أربعين ومائة سنة، فحدثناكم فأذعتم الحديث وكشفتم قناع السر فأخّره الله ولم يجعل له بعد ذلك وقتاً عندنا، ويمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب).

وقد تحدثنا في خطوات سابقة عن التخطيط الذي كان مفترضاً له أن يزيح بني أمية ويقيم دولة الحق مكانها والتقصيرات التي أدّت بأن ينتهز بنو العباس الفرصة ويسيطروا على مقاليد الأمور باسم الثورة لدم الحسين (عليه السلام) والنصر لآل محمد (صلوات الله عليهم).

ثم كانت توصيات الأئمة (عليهم السلام) بأن ينتظر الشيعة الفرج إلى حين ما يأذن الله تعالى به، وأخبروهم أن من الممكن أن يحصل الفرج بين ليلة وضحاها (المهدي من ولدي يصلح الله أمره في ليلة) (يمسي خائفاً ويصبح آمناً).

ويمكننا أن نفهم أن موعد الظهور لا يمكن توقع موعده ولا إقامة حسابات دقيقة له ولا التنبؤ بموعده، لأنه أصبح يعتمد على توجّهات القلوب واستعداداتها ﴿يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾(الرعد:٣٩) ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾(الرعد:١١).

ولكننا نريد الحديث الآن في هذه الخطوة عن تأريخ مضى ربما أمكن أن نحتمل أن الظهور المقدس كان متوقعاً فيه لقرب استعدادات القلوب من استحقاقه.

ونحن لم نطّلع على أسرار القلوب ولكننا سوف نتحرى بعض العلامات التي أخبر الأئمة (عليهم السلام) أنها دوال على موعده وأن الظهور سيحصل بعدها، ثم لم يحصل رغم حصول العلامة التي أخبر عنها الأئمة (سلام الله عليهم) كما سنحلل أقوال من رأوا أن الظهور كان قريباً من التحقق في يومٍ ما فنحتمل صدقهم في الإخبار عنه ولكن البداء حصل في الموعد المفترض فتم تأخير الظهور عما أخبروا به (سلام الله عليهم).

فمن ذلك ما روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في علامات الظهور أنه قال: (وخراب البصرة على يد رجل من ذريتك يتبعه الزنوج) وهو ما حصل في ثورة الزنج وهم العبيد الذين اتبعوا علي بن محمد قائد الثورة عام ٢٥٥ هجـ، وكان خروجه قريباً من مولد الإمام المهدي (عليه السلام)، فلعل قلوب الشيعة كانت مستعدة لتحقق الفرج بعد تلك الحادثة التي استمرت قرابة خمس عشرة سنة أضعفت الدولة العباسية وأذهبت هيبتها، ثم حصل البداء لتغير استعدادات النفوس.

ومن ذلك ما روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) في علامات الظهور (إذا اختلف أهل المشرق والمغرب) إذا فهمنا أن أهل المشرق هم الكتلة الشيوعية (الاتحاد السوفيتي والصين) وأهل المغرب هي الولايات المتحدة ومن حالفها فقد اختلفوا عسكرياً في سباق التسلح الخطير وفكرياً في النظر إلى الاقتصاد ورأس المال وشكل الدولة.

وغيرها من الأحاديث التي أخبرت عن حوادث حصلت تأريخياً وأخبر عنها الأئمة (عليهم السلام) أنها من علامات الظهور ونحتمل أنه كان من الممكن حصوله لو انتبه المؤمنون واستعدوا له، ولكن تقصيراً ما حصل لديهم استوجب البداء في موعد الفتح وتأخيره إلى زمان أبعد.

كما لا نستبعد أن تكون تلك العلامات من الحوادث التي أراد بها الأئمة (عليهم السلام) إبقاء روح الاستعداد في قلوب المؤمنين متقدة دون أن يصرحوا بارتباطها الزماني مع موعد الظهور، فتكون غايتها كما قدمنا فيما سبق الحفاظ على الروح المعنوية فهي علامة بهذا المعنى.

ويلحق بها ما روي من أخبار اللقاء بالإمام المهدي (عليه السلام) فقد حكى السيد الشهيد الصدر الثاني في كتاب الغيبة الكبرى عن أبيه (أن الناس في البحرين، في بعض الأزمنة، لمقدار إحساسهم بالظلم وتعسف الظالمين.. تمنوا ظهور إمامهم المهدي (عليه السلام) بالسيف ظهوراً عالمياً عاماً، لكي يجتث أساس الظلم لا من بلادهم فحسب بل من العالم كله.

فاتفقوا على اختيار جماعة من أعاظمهم زهداً وورعاً وعلماً ووثاقة، فاجتمع هؤلاء واختاروا ثلاثة منهم، واجتمع هؤلاء واختاروا واحداً هو أفضلهم على الإطلاق، ليكون هو واسطتهم في الطلب إلى المهدي بالظهور. فخرج هذا الشخص المختار، إلى الضواحي والصحراء، وأخذ بالتعبد والتوسل إلى الله تعالى وإلى المهدي (عليه السلام) بأن يقوم بالسيف ويظهر ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً. وقضى في ذلك ثلاثة أيام بلياليها. فلما كانت الليلة الأخيرة، أقبل شخص وعرّفه بنفسه أنه هو المهدي المنتظر، وقد جاء إجابة لطلبه. وسأله عن حاجته، فأخبره الرجل بأن قواعده الشعبية ومواليه في أشد التلهف

والانتظار إلى ظهوره وقيام نوره. فأوعز إليه المهدي (ع) أن يبكّر في غد إلى مكان عام عيّنه له، ويأخذ معه عدداً من الغنم في الطابق الثاني على السطح، ويعلن في الناس أن المهدي (ع) سيأتي في ساعة معينة، وعليهم أن يجتمعوا في أرض ذلك المكان. وقال له المهدي (ع) أيضاً: أنني سأكون على السطح في ذلك الحين. وامتثل الرجل هذا الأمر، وحلّت الساعة الموعودة، وكان الناس متجمهرين في المكان المعين على الأرض، وكان المهدي (ع) مع هذا الرجل وغنمه على السطح. وهنا ذكر المهدي (ع) اسم شخص وطلب من الرجل أن يطلّ على الجماهير ويأمره بالحضور. فامتثل الأمر وأطلّ على الجمع ونادى باسم ذلك الرجل... فسمع الناس وصعد الرجل على السطح. وبمجرد وصوله أمرَ المهدي (ع) صاحبنا أن يذبح واحداً من غنمه قرب الميزاب، فما رأى الناس أن الدم ينزل من الميزاب بغزارة. فاعتقدوا جازمين بأن المهدي (ع) أمر بذبح هذا الرجل الذي ناداه. ثم نادى المهدي (ع) بنفس الطريقة رجلاً آخر، وكان أيضاً من الأخيار الورعين. فصعد مضحياً بنفسه واضعاً في ذهنه الذبح أمام الميزاب، وبعد أن وصل إلى السطح نزل الدم من الميزاب. ثم نادى شخصاً ثالثاً ورابعاً. وهنا أصبح الناس يرفضون الصعود، بعد أن تأكّدوا أن كل من يصعد سيُراق دمه من الميزاب. وأصبحوا يفضلون حياتهم على أمر إمامهم.

وهنا التفت المهدي (ع) إلى صاحبنا وأفهمه بأنه معذور في عدم الظهور ما دام الناس على هذا الحال)[1].

---

(١) تاريخ الغيبة الكبرى، ١١٨-١١٩.

ونفهم من هذه القصة أن بقية الموجودين لو أطاعوا الإمام المهدي (عليه السلام) وغيّروا ما بأنفسهم لتغير الوضع ولتحقق لهم ما سألوه.

نعم قد نفهم منها أن المؤمنين يوم ذاك لم يكونوا مؤهلين للظهور والتضحية والطاعة، ولكن النفس قد تنصلح بقرار واحد من الشخص المقصر وبوقفة صدق واحدة مع الله سبحانه، وعلمنا في البحث السابق أن الاستعداد النفسي هو السبب المهم للتغيير وأن سائر الأسباب قد تتحقق في ليلة واحدة، فلو استطعنا تحقيق توبة صادقة جماعية لعدد معتد به من المؤمنين لتحقق اليُمن بلقاء الإمام على المستوى العام.

وسنقتصر على ذكر بعض الموارد في تأريخنا الحديث التي نحتمل أن الظهور المقدس كاد أن يحصل فيها.

فمن ذلك ما روي في الملاحم والفتن عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: (بينما الناس في عرفة وهم قيام وبطريقهم إلى الكعبة يأتي خبر هلاك طاغية مستبد ويفرح لهذا الخبر سائر المسلمين وبهلاك هذا الطاغية المستبد يتنفس الناس الصعداء).

ومثله ما روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) في عدة مصادر أنه قال: (بينا الناس وقوف بعرفات إذ أتاهم راكب على ناقة ذعلبة (يعني سريعة) يخبرهم بموت خليفة يكون عند موته فرج آل محمد (صلى الله عليه وآله) وفرج الناس جميعاً).

وهذا المضمون كان منطبقاً بشكل كبير على إعدام صدام المقبور، فقد أُعدم في وقت كان الناس فيه بعرفات، فقد كان ميقات أهل تلك البلاد يوم إعدامه هو يوم الوقوف في عرفات، ومن المستبعد أن يذكر

الأئمة (عليهم السلام) علامة قابلة للتكرار عبر التأريخ لأنه سيحصل توهم للمؤمنين فيها.

وكان كثيرٌ من قادة العراق السياسيين والدينين يومئذٍ هناك في مكة المكرمة، فلو أنهم أقبلوا على الله سبحانه بصدق وعزم، ثم ظهر الإمام (عجل الله فرجه) يومها لوجد أنصاراً على ثورته ولوجد قاعدة متأهبة في العراق وفي غيره، ولكن الخلل المتوقع أن يكون حصل في استعدادات رجال الشيعة وما أحدثوا بينهم بين أنفسهم رغم أنهم كانوا في أرض وزمان مباركين، فلعل الظهور كان قريباً منهم وهم أبعدوه وحصل البداء في تغييره إلى إشعار آخر، ولن يكون من المناسب تكرار ذلك بعد ما كان وما هو كائن...

ومن ذلك ما أخبر به الشيخ العارف محمد تقي بهجت فقد تكرر عنه أنه (قدس سره) ذكر أن المهدي سيخرج في حياته، وها هو (قدس سره) قد توفي ولم يتحقق الظهور المقدس، ومن المؤكد أنه (قدس سره) لم يكن ممن يخبرون بالظن ولا يخمّنون في هذه الأمور العظيمة.

ومنه ما قاله السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) من أنه لولا شخصيتين (فلان وفلان) لتحقق الظهور، مما يعني أنه كانت هناك فرصة لتحققه لولا أن (فلان وفلان) كانا يكثران من التخمين والحديث عن توقيت الظهور؛ حتى أثّر ذلك سلباً على نفوس الشيعة ففقدوا استعدادهم وتواكلوا في أمرهم.

ومن المحتمل أنه (قدس سره) كان يحتمل شيئاً مماثلاً حين وجّه الناس في زمانه (أواخر عام ١٩٩٨) لزيارة الإمام الحسين (عليه السلام) مشياً في النصف من شعبان، فإن أجواء تلك الليلة المباركة وذلك المكان

المقدس، وروحية تحدي السلطة الدموية، وبساطة حياة المجتمع العراقي يومذاك والظروف الخاصة، كانت من أقوى المؤثرات في تزكية النفوس، فلو أن القلوب استعدت والعقول فطنت لربما كانت متنجزّة لاستحقاق الظهور، رغم الضعف المادي الذي كانوا يعانون منه.

إن من يحقق في نمط تفكير السيد الشهيد ويعرف ظروف المجتمع في ذلك الحين، يستبعد أن يكون (قدس سره) كان يخطط للثورة، وما كانت لتنجح وفق حسابات أي من العقلاء، وليس هو (قدس سره) من النوع الذي يغامر بالناس وبدمائهم، لمجرد اختبار طاعة الأتباع له، كما أن أسفه في الخطبة التي تلت الزيارة وتراجع أغلب الناس عن مشروع الزيارة مشياً، لم يكن لأمر من الأمور المعروفة، بل كان يتحدث عن استحقاق نفسي واستعداد لأمر إلهي. والله العالم.

وهذا المبحث ظني احتمالي لطبيعة هذا الموضوع الذي ينسد فيه باب القطع، ولعل فيه موعظة أخلاقية تنفع المتأملين.

وما نذهب إليه أوسع من ذلك بعد كل ما تقدم، فإن الظهور الميمون متوقع في كل زمان، وورد في الحديث (انتظروه صباحاً ومساءً) وفي الرواية أن أصحاب الكساء (عليهم السلام) يدعون في كل أسبوع من زوال يوم الخميس إلى زوال يوم الجمعة بتعجيل الفرج، ولكن ذنوب الناس تؤخره.

الخطوة الرابعة عشرة:

البداء وزمان الظهور

كررنا فيما سبق أن الظهور قد تتهيأ بعض مقدماته ولكن يحصل البداء ليؤخر موعده، فما هو البداء وما أهمية البحث فيه وما هي علاقته بالظهور المقدس؟

وسنحاول بيان شيء مختصر من مفهوم البداء رغم الثواب العظيم للتحدث عنه فقد ورد (أنكم لو علمتم ثواب الحديث في البداء لما فترتم عنه) أي ما توقفتم عن الحديث عن البداء.

البداء هو أن تتغير بعض الأمور مما يُظن أنها كانت ستتحقق لمشاهدة حصول أسبابها، فإن العقول -وحتى الملائكية- منها قد تظن أن النتيجة الفلانية هي مسبَّبة للسبب الفلاني، فيحصل نوع استئناس أو ركون إلى السبب، فيبدي الله سبحانه لهم أن النتيجة من الممكن أن تتخلف عن السبب.

وهو يحصل:

في القوانين التي ينتزعها الناس من مراقبة مجرى الحياة: كالمريض المصاب بداءٍ عضال فيظن من يراه أنه سيموت ولكن بعضهم يتقدم بالدعاء أو الصدقة فيشفى المريض، فيبدو لهم أن الله سبحانه رفع التقدير عليه بالموت، ولعل الذين يألفون تدبير الأمور في عالم الملكوت يرون أن الحادثة جرت وفق القوانين التي يفهمونها لتدبير عالم الملكوت فيرون أنه تمرض بسبب الذنب وشفي بالطاعة أو التوبة.

وكذلك من الممكن أن يحصل في قوانين العالم المحيط التي يستنبطها علماء الطبيعة: فلا تكاد تجد قانوناً من القوانين العلمية إلا وتسجل حالات من الشذوذ عنه.

وكذلك من الممكن حصوله في عوالم أعلى من ذلك حتى في مجريات الأمور التي يراها أهل الملكوت والجبروت، ففي الرواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه (ما بدا لله في شيء مثل ما بدا له في ولدي إسماعيل) (كتب الله عليه القتل مرتين فسألت الله أن يرفعه عنه فرفعه).

وفي الحديث أنه (ما عُبد الله بمثل البداء) وأنه (ما بَعث الله نبياً إلا وأخذ منه الإقرار بالبداء).

فالبداء يمثل سبباً فوق الأسباب يمنع تعلق النفوس بأي شيء غير الله سبحانه، لذا فهو من أعظم العبادات.

بل ربما نتوسع في فهم البداء لتطبيق أصله على هويات الأشياء وخصائصها الذاتية، فلا نرى للأشياء صفة مستقلة بذاتها إلا ولله أن يسلبها عنها، فلا الثقيل يلازمه الثقل ولا الخفيف تلازمه الخفة، ولا النار تلازمها الحرارة، ولا الثلج تلازمه البرودة.

ويُستشهَد للبداء بالآية الكريمة وهي قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾(الرعد:٣٩).

ومعنى الشيء الممحو هو الذي يبدو للناظر أنه سيحصل، والشيء المثبَت هو الشيء الذي حصل بعد الإمضاء، وأمُّ الكتاب هي أصل الكتاب وما يُكتب منه في عالم الواقع ويكون ثابتاً في الوجود أصيلاً، وأمُّ

الشيء أصله، وأمُّ الكتاب هي الأصل الذي تكون منه آيات الكتاب وكل شيء؛ لأن جميع الخلق إنما خُلق لأجل الهداية والإيقان بلقاء الله سبحانه.

والمتأمل في سورة الرعد الشريفة يجد أنها ابتدأت بالحروف المقطعة وسمتها آيات الكتاب: ﴿المر: تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِيَ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ..﴾(الرعد:١) ثم تحدثت عن ذلك الكتاب المبارك وأنه مصدر جميع الآيات ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾(الرعد:٣٨) ثم قال الله تعالى: ﴿يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾(الرعد:٣٩).

ويظهر من السورة الشريفة أن هناك قوانين لتدبير الكون، وقانوناً حاكماً على تلك القوانين له شيء من المرونة والتخصيص الخفي أو الحاكمية فوقها، وهو ليس بالشيء الثابت ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾(الرحمن:٢٩).

ففي الوقت الذي يجعل الله سبحانه للعبد معقّبات يحفظونه من أمر الله ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ﴾ يعبر الحق تبارك وتعالى: ﴿وَاللّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾(الرعد:٤١).

والله سبحانه هو الذي يدبّر الآيات والخلق ﴿اللّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ..﴾(الرعد:٢)، وهذا التدبير له غاية وعلة وهي اليقين بلقاء الله سبحانه ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾(الرعد : ٢).

فاليقين هو الغاية من الخلق، وقلنا في بحوث سابقة أن أي نظام لأي منظومة إنما يترتب وفق الغاية التي يريدها جاعل النظام، فتكون الغاية هي

المسبب والعلة الغائية وهي العلة الفاعلية، فالكون كله مُصمم على أساس تحقيق اليقين، واليقين هو أول انعكاس للواقع ثبوتاً وإن بدا لنا أنه يدلنا على الواقع إثباتاً.

وكيف ما كان، فقد وضّحت السورة الشريفة أصل الكتاب في آخرها قال تعالى: ﴿قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾(الرعد : ٤٣) وهو الذي يعلم الحق المنزل ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾(الرعد :١٩) ومن عنده علم الكتاب هو أمير المؤمنين (عليه السلام).

فالقانون الحاكم على كل قانون يفهمه الخلق هو نور الإمام (عليه السلام)، واليقين هو الذي يتحكم بقوانين الكون، فتكون الصدقة أو الدعاء وما فيهما من تعلق بالله سبحانه هما اللذين يردّان القضاء وقد أُبرم إبراماً، أي أبرم وفق قوانين عالم أدنى من عالم البداء.

ومن هذا نعلم قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾(الرعد:١١).

فمجريات الأمور في الكون تتبع الاستعدادات النفسية للخلائق، وتدبير الخلق إنما هو ﴿لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾(الرعد : ٢).

وقلنا في كتاب (عواطف الآملين، في البحث عن الحروف المقطعة) أن البداء ساري حتى على الأزليين ممن اطلع على المستقبل وتجردت نفسه عن الزمان لتكون أفاق المستقبل والآن والماضي حاضرة بين يديه، فقد

تصور بعض الحكماء[١] أن المتجردين عن الزمان بإمكانهم مشاهدة مجريات الأمور المستقبلية، وأنه ليس في صعيدهم بداء، وناقشناه هناك بعدة أمور منها:

منها: إن الحديث الشريف (ما عُبد الله بشيء مثل البداء) مطلق لجميع الخلق، فقد يكون لله في عالم الأزلية بداء لا نفهمه الآن، لأن دالة التغيير (الحركة) فيه غير الزمان كتفاوت المستويات الإيمانية، كما تجد اثنين لهما نفس الأجل الزماني (نفس العمر) ولكن لأحدهم أفق وأجل وجودي أعظم من الآخر.

ومنها: إن الزمان يبدو للبعض وكأنه بُعدٌ مهيمن على الكون ومستمر معه ويفصل بين أجزائه، وتقاس الحركة والتغير وفقه، وعدم إمكانية تصور أفق فوقه، فنتصور أننا لو ثبّتنا الزمان أو كنا في بُعد فوق الزمان ستبدو الأشياء ثابتة في نظرنا، إلا أن نفس هذا التصور مما اكتسبه الإنسان من مشاهدة العالم المألوف ومن القياس وفق خصائص عالم المادة القاصر، فإن التغير ليس في الزمان فقط، وطرحنا في (عواطف الآملين) أن هناك أفقاً فوق الزمان تتحكم به النوايا والخيارات وأن في كل نقطة من نقاط الزمان عوالم تقف بالعرض من النقطة التي فُرض إيجادها. مما يشكل عدة عوالم يمكن تحققها في المستقبل، والعلم الحديث يساعد على تصورات مماثلة وفق الفيزياء الحديثة.

فالبداء يعني بالنسبة للأزليين أنهم وإن شاهدوا المستقبل إلا أن من الممكن تغييره إذا تغيرت بعض الاستعدادات النفسية.

---

(١) راجع شرح ملا صدرا لأصول الكافي، باب البداء.

والنفس شيء علوي فوق الأبعاد وفوق الزمان، ويؤثر التغيير في مواقف النفس إزاء اليقين ونور الولاية بتغيير جميع العوالم مما يوجب تحيّر الملائكة وتعجبهم على الدوام، ومقاليد النفس بيد الله سبحانه وحده. وهي لطيفة ربانية لها تنزلات وعروجات في جميع الأبعاد والعوالم، وهي واحدة بوحدة شخصية.

ومنها: إن أهل البيت (عليهم السلام) هم قمة ما يمكن أن تصله النفس البشرية من الكمال، وقد أخبروا بحوادث مستقبلية حصل فيها البداء، وكان من تصريحاتهم (سلام الله عليهم): (لولا آية في كتاب الله لأخبرناكم بما كان وما يكون إلى يوم القيامة ﴿يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾).

والأشياء التي كانوا يخبرون بها كانوا يلوحون إلى هذا التغيير المحتمل فكانوا يستشهدون بالآية الشريفة على ذلك أي قوله تعالى ﴿يمحو الله ما يشاء..﴾.

نعم، يمكن أن نفهم اطلاعهم على أصل البداء وأمّ الكتاب، ولكنه سيكون أمراً لا يمكن الإخبار عنه وكيف يمكن الإخبار عن أمر متحرك! وإنما ثباته من حيث الوجود، ومن القصور ثباته من حيث الحوادث، سبحان الله عما يصفون، فأهل البيت (عليهم السلام) يخبرون الناس بما يأذن الله لهم سبحانه من الأخبار به لحكمة وغاية، كما في الخبر المروي أن الله سبحانه أمر نبياً من أنبيائه أن يبلغ ملِكاً في زمانه أنه قد انقضى أجله وأن الله سيقبضه في غضون ثلاثة أيام، فأخبر النبيُّ الملك بذلك، ثم إن الملك توسل إلى الله أن يطيل أجله إلى أن يشبّ ولده ويسلّم إليه أمر المملكة، فأطال الله عمره إلى ثلاثين سنة، فأمر الله سبحانه النبي أن يبلغ

الملِك بأن الله مدّ في عمره، فقال النبي: إلهي إنك تعلم أني ما كذبت قط، فأخبره الله سبحانه أن الأمر بيده هو عز وجل، وأن الملك سأله أن يطيل عمره فأطاله..) الحديث.

وقولهم (لولا آية في كتاب الله لأخبرناكم..) يدل على فهمهم لعلاقة هذه الآية الشريفة بالمستقبل، وإنما القصور في أفهام الناس أن ينالوا هذا العلم المتحرك العجيب، وقد قال الإمام الصادق (عليه السلام) لأبي بصير: (إن عندنا علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، فقال أبو بصير: إن هذا لَهُوَ العلم! فقال (عليه السلام): هذا ليس بعلم أو قال: هذا ليس بشيء، فقال أبو بصير: فما هو العلم؟ قال (عليه السلام): العلم ما يتجدد في الليل والنهار).

ومنها: أن الأزليين على فرض ذلك الحكيم الذي تصور أن الأزليين لا بداء في ساحتهم سيكون العالم ثابتاً في نظرهم، والثبات في أي أفق كان مصداق لقول اليهود أن الله سبحانه قد فرغ من الأمر فلا يضيف ولا ينقص، وقال مثلهم بعض المعتزلة كالنظّام من أن العالم خرج من الله سبحانه دفعة واحدة وإنما يظهر لنا بالزمان دفعة دفعة، وأنكر عليهم الحق سبحانه بأن يداه مبسوطتان ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾(المائدة:٦٤) والآية مطلقة أي أن الله ينفق كيف يشاء في جميع الآفاق ولا يستثنى من هم فوق الزمان بل من هم فوق جميع الأبعاد منه.

ووفق هذا العرض المختصر لمعنى البداء وأهميته يتضح أنه من غير الممكن التنبؤ بزمان الظهور لأنه متوقف بصورة رئيسية –كما قدمنا– على

استعدادات القلوب وتوجّهات النفوس، ولا يحيط بذلك الصعيد إلا الله سبحانه فلا يمكن لأحد التنبؤ باستحقاقات النفوس وإمكانية تغيرها المتوقف على علاقتها بالولاية وأم الكتاب، كما لا يمكن الاطلاع على زمان الظهور، فإن النفس قد تمرّ بحالات من التجرد تطّلع فيها على المستقبل وذلك المشهد المستقبلي الذي اطلعت عليه النفس المتجردة قد يكون فيه حادث الظهور وانتصار الإمام المهدي (عليه السلام) وفتحه للعالم، ولكنه ليس من الاطلاع الكامل لعدة أسباب:

الأول: لوجود منازل من التجرد فوق التجرد الزماني تشاهد النفس فيها أن الظهور متحقق في كل زمان اليوم وغداً وبعد غد. وإنما الحالة الأولى التي رؤي فيها خيط من الزمان المستقبلي تمثل نقطة من عالم عريض جداً قد يشاهده بعض السالكين المبتدئين في حالات متقطعة من التجرد.

الثاني: إن الكون بنفسه متغير حتى فوق أفق الزمان، ولا ثبات إلا في أمّ الكتاب، ومعنى ذلك أن هناك أبعاداً من هذا العالم فيها جميع الاحتمالات، فعالمٌ قد تحقق فيه الظهور مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) أو بعده مباشرة، وعالم تحقق فيه الظهور سنة السبعين، وعالم تحقق فيه الظهور في جميع الموارد التي اقتربت منه استعدادات النفوس وتوقف على خيارات حاسمة فشلت النفوس في هذا العالم عن تنجزها ولكن كانت هناك صورة للوضع فيما لو اختارت نوايا المقصرين الخيار الصحيح وتوجهت النفس فيه نحو الخيار المناسب للظهور ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾(الطلاق:١٢).

ويساعد العلم الحديث على هذا التصور العجيب في نظرياته مثل نظرية الأكوان المتوازية أو العوالم المتعددة التي تحتمل أننا في كل لحظة خيار نخلق عوالم بعدد أطراف الخيارات، وقد حصل لبعض علماء الفيزياء مشاهدات رأى فيها أن العالم بأجمعه محكوم للنازية حيث انتصر هتلر في الحرب العالمية الثانية وعمم سلطته على الأرض.

وهذه النظرية مقبولة وفق ميكانيك الكم والنظريات المعمقة في العالم دون الذري.

فالنفس قد تطّلع على جانب من الكون المستقبلي يتعلق باستعدادها يوم الاطلاع وقد يتحقق لو استمرت بالاستقامة، ولكن المسار قد يتغير نحو صيغة مخالفة للعالم حين تغير النفوس توجهها لأن الله سبحانه يغير العالم وفق ما تكسبه كل نفس ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾(الرعد:٣٣). تماماً كما يمكنك أن تتنبأ بمسار القطار إذا استمر على سكة معينة ولكنك قد تغير مصيره باختيار سكة أخرى.

فلا سبيل إذن للاطلاع على زمان الظهور برؤيا منامية أو تنبؤ أو تجرد أو أي علم يقوم على قوانين فيزيائية أو اجتماعية أو فلكية كعلم الحروف وغيره.

أما ما نقوله من استعدادات للظهور وتحقيق لشرائطه، فإنما نريد بذلك الآثار النفسية للعمل والجهاد، فإن كل ذلك إنما هي تعابير عن الجهاد الأكبر، وقد ورد عن الأئمة (عليهم السلام) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَـكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾(البقرة : ٢٥١) قولهم: (إن الله يدفع بمن يصلي عمن لا يصلي وبمن يصوم عمن لا يصوم) أي أن مصداق الدفع المذكور في الآية

الشريفة هو الدفع النفسي وأن المؤمن المجاهد إنما يدفع العذاب عن أهل الأرض بتوجهه النفسي وطاعته في مقابل ما يفسده شر الأشرار، فالجهاد الحقيقي هو بين النفوس تماماً كما يدفع الله سبحانه شرّ من لا يصلي بخير من يصلي، والله سبحانه غني قوي لا يحتاج إلى البشر ولكن تلك الطاعات المتأتية من الجهاد إنما هي إصلاح لعالم النفوس الذي يحكم هذا العالم، وللنفس الواحدة الشاملة للجميع.

فالاستعدادات التي يهيئها المؤمنون للظهور إنما هي مُربيّات للنفوس ومناهج للإصلاح، ولا قيمة لأي استعداد مادي يخلو من الجانب النفسي والإخلاص والنية الصالحة. فلا يمكن الجزم إذن بميقات الظهور بالنظر إلى القوى المادية، كما لا يمكن التنبؤ به وفق أي علم روحي، فيبقى موعد الظهور إذن في طيات الغيب قريباً وبعيداً في آن واحد..

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللّهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾(الأعراف:١٨٧).

الخطوة الخامسة عشرة:

الإمام المهدي (عليه السلام) يمثل غاية جميع التوجهات البشرية

روي عن ابن السكيت أنه سأل الإمام الرضا (عليه السلام) فقال: (لماذا بعث الله عزّ وجلّ موسى بن عمران (عليه السلام) بالعصا ويده البيضاء وبعث عيسى (عليه السلام) بالطب وبعث محمداً (صلى الله عليه وآله) بالكلام والخطب؟

فقال له أبو الحسن (عليه السلام): إنّ الله تبارك وتعالى لما بعث موسى (عليه السلام) كان الأغلب على أهل عصره السحر فأتاهم من عند الله عز وجلّ بما لم يكن في وسع القوم مثله، وبما أبطل به سحرهم وأثبت به الحجة عليهم.

وإنّ الله تبارك وتعالى بعث عيسى (عليه السلام) في وقت ظهرت فيه الزمانات (الأمراض المزمنة اللازمة) واحتاج الناس إلى الطب فأتاهم من عند الله عزّ وجل بما لم يكن عندهم مثله وبما أحيا لهم الموتى وأبرأ لهم الأكمه والأبرص بإذن الله وأثبت به الحجة عليهم.

وإنّ الله بعث محمداً (صلى الله عليه وآله) في وقت كان الأغلب على أهل عصره الخطب والكلام، (وأظنه قال: والشعر)، فأتاهم من كتاب الله عز وجلّ ومواعظه وأحكامه ما أبطل به قولهم وأثبت به الحجة عليهم، فقال ابن السكيت: تالله ما رأيت مثلك اليوم قطّ، فما الحجة على الخلق اليوم؟ فقال (عليه السلام): العقل يعرف به الصادق على الله

فيصدّقه والكاذب على الله فيكذّبه، فقال ابن السكيت هذا والله الجواب).

لم يكن السحر في زمان موسى (عليه السلام) مجرد أعمال عجيبة يقوم بها السحرة، وإنما كان نظرية للحياة والكون وطريقة للحكم والبناء الحضاري، كما يظهر مما ذكره تعالى في قول السحرة: ﴿قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾(طه:٦٣) فكانت معجزة موسى (عليه السلام) تحدّياً لأساس حياتهم الضالة المقام على هذه الصنعة المنحرفة.

وكان تعلق الناس في زمان عيسى (عليه السلام) بالأطباء وأن بأيديهم الشفاء، وأن أسباب المرض والعافية إنما هي مادية يمكن معرفتها والإحاطة بها دون التعلق بأمرٍ غيبي، وأن هذا العلم سيعالج أسباب الموت ويهب الحياة، فأتاهم عيسى (عليه السلام) بما نبههم إلى عجزهم عنه، من حيث أنه أبرأ بشكل مثالي أمراضاً لم يكن بإمكان الأطباء علاجها كشفاء الأبرص والأكمه وإحياء الموتى، وكذلك كان الأمر بالنسبة لنبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد كانت البلاغة والشعر والخطب هي حَسَب العربيّ وفخره، وكان للشعراء مكانة مهمة في تغيير الرأي العام وبرفع الخسيس ووضع الرفيع، وكانت البلاغة صناعة العرب التي لا نظير لها.

ولا يعني هذا أن موسى وعيسى ونبينا (صلوات الله عليهم وعلى آل نبينا أجمعين) لم يكن لديهم معجزات غير هذه، بل كانت هذه هي المعجزات التي أريد بها الاعتراض على الشيء الرئيسي الخاطئ لثقافة المجتمع لتصحيح مسار المعرفة البشرية والعودة بها إلى الله سبحانه.

أما في زمان الإمام المهدي (عليه السلام) فما الذي ستكون معجزته؟

إننا نرى أن الإمام المهدي (عليه السلام) سيكون غاية جميع العلوم والغايات البشرية جميعاً:

فمن يبحث عن التكامل والدين الحقيقي والوصول إلى الله سبحانه سيجد في الإمام المهدي (عليه السلام) الطريق المستقيم المباشر إلى الله سبحانه، ففي الندبة (أين وجه الله الذي إليه يتوجه الأولياء، أين السبب المتصل بين الأرض والسماء).

ومن يبحث عن العدل الاجتماعي سيرى في فترات يسيرة كيف يكون العدل وضمان الحقوق بشكل لم يُتح لمن قبله، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (فيريكم كيف عدل السيرة ويحيي ميت الكتاب والسنّة).

ومن يبحث عن الشفاء من الأمراض سيجد في الإمام المهدي البلسم الشافي لكل مرض وفي علومه الدواء لكل داء، وفي الرواية أنه ستزول الأمراض وتذهب الزمانات ويشفى كل ذي عاهة.

ومن أراد اكتشاف العلوم ومعرفة الكون فسيجد لدى الإمام المهدي قانوناً لكل شيء وتفسيراً لكل غريب وسيفتح له سبعة وعشرين حرفاً من العلوم التي لم يُفتح من حروفها أكثر من اثنين.

ومن أراد العمر الطويل والشباب الدائم، سيجد تحققه في الإمام المهدي (عليه السلام).

ومن أراد القوة الجسدية فسيجد في الإمام المهدي النموذج الأكمل حيث ورد في الحديث الشريف أنه (عليه السلام) لو أراد قلع شجرة لاقتلعها بيده.

ومن يفكر بالانتقال عبر المكان والزمان، فسيجد في الإمام المهدي (عليه السلام) نموذجاً فريداً في تحقيق ذلك بما معروف عنه من طي المكان واختراق العوالم.

ومن أراد الجمال فإن وجهه (عجل الله فرجه) أجمل خلق الله تعالى.

وستجد البشرية كل ما تطمح إليه متجسداً في الإمام المهدي عجل الله فرجه، ولعل هذا من معنى خطبته يوم الظهور المبارك: (أيها الناس.. من يحاجّنا في الله فأنا أولى بالله، ومن يحاجّنا في آدم فأنا أولى الناس بآدم، ومن حاجّنا في نوح فأنا أولى الناس بنوح، ومن حاجنا في إبراهيم فأنا أولى الناس بإبراهيم، ومن حاجّنا بمحمّد فأنا أولى الناس بمحمّد (صلى الله عليه وآله)، ومن حاجنا في النبيين فأنا أولى الناس بالنبيين، ومن حاجنا في كتاب الله فنحن أولى الناس بكتاب الله..).

أما العقلاء فستكفيهم الحجج العقلية، وأنعم بالعقل معجزة دالة وآية لا يضل من استهداه ولا يغش من استشاره.

الخطوة السادسة عشرة:

التربية الممنهجة لتهيئة العدد الكافي من الأنصار

من الممكن أن يصل الفرد إلى مستوى يستحق فيه أن يكون من أنصار الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف)، ولكن لا يتحقق الظهور العام لأنه يحتاج إلى عدد معتدّ به من الأنصار، وفي الرواية أن جنود الإمام المهدي الأوائل الذين يعلن ظهوره بهم هم (٣١٣).

كما نصّت الروايات أنه (عليه السلام) لا يخرج من مكة بأقل من عشرة آلاف أو باثني عشر ألفاً من الجنود، ووجه الجمع بين العددين أن الـ(٣١٣) رجلاً هم القادة المخلصون بينما العشرة آلاف هم سائر جيشه، وسيوزع (عليه السلام) قادته بعد الفتح على دول العالم ليحكموها تحت ظل دولته المباركة.

كما أن جيشه (عليه السلام) لن يقتصر على الاثني عشر ألفاً بل سيجتمع إليه جميع المؤمنين حين وصوله إلى العراق.

ولا يمكن حمل عدد الـ(٣١٣) على موعد الظهور سنة السبعين أو المائة وأربعين والعشرة آلاف على موعد متأخر يحتاج إلى هذا العدد؛ لأن من الروايات ما صدر بعد هذين التأريخين، فعن جابر الجعفي عن الإمام الباقر (عليه السلام): (فيجمع الله له أصحابه ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً، فيجمعهم الله له على غير ميعاد قَزَعٌ كقزع الخريف، وهي يا جابر الآية التي ذكرها الله ﴿أينما تكونوا يأتِ بكم الله جميعاً إن الله على كل شيء قدير﴾، فيبايعونه بين الركن و المقام ومعه عهد من رسول الله صلى الله عليه وآله قد توارثه الأنبياء..).

وعن عبد العظيم الحسني قال: قلت لمحمد بن علي بن موسى (الجواد (عليه السلام)): إني لأرجو أن تكون القائم من أهل بيت محمد الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً فقال: يا أبا القاسم ما منّا إلا قائم بأمر الله وهادٍ إلى دين الله ولست القائم الذي يطهّر الله به الأرض من أهل الكفر والجحود ويملأها عدلاً وقسطاً هو الذي يخفى على الناس ولادته، ويغيب عنهم شخصه ويحرم عليهم تسميته، وهو سمي رسول الله وكنيّه وهو الذي يطوى له الأرض ويذل له كل صعب يجتمع إليه من أصحابه عدد أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من أقاصي الأرض وذلك قول الله عز وجل: ﴿أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً..﴾) الرواية.

فيمكن أن نقول أن هذا العدد من الأنصار المتمثل بالثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً والجيش العام المكون من عشرة آلاف رجل، والقاعدة العامة التي ستجتمع إليه يوم وروده إلى العراق هو الشيء الذي ينتظره ظهور الإمام (عليه السلام) المعبّر عن استحقاق أهل الأرض للرحمة الموعودة وقيام دولة العدل والقسط.

وقد تحدثنا فيما سبق عن نقاط العجز العامة وقلنا أن منها ما يتعلق بأمور معنوية وملكات نفسية، والآن نتحدث عن تربية عددية يمكن حساب تقدمها والإعداد لإنتاج العدد المطلوب من الناضجين، ونعني بها أن المجتمع أو قادة المجتمع من الممكن أن يمارسوا مهمة تربية المؤمنين لبلوغ هذا العدد أو على الأقل بلوغ الـ(٣١٣) ناصراً، ثم إن هؤلاء لا بد أن يكون لكل منهم قاعدة شعبية فإذا تصورنا أنهم سيتولون تربية أربعين رجلاً يكون الناتج (٣١٣ × ٤٠= ١٢٥٢٠ رجلاً).

والتربية الممنهجة شيء ضروري لأن قادة الإصلاح في المجتمع قد يربّون شخصاً أو شخصين أو أكثر عادةً ولكنهم لا يراقبون العدد ولا ينظرون إلى الكم المتوقف عليه الظهور.

فلو تصورنا أن رجلاً فاضلاً قام بتربية خمسة من تلاميذه لمدة سنة واحدة تربية مكثفة، ثم أوكل لكل من الخمسة تربية خمسة من التلاميذ بعد تلك السنة، فسيكون لدينا من الدفعة الأولى بعد ثلاث سنين (٥×٥×٥+٥+١=١٣١) فإذا كان الشخص الأول قد تولى تربية خمسة آخرين في السنة الثانية ثم أوكل إليهم تربية خمسة آخرين فسيكون لدينا ضعف العدد في السنة الرابعة، فإذا كرر ذلك مرة ثالثة فسيكون لدينا في غضون ست سنين عدد كبير من التلامذة المتربين تربية مكثفة، فإذا تولى عدد منهم تربية غيرهم بهذا الشكل الممنهج فسيكون لدينا تنظيم واعي في فترة ضئيلة جداً بالنسبة لتأريخ الأمة الإسلامية.

وإذا أردنا أن ندرك نتائج التربية الممنهجة المحسوبة فسنذكر طريقة الإمام زين العابدين (عليه السلام) إذ كان يأخذ عدداً من العبيد كل سنة ويسكنهم في بيته بعد تربية دينية على يديه الكريمتين ثم يعطيهم من الأموال ما يرفع عنهم قيود العجز المالي ويعتقهم، ليرجعوا إلى قومهم فقهاء ميسوري الحال، فقد أنتجت هذه الطريقة أن يأتي أشخاص للإمام زين العابدين (عليه السلام) في حياته ليخبروه أن له في خراسان مائة ألف سيف، بعد أن كانت الأمة عاجزة عن إمداد الإمام الحسين (عليه السلام) بأكثر من مائة مقاتل.

فإذا تصورنا أن عدداً من الفضلاء أو قادة الدين سيكرّس نفسه لتربية عدد من المخلصين فربما أنتجوا النتيجة المرجوة في سنة واحدة.

كذلك يمكننا أن نفترض أن عدداً من المتدينين سيربّون أولادهم على الدين في هذه الظروف التي قلّت فيها موانع التوعية السلطوية وتوفرت فيها المصادر العلمية وقلت القيود على العبادات العامة، لو تصورنا أن عدداً من المتدينين سيربّون أولادهم على الإسلام والدين الحقيقي ويوفرون لهم التربية الصالحة المكثفة ويضعون نصب أعينهم أن يكون أولادهم أنصاراً للإمام المهدي (عليه السلام) فسيكون من الممكن إنتاج العدد المطلوب مع بلوغ أولئك الأولاد سن الشباب وتوفر قابليات قيادية وإيمانية وعلمية وفقهية لديهم بما يناسب الدور الذي سيمارسه جنود القائم (عليه السلام) يوم الظهور.

كما يمكن أن يؤسس المؤمنون روابط ومؤسسات اجتماعية فيما بينهم لمتابعة أعداد أولادهم والمناهج التربوية المناسبة لهذه الغاية وتشجيع بعضهم البعض لتحقيق هذه الغاية.

وإتماماً للحديث في هذه الخطوة سنذكر بعض الخصائص التي نصّت عليها الروايات الشريفة لجنود الإمام المهدي (عليه السلام).

ففي الاختصاص عن أبي بصير قال: (كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) وعنده رجل من أهل خراسان.. فسمعت أبا عبد الله يقول: اركض برجلك الأرض (أي ارفسها) فإذا بحر تلك الأرض على حافتيها فرسان قد وضعوا رقابهم على قرابيس سروجهم، فقال أبو عبد الله (عليه السلام) هؤلاء أصحاب القائم (عليه السلام)).

وكأنما كان (عليه السلام) يريد أن يري الخراساني أو أبا بصير صفات جنود القائم (عليه السلام) فأظهر لهما صورتهم. أما كونهم في تلك الحال من الركوب على السروج فيمكن أن نفهم منه كمال الاستعداد

إذ لا يغادرون سروج خيولهم حتى أصبح السرج مرتبطاً بهوية أحدهم وصورته الملكوتية، وفي هذا المعنى رواية مفادها أن رجلاً من أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) تمنى تعجيل الفرج وكأنما شعر الإمام منه أنه يريد ذلك لزوال الجهد والشدة والصعوبات فقال له (عليه السلام): (وما الذي تمدون إليه أعناقهم؟! وهل هو إلا أكل الجشب ولبس الخشن والنوم على السرج؟!) أي أن جنود القائم سيستمرون بالعمل والقتال بين يديه أو للإعداد لظهوره بدون راحة حتى ينام كل منهم على سرج فرسه ليأخذ شيئاً من النوم مع استعداده لأي طارئ، مما يشير إلى كمال صبرهم وحماستهم فلا يملّون ولا يكلّون من القتال.

وربما أريد بكون رقابهم على قرابيس السروج وهي الحافة المرتفعة من السرج التي تكون قريبة من عنق الفرس، ربما يكون المراد كمال التواضع، فهم يفتحون العالم بأجمعه ولكنهم متواضعون كما كان رأس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) منحنياً ملامساً لظهر ناقته يوم فتح مكة، أو ربما كان تواضعهم أمام إمامهم (سلام الله عليه).

وفي مستدرك الصحيحين عن محمد بن الحنفية عن أمير المؤمنين (عليه السلام) (فسأله رجل عن المهدي فقال علي: هيهات.. ذلك يخرج في آخر الزمان.. فيجمع الله له قوماً قزع كقزع السحاب، يؤلف الله بين قلوبهم، لا يستوحشون إلى أحد ولا يفرحون بأحد يدخل فيهم، على عدة أصحاب بدر، لم يسبقهم الأولون ولا يدركهم الآخرون، وعلى عدد أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر..).

ومعنى قوله (عليه السلام): (قزع كقزع السحاب) القزعة هي القطعة، وورد توصيفهم كقزع الخريف في غيرها من الأحاديث، تشبيهاً بسحاب الخريف حين يجتمع بعد تفرق، وكأنما هم متفرقون في المجتمع الاثنين والثلاثة والأربعة ثم يجتمعون على غير ميعاد يوم الظهور ليؤلفوا العدد المطلوب، وربما كان تفرقهم يوم ورودهم إلى مكة ليلة الظهور متخفين لئلا يلفتوا أنظار الأعداء ...

وقوله (عليه السلام): (يؤلف الله بين قلوبهم) طبيعي لأن أولئك العظماء هممهم عالية فلا يتخالفون على أمور دنيوية، وهدفهم واحد يكون مدعاة لتأليف القلوب والاعتصام بحبل الله.

وقوله (عليه السلام): (لا يستوحشون إلى أحد ولا يفرحون بأحد يدخل فيهم) ربما أراد به أنهم لا يعتمدون على كثرة العدد وقلّته لشجاعتهم وقوة قلوبهم التي ورد وصفها في روايات أخر (كأن قلوبهم زُبَر الحديد إذا ساروا على الجبال تدكدكت) وزبر الحديد هي الصخور المتضمنة لعنصر الحديد فتكون قوية جداً.

وربما كان القصد بـ(لا يستوحشون إلى أحد) أن من يموت منهم لا ينشغلون بالاستيحاش لفقده لانشغالهم بنصرة إمامهم عن عواطفهم الدنيوية وعلوّ همتهم عن الدنيا فلا يفتقدون من يموت من أصحابهم، وتساعد على هذا رواية أخرى مفادها (لا يستوحشون لفقد أحد مات منهم).

وقوله (عليه السلام): (على عِدّة أصحاب بدر) ربما أراد به أنهم سيقاتلون أعداءهم وهم قلة لأن أهل بدر كانوا (٣١٣) رجلاً أمام جيش يفوقهم عدداً وعدة، والأظهر أنها تشير إلى أن عددهم فعلاً هو هذا.

وقوله (عليه السلام): (لم يسبقهم الأولون ولا يدركهم الآخرون) ربما أراد به تفضيلهم على أهل بدر وعلى جميع المقاتلين قبلهم وعلى من يأتي بعدهم؛ لأنهم بطبيعة الحال زبدة التمحيص الطويل وعصارة النجاح في الابتلاءات العسيرة قبيل الظهور ومؤسسو دولة العدل مع الإمام (عليه السلام).

وقوله (عليه السلام): (وعلى عدد أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر..) ربما أراد به أنهم سيجتازون بلاءً مثل بلاء جنود طالوت من حيث قلة العدد أمام عدو متفوق أو من حيث شدة العطش والاختبار قال تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ﴾(البقرة:٢٤٩) وكان الذين آمنوا ولم يشربوا من النهر أو شربوا غرفة واحدة فقط هم (٣١٣) فقط، ومنهم من كان في قمة الإيمان والتوكل ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ، وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ، فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ..﴾(البقرة: ٢٤٩-٢٥١).

وفي الرواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) في صدد الآية السابقة أن جنود القائم سيبتلون بمثل ابتلاء جنود طالوت.

وفي بصائر الدرجات عن أبي بصير عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم وعنده جماعة من

أصحابه: اللهم لَقِّني إخواني، مرتين، فقال من حوله من أصحابه: أمَا نحن إخوانك يا رسول الله؟ فقال: لا، إنكم أصحابي وإخواني قوم في آخر الزمان آمنوا ولم يروني، .. لأحَدُهم أشدّ بقية (أي إبقاء) على دينه من خرط القتاد في الليلة الظلماء، أو كالقابض على جمر الغضا، أولئك مصابيح الدجى، ينجيهم الله من كل فتنة غبراء مظلمة) والرواية وإن كان ظاهرها عاماً لجميع المؤمنين في عصر الغيبة إلا أن الأولى بها وفق ما تقدم أنصار القائم (عليه السلام).

والقتاد هو الشوك، وخرط القتاد مثال للعمل الشاق العسير تشبيهاً له لمن يخرط الشوك بيده في الليلة الظلماء.

وفي كمال الدين عن المفضل بن عمر قال: (قال أبو عبد الله (عليه السلام): لقد نزلت هذه الآية في المفتَقَدين من أصحاب القائم (عليه السلام)، قوله عز وجل: ﴿فَاستَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعاً﴾، إنهم يُفتَقدُون عن فرشهم ليلاً فيصبحون بمكة، وبعضهم يسير في السحاب، يُعرَف باسمه واسم أبيه وحليته ونسبه، قال المفضل: قلت: جعلتُ فداك أيهم أعظم إيماناً؟ قال: الذي يسير في السحاب نهاراً).

والمعنى أن أهل أنصار القائم يصبحون فيجدون فراشهم خالياً منهم؛ لأنهم كانوا قد ذهبوا سرّاً لنصرة القائم يوم ظهوره، وسييسّر الله لهم سبل الوصول ويأتي بهم من أطراف الأرض.

وقوله (عليه السلام): (بعضهم يسير في السحاب) احتمل السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) أن المراد به أنهم يركبون الطائرات فيكون من الطبيعي للمطارات أن تتأكد من أسمائهم كاملة في جوازات

السفر وتأشيرات الدخول، وهو مفهوم قوله (عليه السلام): (يُعرَف باسمه واسم أبيه وحليته ونسبه).

كما يمكن أن نفهم أن السير في السحاب طريقة إعجازية أو قدرة عجيبة أو علوم خاصة يتمتع بها هؤلاء نتيجة عظمة إيمانهم، ولا غرابة لأن الله سبحانه إذا أراد الإتيان بأحد تسببت الأسباب وذلّ السحاب، وربما كان هذا الأمر هو محل سؤال المفضل بن عمر، ويذكر صاحب الفتوحات المدنية أنه قد رُفع أربعين ميلاً في الجوّ ورأى تصريف الرياح وغيرها.

وعن النعماني عن هارون العجلي عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أن قوله تعالى ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـؤُلاء فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ﴾(الأنعام:٨٩) وقوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ﴾ في أصحاب القائم.

وفي الخبر المتقدم عن عبد العظيم الحسني عن الإمام الجواد (عليه السلام): (فإذا اجتمعت له هذه العدة من أهل الإخلاص أظهر الله أمره، فإذا كمل له العقد وهو عشرة لآلف رجل خرج بإذن الله عز وجل..).

وأصحاب القائم (عليه السلام) هم الذين يهدد الله بهم الكافرين والجاحدين والمقصرين والمرتدين في كل زمان، كما ورد أنهم هم المقصودون بقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلاَ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾(هود:٨).

وهم الركن الشديد كما ورد في تفسير تمني نبي الله لوط لوجودهم ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾(هود:٨٠) قال الإمام الصادق (عليه السلام): (القوة: قوة القائم، و الركن الشديد: الثلاثمائة وثلاثة عشر أصحابه..) (وإن الرجل منهم ليعطى قوة أربعين رجلاً، وإن قلبه لأشد من زبر الحديد، ولو مروا بجبال الحديد لقلعوها، ولا يكفّون سيوفهم حتى يرضى الله عز وجل).

وعن جابر عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (كأني أنظر إلى القائم (عليه السلام) وأصحابه في نجف الكوفة كأن على رؤوسهم الطير (من الخشوع إو الاحترام لإمامهم فلا يتحركون)، فنيت أزوادهم وخلِقت ثيابهم متنكّبين قسيهم قد أثّر السجود بجباههم، ليوث بالنهار ورهبان بالليل، كأن قلوبهم زبر الحديد..).

وفي رواية عن جابر عن الإمام الباقر (عليه السلام) أن فيهم خمسون امرأة، ورواية أخرى تذكر أن فيهم نساءً.

والتعبير بالرجل إنما هو بحسب الغالب أو يراد به الشخص.

وعن النعماني عن الإمام الصادق (عليه السلام) (أنه دخل عليه بعض أصحابه فقال: .. يا سيدي ما أكثر شيعتكم! فقال له: اذكرهم، فقال: كثير، فقال: تحصيهم؟ فقال: هم أكثر من ذلك، فقال أبو عبد الله (عليه السلام): أما لو كملت العدة الموصوفة ثلاثمائة وبضعة عشر كان الذي تريدون، ولكن شيعتنا من لا يعدو صوته سمعه ولا شحناؤه بدنه ولا يمدح بنا معلناً، ولا يخاصم بنا قالياً، ولا يجالس لنا عايباً ولا يحدث لنا ثالباً، ولا يحب لنا مبغضاً، ولا يبغض لنا محباً..) الرواية.

وقوله (عليه السلام): (ولكن شيعتنا من لا يعدو صوته سمعه) أي لا يرفع صوته عالياً وكأنما يتحدث مع نفسه وصف مجازي لتأدبهم أو بمعنى أنهم يتحدثون مع أنفسهم ومهتمون بها بالدرجة الأولى. (ولا شحناؤه بدنه) أي لا يتخاصم إلا مع أهوائه ولا يجهد إلا بدنه، (ولا يمدح بنا معلناً) ربما أراد به أن لا يمدح أهل البيت ويذكر فضائلهم على العلن لأنهم سيكونون في زمان تقية شديدة، أو ربما قصد أنهم لا يمدحون الأئمة للإعلان عن أنفسهم رياءً وإعلاناً، (ولا يخاصم بنا قالياً) أي لا يخاصم الناس باسم أهل البيت (عليهم السلام) وهو في الحقيقة يخاصمهم لأهوائه الشخصية وعداوته معهم، (ولا يجالس لنا عايباً ولا يحدث لنا ثالباً) أي أن الشيعة الحقيقيين يقاطعون من يعيب أهل البيت وينصب لهم وينتقص منهم (عليهم السلام)، (ولا يحب لنا مبغضاً، ولا يبغض لنا محباً) أي ستكون موالاتهم ومعاداتهم تبعاً لموقف الناس من الولاية.

وكأنما أراد الرجل أن ينبّه الإمام (عليه السلام) إلى كثرة أنصاره وأن الفتح ممكن وقريب، فأجابه الإمام (سلام الله عليه) بأن الأهم هو النوع لا العدد.

وهم العباد الصالحون فعن الإمام الباقر (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾(الأنبياء:١٠٥) قال (عليه السلام): (القائم وأصحابه).

وفي روايات أخرى أنهم خير فوارس على وجه الأرض يومئذٍ وأنهم قومٌ عرفوا الله حقّ معرفته، وأنهم سيكونون هم الفقهاء والقضاة والحكام في دولة الإمام المهدي (عليه السلام).

الخطوة السابعة عشرة:

عبادات مرتبطة بالإمام المهدي (عليه السلام)

تحدثنا فيما سبق عن علاقة الإمامة بالأحكام الفقهية، واستفدنا منها أن جميع العبادات مرتبطة بالإمامة بنحو وآخر، يكفي أن نعرف أن العقل من نور الإمام، وأن الخطاب التكليفي إنما هو لعقول الناس ولتكميل عقولهم كما في حديث العقل: (لما خلق الله العقل قال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر، فقال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحب إليَّ منك، ألا وإني إياك أخاطب وإياك أثيب.. ولا أكملتك إلا عند من أحب)، فالعبادات جميعاً مرتبطة بالإمامة بهذا الشكل أي لأن العقل من نور أهل البيت (عليهم السلام).

وهي جميعاً تربّي المؤمنين وتزيد تكاملهم وإيمانهم ليبلغوا في يومٍ ما استحقاق الظهور المقدس.

ولكننا نريد في هذه الخطوة اختيار العبادات التي ورد النصّ من الأئمة (عليه السلام) على ارتباطها بالإمام المهدي (عليه السلام) بعلاقة خاصة، وسنستعرض ذلك فيما يلي إن شاء الله تعالى.

زيارة الإمام الحسين (عليه السلام):

وأوضح مؤشرٍ لارتباطها بالإمام المهدي (عليه السلام) هو اختيار استحباب زيارة الإمام الحسين ليلة النصف من شعبان التي هي كما هو معلوم ليلة ولادة الإمام المهدي (عجل الله فرجه)، فإن هذه الليلة وإن

كانت مباركة من قبل كما نصَّ الأئمة (عليهم السلام) الأوائل على أهميتها بل والأنبياء السابقون أيضاً، وأنها لأهل البيت (سلام الله عليهم) في قبال ليلة القدر، ومع أننا نحتمل أن التوجيه لزيارة كربلاء في تلك الليلة المباركة سبق ولادة الإمام المهدي (عليه السلام)، إلا أن هذا لا يضرّ بملاحظة الاقتران؛ للاحتمال المؤكد أن أهل البيت (عليهم السلام) كانوا على علم مسبق بهذا التزامن، أو أن علم الله جعل التوافق بين المناسبتين وفي كل شيء لله سبحانه غاية تربوية لعباده، كما أننا نعلم أن الزمان بنفسه عَرَض ليس له أصالة، وأن الزمان تجلي من تجليات أسماء الله سبحانه وقد اشتق من أنوارهم (سلام الله عليهم)، فلا يبعد أن يكون اختيار ليلة النصف من شعبان للعلم الإلهي المسبق بأنها الليلة التي سيولد فيها قائم آل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين)، ولعل لليلة النصف لطف من الله تعالى بخلاصة أوليائه (عليهم السلام) أولهم وآخرهم، كما هو في ليلة القدر التي نزل فيها القرآن وهم عدل القرآن الذي لا يفترق عنه.

بقي علينا أن نعرف ما هي الرسالة أو الحكمة التي أُريد لنا أن نعرفها حين نتوجه إلى كربلاء في مناسبة ليلة مولد الإمام المنتظر (عليه السلام)؟

الاحتمال الأول: أن الإمام المهدي (عليه السلام) أراد لنا أن نشعر بالمأساة الحقيقية لأهل البيت (عليهم السلام) وللإسلام، ولا شك أن أكبر تجلٍ للمأساة جرى عليهم في كربلاء يوم الطف، فإذا عرفنا المأساة الحقيقية تحرَّكنا لعلاجها لأنها قابلة للتكرار، بل تكرَّرَ نموذج منها مع كل إمام، ولو خرج المهدي (عليه السلام) اليوم لعامله الطواغيت بكل قسوة يحتاجونها للقضاء عليه، بل لا زلنا نرى منهم أمثال ما فعله سلفهم في كربلاء، كما لا

زلنا نشاهد تقاعس المسلمين عن نصرة الحق وخذلانهم لأولياء أمورهم ولدينهم ولشريعتهم يومياً.

الاحتمال الثاني: أن مأساة كربلاء تجعل في القلوب عزيمة وترفع همم المؤمنين عن التعلق بالدنيا وتنفع كثيراً في تكاملهم، ولعل فيها من الثواب ما لا نعلمه، فإن في كل بقعة من كربلاء عبرة ونور لأنها مسرح لملحمة إلهية مليئة بالموعظة حتى ورد التعبير أن كربلاء قطعة من الجنة.

الاحتمال الثالث: إن تذكّر مصيبة الإمام الحسين (عليه السلام) يثير الحزن والبكاء، و(ما عُبِدَ الله تعالى بمثل طول الحزن) و(ما أدرك العابدون درك البكاء وإني لأبني لهم بالرفيق الأعلى بيتاً لا يشركهم فيه أحد) كما في الحديث الشريف، فالحزن يهذب من نزق الإنسان وطيشه ويحرق أهواءه ويخمد نار الشهوات، والبكاء يرقق القلب ويجلو رين الذنوب، والإنسان حين يبكي يعود لإنسانيته التي تستحق الخطاب الإلهي.

الاحتمال الرابع: إن الإمام الحسين (عليه السلام) شهيد الحب الإلهي، فقد أثبت لجميع الخلائق أن الإنسان بإمكانه أن يقدم لله سبحانه كل ما يملك وأن يفنى في محبته تماماً في وقت كانت صحراء المجتمع البشري مجدبة، ولا شك أن من يطلب الثواب يتوقف طلبه عند الحصول عليه ومن خاف العقاب يتوقف فراره عند الأمن منه ولكن المحبين لا يتوقفون حتى يصلوا إلى الحبيب ويفنوا فيه ليبقوا ببقائه، (وهو الذي جعل المحبة دينَهُ، والحب فيه عبادة الأحرارِ) وفي الحديث الشريف: (إن قوماً عبدوا الله رهبةً فتلك عبادة العبيد، وإن قوماً عبدوا الله رغبةً فتلك عبادة التجار، وإن قوماً عبدوا الله حباً فتلك عبادة الأحرار وهي خير العبادة).

فإذا تحققت المحبة لدى المؤمنين ودلّهم الإمام الحسين (عليه السلام) على الحبيب وآداب الحب فسيسير بهم في أسرع طرائق التكامل وأبعدها غاية، وسيحصل جراء الزيارة دفعات من التكامل تصلح بها الكثير من أمور المؤمنين وتقرّبهم من إمامهم الغائب (عجل الله فرجه)، بل يقترب الزائرون من جوهر الإنسانية ونور الإنسان الكامل الذي اشتقت منه كل نبوّة، وفي فضل زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) ليلة النصف من شعبان ما يذهل الألباب ففي الحديث الشريف أن من زار الحسين (عليه السلام) ليلة النصف من شعبان صافحه مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي.

الاحتمال الخامس: أن هناك علاقة مؤكدة بين الإمام الحسين (عليه السلام) والإمام المهدي (عجل الله فرجه) نفهمها من الآية الشريفة من سورة الإسراء وهي قوله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً﴾(الإسراء:٣٣) فقد فسّرها الأئمة (عليهم السلام) بأن من ﴿قُتل مظلوماً﴾ هو الحسين (عليه السلام) و﴿وليه﴾ هو الإمام المهدي (عجل الله فرجه).

وإذا حلّلنا المعنى المقصود من السلطان والنصرة، وقارناها ببقية معاني السلطان في سورة الإسراء لوجدنا أن المعنى المقصود بالسلطان هو الحجة على الآخرين، فإن مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) أوضح الحق في قلوب جميع الناس فلا تجد من يطّلع على مأساته (سلام الله عليه) من شرق الأرض أو غربها إلا ويعلم أن الحق في آل محمد صلوات الله عليهم، وكذلك سيعلن الإمام المهدي مظلومية جده الحقيقية التي ظلت تعتلج في قلبه طوال القرون صباحاً ومساءً، ولا نستبعد أن يستمر الإمام المهدي

(عجل الله فرجه) بالتأكيد على قضية الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء حتى بعد ظهوره ودولته المباركة.

وإننا قد نفهم من مأساة الحسين (عليه السلام) بقدر إدراكنا فتكاد تتفطر قلوبنا وتنفجر أعيننا بالدموع والغضب على أعدائه حين نتذكر مثلاً كيف قُتل ابنا الحسن (عبد الله والقاسم) بين يدي عمّهم الحسين (عليه السلام)، أو نتذكر كيف أن صبية الحسين (عليه السلام) فزعوا في القفار - هرباً من القتل- لوحدهم لا يعرفون إلى أين يتوجهون بعد أن قتل الإمام الحسين (عليه السلام) وهجم الأعداء المتوحشون على خيامه لكي لا يبقوا من آله أحداً .. حتى وصل بعض الصبيان من كربلاء إلى الكوفة كأولاد مسلم بن عقيل ولربما مات عدد منهم أو وصل إلى حيث لم يُعلم..

ونحن لم يصلنا كل شيء إلا أنه من المؤكد أنه كان يوماً شديداً على آل محمد وعيالاتهم (صلوات الله عليهم).

إن هذه المواقف لا تجعل للمؤمنين قراراً ولا تبقي لهم فرحاً، فكيف بمن يدرك من المأساة ما لا ندركه ويعرف ما جرى يوم عاشوراء حقيقة المعرفة (أشهد أن دمك سكن في الخلد واقشعرت له أظلة العرش.. وبكت له جميع الخلائق..).

فإن نشر هذه المأساة سيبين الحق في أهل البيت (عليهم السلام) ويجذب جميع البشر الأسوياء إلى نورهم ويوقد زيت الموعظة الحسينية التي لا يخبوا توقدها في القلوب.

فالسلطان هو هذه الحجة الحقيقية الناصعة في القلوب.

أما النصرة في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً﴾ فقد يراد بها النصر بالحجة وهي أثر السلطان في القلوب؛ لأن الناس لو اقتنعوا قلبياً بالحق فسينصرونه بالفعل.

وقد يراد بالنصرة ما جرى في الأئمة (عليهم السلام) من بعد الحسين (عليه السلام) من الإمامة وطاعة الكائنات جميعاً لهم (خلا عصاة بني آدم) وتمهُّد الأسباب لإراداتهم.

كما أننا قد نشاهد فعلاً تصرفات غريبة لمن يقتل مؤمناً ظلماً تشعر المتأمل وكأن القاتل يمكّن أولياء القتيل من نفسه وكأنما تتسبب الأسباب لنصرة ولي المقتول المظلوم. وستتسبب الأسباب الكونية جميعاً –بفعل مظلومية الإمام الحسين (عليه السلام) لتمكين الإمام المهدي (عجل الله فرجه) في الأرض.

فنعلم من تطبيق الآية الشريفة سرّ العلاقة بين الإمامين العظيمين (عليهما السلام)، وورد في الأخبار أن من أول أعمال الإمام المهدي (عجل الله فرجه) حين قدومه إلى العراق أن يأتي قبر جده الحسين (عليه السلام) ويؤكد مظلوميته، وروي أن أول من تنشق الأرض عنه هو الإمام الحسين (عليه السلام) فلعله يخرج عند قدوم الإمام المهدي عليه، والله العالم. ولا يخفى أن لملحمة الطف دورها في فضح الخط الأموي المتطرف الذي يبلغ أوج تطرفه يوم الظهور متمثلاً بالسفياني.

وقد ورد ذكر المهدي (عليه السلام) والتلويح به على لسان لإمام الحسين مراراً كقوله (سلام الله عليه): (يُظهر الله قائمنا فينتقم من الظالمين...).

وقال لابنه علي: (.. يا ولدي يا علي والله لا يسكن دمي حتى يبعث الله المهدي فيقتل على دمي من المنافقين الكفرة الفسقة سبعين ألفاً).

وعنه (عليه السلام): (أما والله لا تذهب الدنيا حتى يبعث الله مني رجلاً يقتل منكم ألفاً ومع الألف ألفاً ومع الألف ألفاً ..) الحديث.

وعن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال: (لـمّا قُتل الحسين ضجّت عليه الملائكة إلى الله تعالى بالبكاء والنحيب وقالوا: إلهنا وسيدنا، أتغفل عمن قتل صفوتك وابن صفوتك، وخيرتك من خلقك؟، فأوحى الله عز وجل إليهم: قرّوا ملائكتي فوعزتي وجلالي لأنتقمنَّ منهم ولو بعد حين، ثم كشف الله عن الأئمة من ولد الحسين للملائكة، فَسُرَّت الملائكة بذلك، فإذا أحدهم قائم يصلي، فقال عز وجل: بذلك القائم أنتقم منهم).

والروايات في ذلك كثيرة، يمكننا أن نفهم العلاقة بين زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) في ليلة النصف من شعبان وبين القضية المهدوية، بل في كل زيارة ففي الخبر: أن لله ملائكة نزلوا يوم العاشر من محرم ولم يدركوا نصرة الإمام الحسين (عليه السلام) فهم عند قبره شُعثاً غبراً (تعبير عن شدة حزنهم) يسلّمون على زواره ويؤمّنون على دعائهم (أي يقولون آمين: رب استجب) ويشيّعونهم، فهم عند قبره إلى أن يُبعث القائم فيكونون من أنصاره.

كما من المفيد القول أن بعض الروايات تحدثت أن خروج الإمام (عجل الله فرجه) سيكون يوم العاشر من محرم الحرام يوم ذكرى الواقعة الأليمة.

الحج:

في الرواية أن الإمام المهدي (عجل الله فرجه) يشهد الموسم كل عام، وفي رواية أخرى (تمام الحج رؤية الإمام)، والرواية الأخيرة صدرت في عهد الإمام الصادق (عليه السلام) وفهمها المعاصرون أن على الحجاج بعد أن يكملوا مناسكهم في الحج أن يلتقوا بإمام الزمان (عليه السلام) في الموسم بمكة أو بزيارته في المدينة مع زيارة جده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ونقل السفير الثاني محمد بن عثمان (رضوان الله عليه) أنه رأى المهدي في الموسم والناس يتدافعون لتقبيل الحجر الأسود وهو (عليه السلام) يقول: (ما بهذا أُمِروا)، وما نفهمه من هذه الكلمة أن الإمام (عليه السلام) ينعى على الحجاج تزاحمهم على الحجر الأسود وغفلتهم عن معناه الذي يعني تجديد الميثاق بالولاية والمحبة لمحمد وأهل بيته (صلوات الله عليهم)، فعليهم أن يتنافسوا بالوصول إلى الإمام (عليه السلام) قبل التنافس على الحجر، وعليهم تجديد العهد الحقيقي عنده.

أو ربما قصد (عليه السلام) بهذه الكلمة أنهم يخطئون بالتدافع وإيذاء بعضهم البعض للوصول إلى الحجر؛ لأن الله لا يتقبل إلا من المتقين، فإذا دفعت مؤمناً وآذيته في سبيل تقبيل الحجر الأسود وقع عليك من الإثم ما قد يبطل أي ثواب آخر، فإن حرمة المؤمن أعظم من الكعبة كما في الحديث الشريف، كما أن نفس إيذاء المؤمن نقض للعهد وخرق للشريعة.

وخروجه (عليه السلام) سيكون من بين الركن والمقام، حيث سيقف (عجل الله فرجه) هناك يوم الظهور ويعلن أنه المهدي ويدعو

الناس لمبايعته فيبايعه جبرائيل (عليه السلام) على هيأة الطير ثم يبايعه جنوده الثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً.

والظاهر أن أصحابه رضوان الله عليهم يكونون على معرفة سابقة به (عليه السلام) قبل ذلك اليوم.

أما بيعة جبرائيل (عليه السلام) وكونه بهيئة الطير فقد تكون بصورته الكاملة حيث يغطي بجناحيه ما بين المشرق والمغرب، وجناحيه من نور، وليست هي كأجنحة الطيور بل كناية عن قدرته على العروج في السماوات، فتكون بيعته للمهدي (عليه السلام) بمعنى استعداده للعمل بين يديه لتحقيق متطلبات الفتح العالمي، وفي الرواية أن المهدي إذا ظهر كان معه جبرائيل وميكائيل، ولا شك أنهما معه على الدوام ولكن يوم الظهور سيظهر شيء مختلف إضافي.

أو ربما يتجسد جبرائيل (عليه السلام) بصورة طير اعتيادي كما تجسد كرجل لإبراهيم (عليه السلام) وزوجته سارة فبشرهم بهلاك قوم لوط وبولادة إسحاق ويعقوب (عليهما السلام).

أو ربما ستظهر صورة مثالية على هيئة طير أبيض كبير جداً يراه أنصاره والمؤمنون. والمهم أن جبرائيل (عليه السلام) في ذلك الموقف سيبين حكومة الإمام المهدي (عجل الله فرجه) بأكمل صورة.

ويشكّل موسم الحج أكبر تجمع عالمي للمؤمنين من أقطار الأرض، ويرى بعض الباحثين أنه سيكون لهذا التجمع دور في الإعلان العالمي للظهور الميمون ليعلم به جميع المسلمين بصورة مبكرة وسيتجمع الأنصار من الحجاج عاجلاً ومن غيرهم آجلاً. رغم أن الإعلان الأكبر سيكون ليلة

الثالث والعشرين من شهر رمضان بصيحة جبرائيل (عليه السلام) التي تقدم الحديث عنها، وبالخسف والكسوف والخسوف العجيبين.

ولا شك أن لضيافة الله تبارك وتعالى ولمناسك الحج دوراً في تكميل المؤمنين ورفع روح اليقين إلى أقصى الحدود وهي الشروط والمقدمات للظهور المبارك.

الصلاة:

وهي عمود الدين، ووردت في فضلها أحاديث كثيرة بمعاني كبيرة جداً، وتحدثنا سابقاً أن الصلاة هي الدالّة على سلامة الدين وانصلاح الحال، وهي باب العروج إلى الله سبحانه، فمن المؤكد أن دورها في تكميل المؤمنين إلى حين استحقاق الظهور دور رئيسي ومهم جداً.

وقد اقترنت بالولاية في جملة من الروايات، وفُسّرت بمعاني جليلة مرتبطة بأهل البيت (سلام الله عليهم)، من ذلك ما روي عن سعد الخفاف عن الإمام الباقر (عليه السلام) وقد ذكر (عليه السلام) له (أن القرآن يأتي يوم القيامة في أحسن صورة .. فيقول .. ويقول..) فقال سعد: (جُعلت فداك يا أبا جعفر وهل يتكلم القرآن؟ فتبسم (عليه السلام) ثم قال: رحم الله الضعفاء من شيعتنا إنهم أهل تسليم، ثم قال: نعم يا سعد والصلاة تتكلم ولها صورة وخلق تأمر وتنهى، قال سعد: فتغيّر لذلك لوني وقلت: هذا شيء لا أستطيع أتكلم به في الناس! فقال أبو جعفر عليه السلام: وهل الناس إلا شيعتنا؟ فمن لم يعرف بالصلاة فقد أنكر حقنا، ثم قال: يا سعد أُسمِعُك كلام القرآن؟ قال سعد: فقلت: بلى صلى الله

عليك، فقال: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ فالنهي كلام، والفحشاء والمنكر رجال، ونحن ذكر الله ونحن أكبر).

وترحّمه (عليه السلام) على شيعته الضعفاء، من باب أنهم قد يسمعون الشيء العجيب من أئمتهم (عليهم السلام) فلا ينكرونه بل يسلّمون به حتى ولو لم يعرفوه، ثم أثنى عليهم (سلام الله عليه) بأنهم هم الناس، فعلى المؤمن أن لا يبالي بإنكار الآخرين الذين هم كالأنعام.

وقوله (عليه السلام): (والصلاة تتكلم) يريد عطف الصلاة على القرآن أي أن القرآن والصلاة يتكلمان، وكلام الصلاة بأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر فيكون كلام القرآن مثل كلام الصلاة، وأكثر الناس لا يلتفتون إلى كلام القرآن والصلاة وإن انتفعوا به، وهو من باب أن المؤمن قد يُقدم على الفحشاء فيمنعه ضميره منها وينهاه عنها فينتهي وهو لا ينتبه للجهة التي نهته رغم أنها جهة عظيمة ينتفع بها المراقبون كثيراً.

وقوله (عليه السلام): (فالنهي كلام) يريد به نوعاً من الكلام الباطني.

وقوله (عليه السلام): (والفحشاء والمنكر رجال) وكأنما قصد به أن الآية الشريفة جاءت على نحو الكناية لتنبّه المؤمنين من بعض المنافقين الذين فتحوا أبواب الفحشاء والمنكر على الناس، فكانت الصلاة بما ترفعه من مستوى الإيمان والوعي تنهى عن متابعة المنافقين، أو أن يكون التعبير بـ﴿الصلاة﴾ كناية عن أهل البيت (عليهم السلام) أو أمير المؤمنين (عليه السلام) وأنه في قبال أولئك المنافقين ودعوته مخالفة لدعوتهم.

وقوله (عليه السلام): (ونحن ذكر الله) ربما أراد به الإشارة إلى أنوارهم المقدسة التي اشتُق منها كلٌ خير، وأنهم حقيقة التوجه إلى الله

سبحانه الذي هو منشأ كل ذكر ومنه يتفرع كل ذكر ومنه يخلق الله الملائكة ويلفت القلوب إلى ذكره، وتطرقنا إلى مثل ذلك في كتاب (الذكر في سورة صاد المباركة).

وقوله (عليه السلام): (ونحن أكبر) ربما أراد به أن هذا النوع من الذكر هو أكبر من الذكر الظاهري للعبد؛ لأنه منّة وفضل من الله سبحانه على العبد حتى وهو ساهٍ عنه تبارك وتعالى.

وقد ورد النصح من بعض العلماء أن يسلّم المصلي قبل الشروع في صلاته على الإمام الحسين و الإمام المهدي (عليهما السلام)، ولا شك أن سلام العبد على إماميه قبل الصلاة يجعله يراقب نفسه وصلاته ويستلهم منها (سلام الله عليهما) روح الإيمان، ويتشفّع بنورهما لإكمال صلاته على نحو أكمل، ويستحي من مراقبتهما له أن يصلي وهو منشغل عن الصلاة أو ملتفت إلى غيرها في أثناء أدائها.

وأهل البيت (عليهم السلام) هم حقيقة التوجه كما قلنا، ومن الأدعية المستحبة في الصلاة قول المصلي قبلها: (اللهم إني أتوجه إليك بمحمد وآل محمد..).

كما أن من المفيد أن يرى الشخص أن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في طليعة المقصودين في السلام في آخر الصلاة أعني (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) فيكون قد بدأ بهم وختم بهم (صلوات الله عليهم أجمعين)، ومن المفيد أيضاً أن يستحضر وجودهم المبارك أمامه حين يسلم عليهم.

وقد ورد السلام عليهم واحداً واحداً في الدعاء بعد تسبيح الزهراء (عليها السلام): (اللهم أنت السلام ومنك السلام .. السلام عليك أيها

النبي ورحمة الله وبركاته السلام على الأئمة الهادين المهديين .. السلام على الحجة الخلف الصالح المهدي) (مفاتيح الجنان، التعقيبات العامة للصلوات، تجدها في أول الكتاب).

ليلة الجمعة ويومها:

وفي (جمال الأسبوع) لابن طاووس عن الإمام الهادي (عليه السلام) في سؤال صقر بن أبي دلف له عن حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله): (لا تعادوا الأيام فتعاديكم) قال (عليه السلام): (نعم، الأيام نحن ما قامت السماوات والأرض، فالسبت اسم رسول الله (صلى الله عليه وآله).. إلى أن يقول: والجمعة ابن ابني وإليه تجتمع عصابة الحق).

ثم قال ابن طاووس: (زيارة النبي (صلى الله عليه وآله) في يومه وهو يوم السبت.. إلى أن قال: يوم الجمعة زيارة صاحب الزمان (عجل الله فرجه): وفيها: السلام عليك يا حجة الله.. صلوات الله عليك، هذا يوم الجمعة وهو يومك المتوقع فيه ظهورك والفرج فيه للمؤمنين على يديك وقتل الكافرين بسيفك).

وقد نفهم من حديث الإمام الهادي (عليه السلام) المفسِّر لحديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا تعادوا الأيام) معاني مختلفة غير ما فهمه ابن طاووس رضوان الله عليه (وإن لم تتناف مع ما ذكره) فإنه قد فهم أن المقصود هي أيام الأسبوع، بل قد تكون أيام الأسبوع تجلٍّ زماني للأيام التي قصدها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وفق ما سنقدمه، والمعاني المحتملة نقدمها كأطروحات لمعنى الحديث الشريف (لا تعادوا الأيام) وارتباطه بأهل البيت (عليهم السلام) وهي:

الأولى: بمعنى أن الأيام هي طبيعة الظرف الزماني وظروف الحياة في زمانه فإن على الإنسان أن يعلم طبيعة الزمان وينسجم معها لأنها من حكومة الله على الأرض ومناسبة لتكامل الأفراد، ولا ينبغي تحديها والشذوذ عن الظرف الزماني والتمرد عليه.

والزمان كما قلنا مشتق من أنوارهم ففي الحديث الشريف: (إن أول ما خلق الله تعالى نور محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين .. ثم خلق المكان .. وبسط الزمان..) والظرف الزماني وما فيه من معاني وآيات ومعارف هو نبذة من العبرة التي يراد الإفصاح عنها بانبساط التأريخ، ولكل حقبة معاني ولكل زمان رجال ومواقف.

فيكون مراد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا تعادوا الأيام والظرف الزماني فإن في كل ظرف ما يناسب تربيتكم من الابتلاءات فعليكم أن تنسجموا معها وتعلموا طبيعة التكليف المناسب فيها، بدل التمرد والتعنت، وتلك التكاليف والابتلاءات فيها خيركم وما اختاره الأئمة (عليهم السلام) مما يناسب تكاملكم.

الثانية: معنى مماثل لما فهمه سان أوغسطين (رجل دين مسيحي مثقف عاش بين ٣٥٤-٤٣٠م) الذي رأى في كتابه (مدينة الله) أن العناية الإلهية قد تجلت في التأريخ البشري وأن حالات الرحمة والخير فيه مقصودة لإبراز قوة السماء ولتمجيد اسم الله.

أما في كتابه (الاعترافات) فيقسّم أوغسطين التأريخ إلى سبعة أقسام اعتماداً على ما يرويه الكتاب المقدس أن الله تعالى خلق العالم في ستة أيام واستوى على العرش للاستراحة في اليوم السابع، فالقسم الأول من آدم إلى طوفان نوح (عليهما السلام)، والقسم الثاني من طوفان نوح

إلى إبراهيم (عليه السلام)، والثالث من إبراهيم إلى عصر داوود، والرابع من عصر داوود (عليه السلام) إلى الأسر البابلي، والخامس من الأسر البابلي إلى ميلاد السيد المسيح (عليه السلام)، والسادس هو العصر الحاضر لدى أوغسطين، واليوم السابع هو العصر الذي يستريح فيه الله[١] كما حدث في اليوم السابع من الخلق.

فنحن قد نفهم معنىً مماثلاً للأيام ولكن بتقسيمه على فترات عهود الأئمة (عليهم السلام)، فمثلما كانت بداية البعثة على يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مليئة بالجهد والعمل والتأسيس، كذلك هو يوم السبت فهو أول أيام العمل والجد وأبعدها زماناً عن تحقيق النتائج.

ومثلما ستكون فترة الظهور مليئة بالطاعات والتوجه إلى الله سبحانه، كذلك ينبغي أن يكون يوم الجمعة مخصصاً للطاعة والخير كما هو دأب المتشرعة.. وهكذا سائر الأيام وخصوصياتها.

الثالثة: أن الأيام بمعنى مراتب التقدير لتدبير الخلق والرزق والعطاء المعنوي، فإنها على مراتب ينبغي التسليم للقضاء الإلهي فيها، ولعلها هي المقصودة بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ﴾(فصلت:٩-١٠).

---

(١) إنما ذكرناه رأي أوغسطين لتقريب الفكرة والقرآن الكريم ينكر على من يظن أن الله سبحانه قد تعب من الخلق فاحتاج إلى الاستراحة: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ (ق:٣٨)، إلا إذا أول أوغسطين معنى الاستراحة بنوع من التأويل.

ولا يبعد أن يجتمع المعنى الذي ذكره ابن طاووس مع بعض المعاني التي ذكرناها في وجه من الوجوه، فيوم الجمعة هو يوم المهدي (عليه السلام) لأنه سيحاذي يوم الظهور المبارك بطريقة أو بأخرى، فيكون يوم الجمعة الأسبوعي نافذة يتجلى منها ذلك اليوم المستقبلي الزاهر، فإن علماء الفيزياء قالوا أن سكّة سير الزمان المستقبلي ليست مستقيمة بل تتضمن التواءات وأنشوطات وقد تكون هناك دوائر للزمان، ويحتمل أن تكون هناك تقاطعات.

وتؤيد هذه الرؤية الفيزيائية المعقدة عدة مؤيدات منها:

قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الغدير: (ألا وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض..) فهو (صلوات الله عليه وآله..) يتحدث عن استدارة للزمان، بمعنى عودة أو دوران.

الثاني: أن هناك بعض العبادات في يوم الجمعة تضمن أثراً ما طيلة الأسبوع، ككون غسل الجمعة طهارة من الجمعة إلى الجمعة، وأن من صلى ركعتين كل ركعة مع الفاتحة سبع مرات قراءة سورة الإخلاص ثم دعا بالدعاء المأثور: (لم تضرّه بلية ولم تصبه فتنة إلى الجمعة الأخرى) وغيرها من ثواب الأعمال، التي تعني دورة أسبوعية رأسها يوم الجمعة أو اختصارها في الجمعة، ويوجد نظيرها في صلاة أول الشهر، والله العالم.

ويوم الجمعة له ارتباط بموعد الظهور المستقبلي، لأن المأثور أن إعلان الإمام (عليه السلام) عن ظهوره في مكة ووقوفه بين الركن والمقام سيكون يوم الجمعة، والروايات تذكر أنه سيكون يوم الجمعة العاشر من محرم، وتذكر أن ذلك سيكون بعد صلاة العشاء أي ليلة الجمعة على

السبت، فربما سيكون ظهوره نهار الجمعة ووقوفه (عليه السلام) وإعلانه عن نفسه بصورة رسمية بعد صلاة العشاء، فيلحق بيوم الجمعة لقربه أو لأن الإمام (عليه السلام) سيقوم بأعمال مهمة ذلك اليوم قبل الإعلان عن نفسه كالاتفاق مع أنصاره الذين سيكونون على تعارف معه قبل موعد الظهور كما يرجّح بعض العلماء.

وهناك رواية مهمة تقدم ذكرها مؤداها أن أهل الكساء (صلوات الله عليهم) يدعون بتعجيل الفرج من زوال يوم الخميس إلى زوال يوم الجمعة ولكن ذنوب الناس تؤخره.

وهناك جملة من الأعمال المقترنة به (عليه السلام) يوم الجمعة كدعاء الندبة وزيارة الإمام الحسين (عليه السلام) وبعض السور التي سيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى. وورد أن من قال (اللهم صلّ على محمد وآل محمد وعجّل فرجهم) في تعقيب صلاة المغرب والعشاء ليلة الجمعة، وكذلك بعد صلاة الفجر والظهر والعصر كان من جنود القائم (عجل الله فرجه). وورد كذلك استحباب الصلاة ألف مرة يوم الجمعة وليلتها على محمد وآل محمد ويستحب أن يكون ذلك بصيغة: (اللهم صلّ على محمد وآل محمد وعجّل فرجهم وأهلك عدوهم من الجن والإنس من الأولين والآخرين).

ليلة القدر أو الليلة الثالثة والعشرين:

لليلة القدر ارتباط وثيق بإمام الزمان (سلام الله عليه) وقد قلنا في كتاب (عواطف الآملين) أن هناك شيئاً يتجدد تنزيله في كل عام، وهذا الشيء العظيم أشارات إليه الآية الشريفة بالضمير دون التصريح بقوله

تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ ثم عظّمت شأن تلك الليلة التي ينزل فيها هذا الأمر العظيم ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ ثم بيّنت السورة الشريفة ما هو الأمر المنزّل ﴿تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾(القدر: ١، ٢، ٤).

فالروح كائن أعظم من الملائكة ينزل على إمام زماننا، وبحسب استعداد البشرية ينزل مع هذا الروح مقادير أمور الناس لسنة كاملة فيمضيها الإمام (عليه السلام) بمعنى أنه سيباشر تطبيقها ضمن مهامه كإمام للأرض والكائنات المرتبطة به والتي يتوفر على اطلاع على استعداداتها.

وفي الحديث الشريف عن الباقر (عليه السلام) أنه سُئل: (تعرفون ليلة القدر؟ فقال: وكيف لا نعرف والملائكة يطوفون بنا فيها).

وعن تفسير القمي، قال (عليه السلام): (تنزل الملائكة وروح القدس على إمام الزمان ويدفعون إليه ما قد كتبوه).

وعن الإمام الصادق: (إذا كان ليلة القدر نزلت الملائكة والروح والكتبة إلى السماء الدنيا فيكتبون ما يكون من قضاء الله في تلك السنة).

وعنه (عليه السلام): (إن الروح أعظم من جبرائيل وإن جبرائيل أعظم من الملائكة، وإن الروح هو خلق أعظم من الملائكة، أليس يقول الله تبارك وتعالى تنزّل الملائكة والروح).

والروح واحدة لا تتكرر، وهي تنزل على الإمام المنتظر ليلة القدر ومعها مقادير الأمور واستحقاقات الخلائق كما تقدم، وقد يرى المؤمن شطراً منها أو قد يطّلع على جميع مقادير الأمور فيشهد ما يشهده الإمام (عليه السلام) منها وهو معنى التوفيق لليلة القدر.

وقد تضعف همة المؤمنين ويضيق وسعهم فلا يرون إلا ما يخصّ شخصهم فقط ومجريات أمورهم للعام المقبل أو لباقي أعمارهم (مع ملاحظة ما تقدم من شرط البداء).

وقد يوفق المؤمن لرؤية الإمام (عجل الله فرجه) وكيفية نزول الملائكة عليه بصورة برزخية تعبر عما يجري في أفق أعلى، كما حصل لصاحب كتاب الكمالات الروحية حيث يقص أنه اشتغل مع مجموعة من رفاقه بالتعبد في الليلة الثالثة والعشرين حتى رأى الإمام (عليه السلام) وأفواج الملائكة تنزل على الإمام، وكان مما نزل صحيفته هو إذ وضعوها بين يدي الإمام (عليه السلام) وكان مسجلاً فيها أعماله فتوسل للإمام كي لا يطلع عليها..

أقول: يساعد على تحصيل ذلك: المداومة على قراءة سورة القدر (ألف مرة) كل ليلة من ليالي شهر رمضان حتى يوفق في ليلة القدر لمثل هذا، وقد يحصل له هذا الأمر في الليلة الواحدة والعشرين أو الثالثة والعشرين، ولن يحرم من يقرأ السورة ألف مرة في ليالي القدر أو في الليلة الثالثة والعشرين فقط من شيء من ذلك العطاء.

وقد يطلع المؤمن على ما هو أكثر من هذا حين تنزل عليه روحه العليا فيرى ذاته، وقد ينصرف عنها بالرجوع إلى نفسه وخجله من ذنوبه إذ سيكون في قمة العقل والوعي والحضور.

وقد يوفق المؤمن إلى موقف يرى وكأنه في يوم القيامة الكبرى.

كما يمكنه أن يرى حقيقة الإمام المهدي (عليه السلام) في هذه الليلة في أعظم تجلي.

ومن المظنون جداً أن تتجلى ليلة القدر في الليلة الثالثة والعشرين من شهر رمضان، وهي الليلة التي تقع فيها الصيحة المباركة للإعلان عن ظهور المهدي (عليه السلام)، ومن المسنون في الليلة الثالثة والعشرين أن يزار الإمام الحسين (عليه السلام) وقد علمنا ارتباط الإمامين العظيمين (سلام الله عليهما) في التمهيد للظهور المقدس.

كما أن من مستحبات الليلة الثالثة والعشرين الإكثار بالدعاء لإمام الزمان (عجل الله فرجه) بدعاء (اللهم كن لوليك ..).

مسجدا السهلة والكوفة وعلاقتها بالإمام المهدي (عجل الله فرجه):

مسجد السهلة:

ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) في ما قاله لأبي بصير في فضل مسجد السهلة: (المقيم فيه كالمقيم في فسطاط رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وما زاره مكروب قط فصلى فيه ركعتين بن العشائين (أي صلاتي المغرب والعشاء) إلا وفرّج الله كربه، وهو مُناخ الراكب ومنزل إدريس النبي، وما بعث الله نبياً إلا وقد صلى فيه. كأني بالقائم ينزل فيه بأهله وعياله، فقال أبو بصير: لا يزال القائم فيه؟ قال (عليه السلام): نعم، فقال أبو بصير: حسبي).

وسنقف مع فقرات هذا الحديث القيم لتوضيح ارتباطها بالإمام (عجل الله فرجه) والإمامة.

فقوله (عليه السلام): (ما زاره مكروب قط فصلى فيه .. ودعا الله إلا وفرج الله كربته) ينطبق على كربتنا في غياب إمامنا، فلو توجهت

القلوب بصدق للصلاة فيه والتضرع لإزالة الكرب وإزاحة ستار الغيبة لعجل الله لهم الفرج وأزال الكرب عن وجه البشرية المتعبة.

وقوله (عليه السلام): (هو مُناخ الراكب) الراكب هو الخضر (عليه السلام) والمُناخ هو نزول المسافر الراكب، وفي الحديث دلالة على حياة الخضر (عليه السلام) ووردت بعض الأحاديث أنه من أنصار القائم (عليه السلام) بل في مقدمة وزرائه، وللخضر (عليه السلام) مقام في الطرف الجنوبي الشرقي من مسجد السهلة وفيه دعاء قيم جداً.

وقوله (عليه السلام): (ومنزل إدريس النبي) هو في الجهة الجنوبية الغربية حيث كان نبي الله (عليه السلام) إدريس يعلّم الناس الخياطة، وهو معلم البشرية الأول وكانت جميع شعوب العالم القديم تحترمه، ويعتبره اليونانون القدامى مصدراً لجميع المعارف والصنائع التي تخطر في العقول، وورد وصف بالقرآن الكريم: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً، وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾(مريم:٥٦-٥٧).

قوله (عليه السلام): (وما بعث الله نبياً إلا وقد صلى فيه) لعلها في الطرف الشمالي الشرقي في ما يعرف بمقام الأنبياء والصالحين، وصلاة الأنبياء في المسجد لا تضفي عليه قيمة تأريخية فقط؛ فأن أنبياء الله لمساتهم التوحيدية فوق الزمان.

وفي الطرف الشمالي الغربي مقامٌ لخليل الله إبراهيم (عليه السلام) وفيه دعاء يدل على عظيم منزلته في التوحيد.

وقوله (عليه السلام): (كأني بالقائم ينزل فيه بأهله وعياله) يعني يوم ظهوره، فالإمام الصادق (عليه السلام) حين يقول: (كأني به..) إنما يراه عياناً فإن لديهم علم ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة.

وقوله (عليه السلام): (لا يزال القائم فيه..) فهِمَ منه أبو بصير وجود الإمام (عجل الله فرجه) فيه منذ ذلك الحين وإلى الأبد، وقد حصلت مشاهدات عديدة له (سلام الله عليه) بمسجد السهلة وقريباً منه.

وسنّ بعض السلف زيارة المسجد ليلة الثلاثاء على الأربعاء، ومن المعروف لدى المتشرعة أن المداومة على زيارته أربعين ثلاثاء والصلاة فيه تحقق الغرض والدعوات، وقيل إن من داوم عليها يرى الإمام المهدي (عليه السلام) إن كان من طلبته ذلك، وتوجد قصص عديدة في هذا الشأن مذكورة في الكتب المخصصة للحديث عن اللقاء بالإمام المهدي (عليه السلام).

وسواء حصل اللقاء بشخص الإمام (عليه السلام) أو لا: فإن الزائر سيعلم أن الله لا يخلف الميعاد ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا﴾(الكهف:٢١).

والصلاة المسنونة في مسجد السهلة في مقام الإمام الصادق (عليه السلام) في وسطه وهي ركعتان الأولى بالفاتحة وسورة الفتح والثانية بالفاتحة وسورة النصر، وتوجد صلوات في المقامات الأخرى.

أما سورة الفتح فتتحدث عن فتح مبين لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) غفر الله تعالى له به ما تقدم من ذنوب أمته وما تأخر، ولعل المقصود بذلك أن الله فتح له ما تقدم كما ختم به ما تأخر وجعله مهيمناً على ذلك كله، وتتحدث السورة عن تمام النعمة، وعن وعد إلهي ومضامين عالية ليس المجال مناسباً لطرحها هنا.

أما سورة النصر فهي تتحدث عن نصر الله الذي سيجيء بإذنه تعالى في مستقبل الدهر حيث سيرى المؤمن كيف يدخل الناس في دين الله

أفواجاً، وقد فسّرها الأئمة (عليهم السلام) بخروج المهدي (عليه السلام) وامتلاء الأرض قسطاً وعدلاً، والسورة نزلت متأخرة عن فتح مكة بأكثر من سنتين، فمن المستبعد نزولها بشأن فتح مكة، وإن كان فهو من باب تعدد المصاديق.

وهناك دعاء ثمين جداً بعد الصلاة في مقام الإمام الصادق (عليه السلام) ذو مضامين عالية جداً، تجعل العبد ينقطع عن أنانيته ويتجه نحو وارث الأرض ومن عليها، الحي القيوم عالم السر وأخفى.

والدعاء مجرب للوصول إلى الغرض وتحقيق المطالب العالية والغايات الجليلة مطلعه: (أنت الله لا إله إلا أنت مبدئُ الخلق ومعيدهم، وأنت الله .. أسألك بحقك على محمد وآل محمد وبحقهم الذي أوجبته على نفسك[1]) وختامه: (وأسألك أن تعجل فرجنا الساعة).

ودعاء الاستئذان لدخول باب المسجد عظيم جداً ومرتبط بالمطالب الموجودة في المقامات داخله، وهو يتطلب أهم معالم التوحيد: (بسم الله وبالله ومن الله وإلى الله وما شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله..).

والمسجد هو مسجد التوحيد لتضمنه عبادات وأدعية توجه العبد للتوحيد الخالص والتسليم المطلق، وتتدرج به في مراتبهما، مثل الدعاء في مقام إبراهيم (عليه السلام): (قد علمتَ حوائجي فصلّ على محمد وآل محمد واقضها .. أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وأمتني إذا كانت الوفاة خيراً لي..).

---

(١) وفي دعاء آخر أن (حقك الله الذي أوجبه عليهم هو أعظم نعمة عليهم (صلوات الله عليهم أجمعين).

كما تركّز الأدعية على حقيقة التوجه ففي دعاء الاستئذان: (فأقبل بوجهك إلي وأقبل بوجهي إليك) وفي دعاء مقام الخضر (عليه السلام): (اللهم إن كانت الذنوب والخطايا قد أخلقتْ وجهي عندك فلم ترفع لي صوتاً ولم تستجب لي دعوة، فإني أسألك بك يا الله.. فأقبل بوجهك إلي وأقبل بوجهي إليك..) وفي مقام الإمام زين العابدين (عليه السلام) جوهرة ثمينة من الدعاء وهي دعاؤه (سلام الله عليه): (يا من هو أقرب إلي من حبل الوريد، يا فعّالاً لما يريد، يا من يحول بين المرء وقلبه..).

ومعايشة هذه الأدعية والصلوات في المسجد المعظم لها أثر عظيم في تربية المؤمنين للوصول إلى الكمال، يكفيهم أنهم بمحضر صاحب الزمان (عجل الله فرجه) بل في فسطاط رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وفي الحديث أنه ما من مؤمن إلا ويحنّ قلبُه إليه (أي مسجد السهلة).

وقد حصل لعدد من المتعبدين شرف اللقاء بالإمام المهدي في هذا المسجد بمراتب متفاوتة بحسب إطاقة المؤمن، رغم أن الزائر المتوجه لا يخلو من ألطافه من حين دخوله في ضيافته (عليه السلام) دون الحاجة إلى التكرار لأربعين ثلاثاءً.

مسجد الكوفة:

أما مسجد الكوفة المعظم فلا يقلّ شأناً عن مسجد السهلة بل لهما نحو ارتباط مؤكد، وورد في الحديث أن مسجد الكوفة محل حكومة الإمام المهدي (عليه السلام) والسهلة منزله.

ويوجد فيه مقامات كثيرةً أيضاً وهو كما تقدم مظهر حكومة الإمام المهدي (عجل الله فرجه) يوم الخروج، ولعل مكان ذلك في جهة اليمين من المسجد على يمين الداخل من باب القائم الغربي حيث يوجد مقام جبرائيل (عليه السلام) وإلى جنبه مقام آدم (عليه السلام).

وفي المسجد الموضع الذي ضُرب فيه أمير المؤمنين (عليه السلام) وقال: (فزتُ وربّ الكعبة) وفيه المكان الذي كان يلقي (عليه السلام) فيه خطبه العظيمة، وفيه موضع أحكامه وقضائه ومظهر معجزاته (سلام الله عليه).

وصلاة الحاجة فيه معروفة ومسنونة وتوجد في كتب الأدعية والصلوات المستحبة.

ومسجد الكوفة بيت نوح (عليه السلام) وموضع انطلاق السفينة، وهو خيرٌ من المسجد الأقصى وأعظم فضلاً كما أُثر عن أمير المؤمنين (عليه السلام).

الخطوة الثامنة عشرة:

علاقة القرآن الكريم بالإمام المهدي (عليه السلام)

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في وصيته للناس: (إني تاركٌ فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وقد أنبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض.. وهما حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض، فانظروا كيف تخلفونني فيهما).

وهذه الحقيقة العظيمة هي تراث الأمة الإسلامية وأساس حضارتها الخالدة.

وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (حتى يردا عليَّ الحوض..) يشير إلى غاية سير الكائنات المعبَّر عنه بيوم القيامة وهو يوم الوصول إلى حوض الحقيقة المحمدية الكبرى.

وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (تركت فيكم..) قد يريد به وجود أهل البيت (عليهم السلام) والقرآن بين ظهرانيهم بعد أن تمت الحجة عليهم يوم الغدير يوم خطب بهم في حجة الوداع بغدير خم وبعد أن اكتمل تنزيل القرآن أو شارف إلى الأمة.

وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (لن يفترقا) حمله البعض على المعنى المجازي بمعنى أن أهل البيت (عليهم السلام) لن يفترقا في العلم والعمل عن معارف القرآن وأحكامه. إلا أن من الممكن حمله على الاتحاد النوري بينهما، فيجد المؤمن مثلاً أن قلبه يتنور بقراءة القرآن مثلما يتنور بقراءة أحاديثهم (عليه السلام) وزيارة قبورهم، فإن ظاهر القرآن الكريم كلمات وباطنه روح الإيمان، وهناك آيات شريفة تشير إلى أن هذا القرآن له

عدة نشآت قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ، وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾(الزخرف:٤).

وقد عبّر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأنهما حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض، وفي رواية: (وهما حبل ممدود طرفه بيد الله والطرف الآخر بيد العباد) يعني بطرفه الذي عند العباد ما يتلونه من آياته وما يعملون به من أحكامه وأوامره.

والقرآن فيه التجلي الأعظم، وهو لا ينفك عن أهل البيت (عليهم السلام)، وعن بعض علماء المعرفة الإلهية أنك إذا أردت أن تتكلم مع الإمام المهدي فاقرأ القرآن.

وكذلك إذا أردت أن تسمع صوته فاقرأ القرآن، وهناك مراتب من الانسجام مع القرآن يدرك فيها الإنسان معنى أن الثقلين لن يفترقا، ولا بد من العمل والاهتمام بشأن القرآن الكريم للوصول إلى تلك المراتب.

والملاحظ أن الكتب الإلهية السابقة بشّرت أن نوراً سيُنزل مع النبي الخاتم ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ .. فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(الأعراف:١٥٧).

والحديث في فضل القرآن واسع جداً لا يمكن الإحاطة به على هذه الخطوات العجولة، يكفينا في فضله أنه قد ورد في الآيات والأحاديث الشريفة أنه حي لا يموت وأنه يجري على أولنا كما يجري على آخرنا، وأنه روحٌ من أمر الله ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ، صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي

الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾(الشورى:٥٢-٥٣)، بل إن القرآن هو حياة القلوب، يجد الإنسان فيه روحه التي يفتقدها وحياتها التي يموت من دونها..

هذا بالنسبة لعلاقة عامة القرآن الكريم بالإمام المهدي (عجل الله فرجه)، إلا أن هناك سوراً خاصة نصت الروايات أن لها ارتباطاً بالإمام المهدي سنتحدث عنها باختصار بإذن الله تعالى في ما سيلي من البحوث.

الخطوة التاسعة عشرة:

سور من القرآن الكريم لها علاقة بالإمام المهدي (عجل الله فرجه)

قلنا فيما سبق أن القرآن (بأجمعه) لا يفترق عن أهل البيت (عليهم السلام) وأن الثقلين نور واحد وحبل واحد، وله تجلي في الكتاب المنزل وفي أهل البيت (عليهم السلام).

إلا أننا سنفصل الحديث في بعض السور التي ورد أن لها ارتباطاً بالإمام (عليه السلام) من حيث ثواب تلاوتها، لكي يصرف الراغبون نحوها هممهم ويشحذوا بصائرهم، فأن الإمام المهدي (عليه السلام) لا نستطيع الوصول إليه بسفينة ولا بطائرة ولا نعرف له مكاناً فندركه ولا جبلاً فنتسلقه، وحاش لله أن يغلق عن أوليائه أوسع باب للرحمة فتحها لهم: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا ..﴾(فاطر:٢).

وأي سبيل نسلكه لنيل الغايات أفضل من كتاب الله الحي الذي ينطوي فيه كل شيء والذي هو مفتوح على النشأتين ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً﴾(الإسراء:٨٩).

سورة الإسراء:

ورد في ثواب قراءتها عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (من قرأ بني إسرائيل (أي: سورة الإسراء) في كل ليلة جمعة لم يمت حتى يدرك القائم (عليه السلام) فيكون من أصحابه).

أما مناسبتها وتأهيلها ليكون قارئها من أصحاب القائم (عليه السلام) فنحتمل فيه عدة أطروحات:

الأولى: قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾(الإسراء:٩) ثم فسّر الأئمة (عليهم السلام) أن التي هي أقوم هي الإمامة فلا شك أن القرآن هو سبيل الوصول إلى الإمامة بشكل عام، كما أن لسورة الإسراء علاقة أخص بدليل ما ذُكر من الثواب على قراءتها.

وفُسّرت ﴿التي هي أقوم﴾ بالتوحيد، ولا يخفى أن الإمامة هي السبيل الوحيد للتوحيد لأنها النور التي يُدرك به الواقع والتوحيد.

أما الاسم ﴿أقوم﴾ فمن الاستقامة وهي الطريق المباشر المستقيم، فلا تتوسط في المعرفة صورة ذهنية ولا قضية وسطية ولا صورة ولا مثال، فإن الحق سبحانه لا ماهية له ولا يعرف بغيره، و(كل ما ميّزتموه بأوهامهم فهو سبحانه خلافه). وما من أجر ونعمة أكبر من معرفة المؤمنين لإمامهم فهو الأجر الكبير في الآية الشريفة، وورد في الحديث أن معرفة الله هي معرفة أهل كل زمان بإمامهم.

فيتحول القارئ للقرآن مع التعمق في التلاوة إلى إشارة ومحض توجه، فيكون مع الإمام (عليه السلام) لأن الإمام إنما هو هادٍ للخلق نحو الله، بل ليس هو إلا نور الهداية في النفوس المتوجهة، فهم (عليهم السلام) وجه الله الذي يتوجه به المؤمنون.

بل إن مراتب التكامل التي يمر بها السالك إلى الله إنما هي بهم (سلام الله عليهم) قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ، وَإِنَّا لَنَحْنُ

الْمُسَبِّحُونَ﴾(الصافات:١٦٥-١٦٦) ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللّهِ﴾(آل عمران: ١٦٣) وإنهم لينورون قلوب شيعتهم ويحجب الله نورهم عمن يشاء.

فإن الإنسان إنما هو طين، وفي مرتبة من حياته لا تكون الأنا خاصته هي المادة فقط، ولكن الله سبحانه أودع في سرّ آدم (عليه السلام) وصلبه أنوار أهل البيت (سلام الله عليهم) وانتقل هذا الاستعداد إلى ذريته، وهذا النور يرفع الإنسان و(أنا) الإنسان من الطين، وأول مرتبة يترقى إليها الإنسان هي المنزل الذي يخلط فيه الإنسان بين النور والطين فتكتسب معارفه الصور الذهنية وسحائب الخيالات التي هي غير الحقيقة ولكنها فوق المادة، ومع الترقي في الاستماع إلى صوت العقل والالتزام بالشريعة والطاعات يترقى إلى ما هو فوق الخيال والذهن ويحسّ وكأن الأنا خاصته أرقى من العالم الذي يتمثل ويتصور بالصور الحسية، ثم يترقى بالتجرد والصعود في مراتب المعرفة.

وقولنا أنه يترقى ليس بمعنى أنه هو الذي يصعد هو بمعنى أنه يتحد مع كل معرفة يصلها، حتى تصبح هي هو، وهو هي، وكلاهما فقيران غاية الفقر رغم فاعلية تلك المراتب المعرفية النورية، حتى يصل إلى عالم الواقع ونفس الأمر، فإذا كان لا يزال يرى أنانيته فقد وقع بالشرك الذي لا يمكن له التخلص منه، إلا إذا كان فطناً وموفقاً فيدرك أن الـ(الأنا) التي كان يؤمن بها طيلة الطريق إنما هي ﴿أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾(يوسف:٤٠) أو هي ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾(النور:٣٩).

وتعابيرنا بأن العبد يصعد ويتحد إنما هو من قصر الباع وضيق التعبير، وإلا فإن الروح هي واحدة بوحدة شخصية، وقد أوجبت التعابير المجازية سوء الظن والإنكار ....

ومراتب النفس هي أهل البيت (عليهم السلام) ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ﴾(سبأ:١٨).

ولكن العبد السالك قد لا يلتفت إلى رفيقه الذي يشفع له في السير بمعنى أنه يرفعه معه فلا ينتبه إلى أنوارهم لأنهم في غاية الشفافية والفناء في الله فهم نور الله الذي يهتدي به المهتدون وينتفعون بنورهم وإن ظلل السحاب أسماءهم.

فلعل ارتباط سورة الإسراء به (عليه السلام) من حيث أنها تدل على التوحيد بهذه الطريقة.

ولا عجب فقد حفلت السورة بكثير من الأدلة على التوحيد، ربما سنستعرضها في كتاب مستقل عن السورة الشريفة بإذن الله تعالى.

الأطروحة الثانية: عن علاقة السورة الشريفة بالإمام المهدي (عجل الله فرجه) هي ورود التعبير بالوعد، وذلك في الآية الشريفة: ﴿.. فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيراً﴾(الإسراء:٧) في ما أعده الله سبحانه جزاءً للعلو الثاني لليهود في الأرض فإنهم بعد العلو والإفساد الأول في الأرض قال لهم الله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً﴾(الإسراء:٥).

ثم إن بني إسرائيل عادوا للنمو والعلو وأصبحوا ﴿أَكْثَرَ نَفِيراً﴾(الإسراء: ٦) قيل في تفسيرها أن النفير هنا بمعنى الاستنفار للجيوش، أو استنفار الرأي العام نحو أي جهة يريدونها.

فإذا جاء وعد الآخرة ﴿لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ﴾ ربما بمعنى أنهم سيسيئوا لسمعتكم أو يدخلوا الغيظ على وجوهكم ﴿وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيراً﴾.

فالآيات تتحدث عن مصير بني إسرائيل وتفاصيل أخرى عن سيرتهم، والظاهر أن مصير بني إسرائيل أو اليهود سيحدده الإمام المهدي (عليه السلام) بعد النصر.

وتطرقت السورة الشريفة إلى هذا الوعد مرة أخرى بقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ (أي من بعد هلاك فرعون ونفسه المفسدة) لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُواْ الأَرْضَ فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً﴾(الإسراء:١٠٤).

وعادت السورة الشريفة لتتحدث عن الوعد الإلهي بقوله تعالى: ﴿قُلْ آمِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً، وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً، وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً﴾(الإسراء:١٠٧-١٠٩).

وهذا الوعد في الآيات الأخيرة، قد يراد به أحد أمور:

الأول: أنه الوعد بكسر شوكة اليهود، فإن السورة الشريفة وبطريقةٍ ما ستبين للقارئ كيفية تحقق هذا الوعد، وهو يتم على يدي المهدي المنتظر (عليه السلام).

الثاني: أن الوعد هو بتحقق ثواب السورة الشريفة الذي هو أن كون قارئ سورة الإسراء ليلة الجمعة من جنود القائم، فيدرك القارئ

ذلك قبل نهاية السورة الشريفة، وإنما يتم ذلك بشفاعة الإمام المهدي أرواحنا له الفداء.

الثالث: أنه الإسراء بقارئ السورة كما أسرى الله تعالى بنبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) ليريه من آياته، فإن مثل هذه المراتب مفتوحة للمؤمنين بشفاعة نبينا الكريم صلوات الله عليه وآله كما يقول سبحانه: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾(يوسف:٢٢)، وعلاقته كالسابق بشفاعة الإمام المهدي (عليه السلام).

أما الآيات التي قد يراها العبد في سيره إلى الله سبحانه فجميعها لدى أهل البيت (عليهم السلام) إذ يقول الزائر لهم بالزيارة الجامعة: (وآيات الله لديكم وكتابه عندكم).

الرابع: أن هؤلاء الذين يخرّون للأذقان حين يستمعون القرآن كان لديهم معرفة مسبقة ﴿أوتوا الكتاب من قبله﴾ وهذا العلم المسبق حين رأوا آيات القرآن تنطبق على ما آمنوا به من قبل في عالم الميثاق أو الفطرة أو في اللوح المحفوظ قالوا ﴿سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً﴾ فسمّوا العلم الأول بالوعد لأنه بشارة مسبقة ﴿ويبشر المؤمنين﴾ ثم رأوا تحققها في الواقع الخارجي.

وعالم الميثاق هو العالم الذي أخذ الله الميثاق على الخلائق بالولاية لآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين.

الأطروحة الثالثة: أن تكون العلاقة بين السورة والإمام (عليه السلام) في تحقيق التواصل النوري بين القارئ وبين الإمام لأنه (عجل الله فرجه) هو تالي كتاب الله ومبين حقائقه، كما عبّرت السورة الشريفة من

أن لدى الكافرين موانع من استماع تسبيح الموجودات: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾(الإسراء:٤٤) وذكرت بعدها أن القرآن يتلى على بواطنهم بنفس هذه الطريقة ويحتاج إلى قلوب صافية ولكنهم لذنوبهم كانت هناك أكنة على القلوب تمنع من استماعهم لتلاوة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً، وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً﴾(الإسراء:٤٥-٤٦).

فلعل السورة الشريفة تهذّب النفوس وترفع الأكنة، ولا عجب فإن القرآن عموماً جلاءٌ للقلوب وسورة الإسراء خصوصاً حفلت بالمواعظ التي تجعل العبد منقطعاً إلى الله سبحانه متعلقاً به وحده متوجهاً إلى جلاله وجماله.

لعل لهذا ولكون الآيات السابقة التي تنكر على الجاحدين لها دور في فتح الأبواب ورفع المغالق، كما شرحناه في البرهان القرآني في مقدمة كتاب (سورة الواقعة ومحبة الله).

فإذا رفعت السورة الحجب والأكنة أبصر العبد حقيقة القرآن ومن يتلوه عليه. كما هو شأن الزبور زبور داوود (عليه السلام) وهو كتاب داوود أو تسبيحه حيث كان يسبح فتسبح الموجودات معه بارتباط باطني يمثل السبيل الحقيقي لإدراك المعارف الإلهية قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً﴾(الإسراء:٥٥)، وقال عز وجل في وصف تفاعل الكائنات مع داوود

(عليه السلام): ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ، إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ﴾(ص:١٧-١٨)، وقد تحدثنا في كتاب (الذكر في سورة صاد المباركة) عن تسبيح داوود في صلاته في العشي وكيف أن الجبال والطير وغيرها تسبح معه في حكومة آل داوود (عليهم السلام) وكيف استخلفه الله سبحانه في الأرض ليمنن بالعطاء الإيماني على قلب من يشاء ويرى فيه الاستعداد المناسب ويمسك عمن لا يستحق ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ..﴾(ص:٢٦) ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(ص:٣٦).

وكذلك الحال في العلاقة مع إمام زماننا (عجل الله فرجه)، فلعل القارئ سيدرك عمق العلاقة معه فتكون السورة الشريفة نِعم المعين له على ذلك، والله العالم والله الموفق إلى سواء السبيل.

لعل هذه الأطروحات أو غيرها هي ما جعلت ثواب السورة أن لا يموت القارئ إلا ويدرك القائم ويكون من أصحابه.

كما أن هناك سورة أخرى تقرأ في ليلة الجمعة لها مثل هذا الثواب وهي سورة الواقعة إذ ورد في فضلها: (أن من قرأ الواقعة ليلة الجمعة أحبه الله وحببه إلى الناس أجمعين .. وكان من رفقاء أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهي في علي (عليه السلام) والأئمة من ولده).

فلا شك أن صحبة أمير المؤمنين (عليه السلام) هي صحبة الإمام المهدي (عجل الله فرجه).

الـمُسَبِّحَات:

وهي السور التي تبتدئ بـ﴿سبَّحَ للهِ﴾ أو ﴿يُسَبِّحُ للهِ﴾ وهي الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن، وقيل معها الأعلى التي تبتدئ بـ﴿سَبِّحْ اسمَ ربِّكَ الأعْلَى﴾.

وورد في ثواب قراءتها عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (من قرأ المسبّحات كلها قبل أن ينام لم يمت حتى يدرك القائم صلوات الله عليه، وإن مات كان في جوار رسول الله (صلى الله عليه وآله)).

والآن علينا أن نبحث ما هي الخصيصة التي تربط بين هذه السور الشريفة و الإمام المهدي (عليه السلام)؟

ونقدم في سبيل عدة أطروحات:

الأولى: أن السبب هو أنها جميعاً تبتدئ بالتسبيح، وكذلك كانت سورة الإسراء، والتسبيح هو السلّم المعرفي في التوحيد والمعراج نحو الحقيقة التي يمكن للإنسان إدراكها.

فالمؤمن مثلاً حين يتصور معنى معرفياً يتعلق بالذات الإلهية يسبح الله سبحانه عنه ليقول أن الله أعظم من هذا التصور ففي الحديث: (كل ما ميزتموه في أذهانكم فإنه عز وجل غيره) وهي قاعدة عقلية متينة، ذلك أن الذات الإلهية المقدسة لا ماهية لها ولا تصورٌ يحيط بها، بل هو وجود محض ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً﴾(الإسراء:٤٣).

فالتسبيح ينقل الإنسان من مستوى معرفي إلى مستوى معرفي أعلى منه وهكذا حتى يتدرج في المعرفة والكمال، وقد علمنا فيما سبق علاقة التسبيح بالقوة العقلية التي تأخذ بيد الإنسان إلى الله تبارك وتعالى، وعلاقتها بالأئمة (عليهم السلام)، فيكون تأهيل هذه السور لقارئها بسبب

التسبيح الذي ورد لفظه وبسبب التسبيح المعنوي المنتزع من مداليل الآيات الشريفة.

الأطروحة الثانية: أنها بسبب كثرة ما ذكر فيها من لفظ الجلالة المقدس ﴿الله﴾ فقد تكرر أكثر من مائة مرة، وبسبب كثرة ما ورد فيها من أسماء الله وصفاته والإشارة إليه سبحانه بالضمير المنفصل ﴿هو﴾.

ولا شك أن أسماء الذات الإلهية وصفاتها والتوجه نحوها له أبلغ الأثر في تربية المؤمن للوصول إلى الكمال المناسب لاستحقاق اللقاء بالمهدي (عليه السلام) وإدراكه.

وقد ورد الكثير من الأحاديث الشريفة في التأكيد على الآيات الأُول من الحديد والآيات الأخيرة من الحشر بأنها أعظم ما نزل على محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنها للحاجات الأخروية وأنها من كنوز العرش وأن لقارئها بعد الصلوات المفترضة نظرة من الله سبحانه أو سبعين نظرة في اليوم.

الأطروحة الثالثة: أن السور الخمس تحدثت عن النور بكثرة وكررته ففي سورة الحديد المباركة:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾(الحديد:١٢-١٣).

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاء عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾(الحديد:١٩).

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(الحديد:٢٨).

وفي سورة الصف ذُكر النور في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾(الصف:٨).

وفي سورة التغابن في قوله تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(التغابن:٨).

ووردت الروايات الشريفة تفسر النور بأنه نور الإمام الذي يهتدي به المهتدون، إلا أن الصعوبة في هذه الأطروحة أن ظاهر سورتي الحشر والجمعة يخلو من ذكر كلمة النور.

ونفس الصعوبة في الأطروحات التي انتبهت إلى تكرار كلمة ﴿فضل الله﴾ وأشباهها ذات المعاني العظيمة.

الأطروحة الرابعة: أن النظرة الإجمالية للمسبحات تشير إلى مخطط إلهي عظيم يقود المخلوقات إلى المعرفة التوحيدية العظيمة وأن هذا المخطط له أساسه النظرية المتمثل بما ذُكر من أسماء الله تعالى وصفاته العليا، وله من ينفّذه على الأرض وهم الأنبياء والأئمة (صلوات الله عليهم) وأنصارهم المؤمنون.

ففي سورة الحديد قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(الحديد:٢٥)، وهذه الآية الشريفة تتحدث عن غاية بعثة الرسل وهي إقامة المجتمع بالقسط ولذلك أنزلت الكتب، ووضع الميزان، وأنزل الحديد

لأجل أن يقوم المؤمنون بنصرة الحق بما في ذلك من تربية تؤهلهم لإقامة دولة الحق.

وفي الآية التالية تطرق الحق سبحانه إلى استمرار سلسلة الأنبياء (عليهم السلام) ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ..﴾ ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ..﴾، ثم أشار عز وجل إلى قصة الذين اتبعوا عيسى (عليه السلام) بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ ربما كان في هذا المقطع إشارة إلى الأثر القلبي الذي لعيسى (عليه السلام) في قلوب أتباعه المؤمنين ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ وفي حديث مرسل عن ابن مسعود أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال في شأن تلك الرهبانية: أن المؤمنين بعد عيسى خافوا من الجبابرة أن يستأصلوهم بعد أن قاوموهم مراراً، فرأوا أن يعتزلوا بالرهبانية لئلا يصطدموا مع الكفار؛ ولينتظروا نبي آخر الزمان ﴿ابتغاء رضوان الله﴾ فيقاتلوا معه، ولكنهم نسوا الهدف من الرهبانية فتحولت إلى غاية ونمط حياة وتنكروا لنبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾(الحديد:٢٧).

وفي سورة الجمعة يذكر الله عز وجل فضل الله بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ، وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾(الجمعة:٢-٤).

ثم -في آخر سورة الحديد- يحضّ الله تبارك وتعالى المؤمنين على الإيمان بالنبي ونصرته بقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(الحديد:٢٨) والنور هو الإمام كما في الأحاديث الشريفة، والكفلين ربما هما أجر أعمالهم قبل الفتح أو بعده أو في الدنيا والآخرة، أو أجرهم وأجر الأمم السابقة الذين لم يكملوا نصرة المشروع الإلهي لقوله تعالى: ﴿لِئَلا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾(الحديد:٢٩).

ويذكر الحق في سورة الصف أن بني إسرائيل آذوا موسى (عليه السلام) رغم علمهم أنه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنهم زاغوا عن الهدف الحقيقي من البعثة الإلهية قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾(الصف:٥)، ثم تلمّح الآية التالية عن سبب إيذائهم لموسى وكفرهم بعيسى (عليهما السلام) ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾(الصف:٦)، فقد اتهموه (سلام الله عليه) بالسحر والكذب لأنه بشرهم بنبوة نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) التي هي غاية بعثة الأنبياء والرسل وإتمام الرحمة الإلهية على الأرض والتي ستتجلى بصورته الكاملة إبان ظهور المهدي (عليه السلام) خاتم الأوصياء من عترة نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى

اللَّه الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الإِسْلامِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(الصف:٧).

ثم تشير الآيات في سورة الصف إلى مساعيهم لإطفاء نور الحق: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾(الصف:٨).

وتتطرق إلى الوعد الإلهي بإتمام هذا النور المبارك الذي هو أعظم آيات الحق سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾(الصف:٩).

وتبشر بنصر الله سبحان ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾(الصف: ١٣).

وكلها كما ترون تشير إلى المخطط الإلهي العظيم لإنقاذ الإنسان والارتقاء به إلى جنة عرضها السماوات والأرض وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. فعلى المؤمنين أن يحثوا الخطى ويعجلوا المسير فالأعلام واضحة والطريق شارع واللقاء قريب.

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾(الحديد:١٦).

خاتمة

وإلى هنا نكون قد انتهينا من هذه الخطوات العجولة الخجولة نحو إمام زماننا (عجل الله فرجه) آمل أن ينتفع بها المؤمنون المشتاقون وذوي الهمة والبصائر. أما العجل فلخوف الفوت وقصر الأجل، وأما الخجل فلسواد الوجه وكثرة الذنوب التي سنرد بها على نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى إمامنا صاحب العصر والزمان (عليه السلام).

وكان بودي أن أخطو خطوات أخرى نتحدث فيها عن معاني الأدعية التي تتعلق بالإمام المهدي (عليه السلام) والزيارات الخاصة، وبعض الآيات الشريفة التي فُسرت بمعناه، وعن اللقاء بالمهدي (عليه السلام) في زمان الغيبة، وخطوة أخيرة في المراقبة والمحاسبة وارتباطها بإمام الزمان (عجل الله فرجه).

إلا أنني أعتذر للقراء الأعزاء عن ذلك كثيراً، وآمل أن تتاح الفرصة لغيري من الكتاب أن يكمل خطواتنا ويتجنب هفواتنا.

وآخر دعواتنا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين.

تم الفراغ من هذه البحوث في ظهر يوم الرابع عشر من شهر شعبان المبارك عام ١٤٣٤، الموافق ٢٠١٣/٦/٢٤.

عماد علي الهلالي

جدول محتويات الكتاب